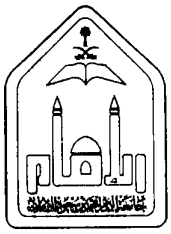
المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
وكالة الجامعة لشؤون المعاهد العلمية
الإدارة العامة لتطوير الخطط والمناهج



الأدب العربي وتاريخه

العصر العباسي، أدب الحروب الصليبية
عصر الدول المتتابعة، الأدب الأندلسي
للسنة الثانية الثانوية

طبعة ١٤٢٦هـ

يوزع مجاناً

ⓒ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٦هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الإدارة العامة لتطوير الخطط والمناهج بالجامعة
الأدب العربي وتاريخه ، للسنة الثانية الثانوية في المعاهد العلمية/ الإدارة العامة لتطوير الخطط والمناهج بالجامعة . الرياض ، ١٤٢٦هـ
١٧٦ ص؛ ٢١,٥ × ٢٧سم
ردمك ٤ ـ ٥٥٤ ـ ٠٤ ـ ٩٩٦٠
١ - الأدب العربي- تاريخ. كتب دراسية ٢ - التعليم الثانوي ـ السعودية ـ .
كتب دراسية أ ـ العنوان
ديوي ٨١٠,٩٠٠٧١٢ ١٤٤١ / ١٤٢٦

رقم الإيداع: ١٤٤١ / ١٤٢٦
ردمك ٤ ـ ٥٥٤ ـ ٠٤ ـ ٩٩٦٠

مقـدمـــة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. أما بعد :

فإن الأدب العربي - شعره ونثره - من الفنون التي يجمل بطالب العلم الإلمام بها والتزود بقدر مناسب منها؛ وذلك لما للأدب من أثر بالغ على ثقافة المتعلم وأسلوبه في نقل ما يحمله من فكر وعلم مقروء أو مسموع.

وأدب كل أمة يعبر عن حضارتها وثقافتها وقضاياها، ويصور حياتها بما فيها من أفراح وأتراح، وآلام وآمال.

وها نحن نقدم هذا الكتاب لطلاب السنة الثانية الثانوية في المعاهد العلمية، ونعرض فيه بعض العصور الأدبية التي تُعدُّ من أهم فترات تاريخ الأدب العربي؛ إذْ حفلت بصنوف شتى من المعرفة والثقافة والأدب.

ومما تهدف إليه دراسة الأدب العربي وتاريخه في هذه المرحلة ما يلي:

١ - تعرف الطلاب على تراث أمتهم الإسلامية وكنوز ثقافتهم، وما لأمتهم من علم ومعرفة وحضارة، وإيقافهم على الجوانب الهامة من قضايا الثقافة والأدب.

٢ - إطلاعهم على عيون الأدب وغرره ومحاسنه، مع الإشارة إلى أبرز تيارته وأشهر أعلامه.

٣ - وضع مقدار مناسب من النصوص البليغة بين أيدي الطلاب ليتذوقوا الأدب ويتمرسوا بأساليبه، ويتمرنوا على الإجادة في نواحي القول وشعب البيان.

٤ - وصل الطالب بالمثل والقيم الإسلامية العريقة التي تمنحه ذخيرة حية تنمي أصالته وتربطه بجذوره.

٥ - تحبيب اللغة الفصحى إلى الطالب بما فيها من شعر ونثر لكي يدرك جمالها ويعتز بها ويدافع عنها.

٦ - إبراز الاتجاه الإسلامي في الأدب على أن تكون النصوص الممثلة لذلك مشتملة على جوانب بيانية وبلاغية وأسلوبية جميلة.

٧ ـ تنمية ملكة التذوق الأدبي للنصوص الأدبية.

٨ ـ توظيف الأدب ليكون أدب نفس فيحقق الانتماء الإسلامي الأصيل، ويساهم في التربية النفسية والاجتماعية، وتهذيب الأخلاق، وتزكية النوازع الخيرة من خلال النصوص الأدبية الجيدة.

ولتنفيذ الأهداف السابقة بالصورة المطلوبة يحسن بالمدرس مراعاة ما يلي:

١ ـ العناية بالأدب الإسلامي الملتزم من خلال النصوص الأدبية الجيدة.

٢ ـ العناية بالنقد الأدبي لكل نص يدرس، ولكل موقف أدبي وذلك باستخدام المقاييس النقدية والبلاغية التي درسها الطالب في منهج البلاغة؛ للاستفادة من تلك القواعد والمصطلحات وترسيخها في الذهن عن طريق النصوص.

٣ ـ النقد الخلقي لكل نص ولكل موقف. إذ قد يرد في بعض النصوص المختارة ألفاظ وعبارات وأفكار لم يلتزم قائلوها بالمنهج الإسلامي المستقيم، وهنا لابد من التعليق عليها وبيان وجه الخطأ والانحراف فيها، وهذا ـ في نظرنا ـ خير من بتر النصوص؛ لأن الطالب قد يقرأ هذا النص أو ذلك الأديب خارج المنهج والمدرسة بصورة غير موجهة أو بتوجيه سيىء فمن الضروري تنبيهه إلى تلك الأمور كلما عرضت تلك المواقف.

٤ ـ إشراك الطلاب في الشرح والاستنباط، والتقليل من طريقة الإلقاء والسرد للمعلومات.

٥ ـ العناية بالشرح اللغوي للكلمات، وبيان ما غمض من المعاني.

وأخيراً فإن الإدارة العامة لتطوير الخطط والمناهج تسعد بتلقي ملحوظات الإخوة المدرسين واقتراحاتهم حول هذا الكتاب وغيره؛ وذلك سعياً للارتقاء بمناهج المعاهد العلمية وكتبها لتحقق رسالتها السامية بإذن الله.

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الإدارة العامة لتطوير الخطط والمناهج

الفصل الدراسي الأول

توزيع المنهج للفصل الدراسي الأول

الأسبوع وتاريخه	الموضوعات	ملحوظات
الأول من / / ١٤٢هـ	توجيهات عامة وخاصة بالمادة.	واجب منزلي
الثاني من / / ١٤٢هـ	العصر العباسي : لمحة عن الحياة السياسية والاجتماعية	
الثالث من / / ١٤٢هـ	العلوم الإسلامية العربية	
الرابع من / / ١٤٢هـ	الشعر في العصر العباسي : التجديد في أغراضه ومعانيه، والتجديد في أساليبه وأوزانه. قراءة قصيدة أبي فراس الحمداني (مصابي جليل والعزاء جميل) وتوضيحها. (حفظ خمسة أبيات منها)	
الخامس من / / ١٤٢هـ	شعر الدعوة الإسلامية قراءة أبيات أبي العتاهية وتوضيحها (حفظ خمسة أبيات).	واجب منزلي
السادس من / / ١٤٢هـ	دراسة مفصلة عن الشاعر أبي تمام، وقراءة قصيدته في رثاء محمد بن حميد الطوسي (كذا فليجل الخطب) وتوضيحها (حفظ خمسة أبيات منها)	
السابع من / / ١٤٢هـ	دراسة مفصلة عن الشاعر البحتري قراءة قصيدته السينية في وصف إيوان كسرى وتوضيحها . (حفظ خمسة أبيات منها)	
الثامن من / / ١٤٢هـ	اختبار منتصف الفصل الدراسي الأول.	واجب منزلي
التاسع من / / ١٤٢هـ	دراسة مفصلة عن الشاعر أبي الطيب المتنبي قراءة قصيدة افي مدح سيف الدولة ويهنئه بالعيد وتوضيحها (حفظ خمسة أبيات منها)	
العاشر من / / ١٤٢هـ	النثر في العصر العباسي: الخطابة والكتابة الفنية قراءة خطبة المأمون بمرو، وتوضيحها (حفظ الخطبة	
الحادي عشر من / / ١٤٢هـ	المقامات وأشهر أصحابها: بديع الزمان، الحريري.	
الثاني عشر من / / ١٤٢هـ	دراسة مفصلة عن الكاتب عبدالله بن المقفع. قراءة رسالة الصحابة له وتوضيحها. (حفظ المقطع الثاني منها)	واجب منزلي
الثالث عشر من / / ١٤٢هـ	دراسة مفصلة عن الكاتب الجاحظ قراءة مقالته في وصف الكتاب وتوضيحها. (حفظ خمسة أبيات منها)	
الرابع عشر من / / ١٤٢هـ	مراجعة ما حفظ من الشعر والنثر.	
الخامس عشر من / / ١٤٢هـ	مراجعة عامة.	

(١)

الأدب في العصر العباسي

العصر العباسي

« لمحة عن الحياة السياسية والاجتماعية »

قامت الدولة العباسية عام ١٣٢هـ بعد سقوط الدولة الأموية، وكان لسقوط الدولة الأموية أسباب كثيرة، منها: الصراع بين الأمويين وآل البيت، وكراهية الموالي للأمويين لتعصبهم للعرب، والنزاع بين القبائل العربية، وضعف الخلفاء الأمويين في آخر أيامهم.

وقد امتدت الدولة العباسية في الزمان حتى عام ٦٥٦هـ عندما استولى التتار على بغداد.

والعصر العباسي الطويل وإن كان ينسب إلى العباسيين إلا أن دولاً كثيرة قد نشأت أثناء هذا العصر. استقل بعضها عن الدولة العباسية استقلالاً تاماً كالدولة الأموية في الأندلس والدولة الفاطمية في المغرب ومصر، وظل بعضها الآخريدين بالولاء الشكلي فقط للخليفة العباسي.

ولطول العصر العباسي فقد قسمه المؤرخون إلى عدة عصور، هي:

١ ـ العصر العباسي الأول: ويبدأ من قيام الدولة عام ١٣٢هـ وينتهي بتولي المتوكل الخلافة عام ٢٣٢هـ.

٢ ـ العصر العباسي الثاني: ويبدأ من تولي المتوكل عام ٢٣٢هـ. وينتهي بسيطرة البويهيين عام ٣٣٤هـ.

٣ ـ العصر العباسي الثالث: ويبدأ بسيطرة البويهيين عام ٣٣٤هـ وينتهي ببدء نفوذ السلاجقة عام ٤٤٧هـ.

٤ ـ العصر العباسي الرابع: ويبدأ بسيطرة السلاجقة عام ٤٤٧هـ. وينتهي بسقوط بغداد في يد (هولاكو) عام ٦٥٦هـ.

وفي دراستنا للأدب العباسي لن نلتزم بالتقسيمات السياسية للعصر؛ لأن العصور الأدبية المختلفة تحمل بعض الخصائص والمؤثرات من العصور السابقة ويمتد أثرها إلى العصور اللاحقة ويصعب تحديدها بالأحداث السياسية، لكننا لن نهمل الإشارة إلى التطورات التي مربها الأدب العباسي في كل عصر من عصوره.

كان الفرس هم دعامة الثورة العباسية، لذلك كانت لهم المكانة الكبيرة فيها؛ فقد اتخذ الخلفاء وزراءهم وكتابهم من الفرس منذ قيام الدولة، إلا أن الخلفاء الأوائل كان لهم من القوة والشأن مامكنهم من البطش بكبار الفرس عند الشعور بأي خطر أو خيانة؛ فقد قضى المنصور على أبي

مسلم الخرساني أعظم من ساهم في القضاء على الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية، كما أن الرشيد نكب البرامكة وقضى عليهم عندما أحس بخطرهم، وكذلك فعل المأمون بآل سهل.

لكن نفوذهم قد قوي بعد ضعف الخلفاء العباسيين، حتى أصبحوا هم الحكام الفعليين للدولة، حتى أنهم كانوا يعزلون الخليفة إذا لم يخضع لهم، ويتجلى ذلك واضحاً في عهد السيطرة البويهية. وقد أدى نفوذ الفرس السياسي والثقافي إلى انتشار الثقافة الفارسية والتقاليد التي ورثوها عن حضارتهم السابقة.

كما أدى ذلك إلى بروز حركة (الشعوبية)، وهي حركة تدعو إلى احتقار العرب ونشر مثالبهم، ليصلوا من خلال ذلك إلى الطعن في الإسلام ورجاله، فهي حركة عدائية ضد الإسلام والمسلمين. وقد تصدى لها كثير من الكتاب بالرد والتفنيد كالجاحظ وابن قتيبة.

وفي عهد الخليفة المنتصر دخل الاتراك في الصراع على السلطة وأصبح لهم نفوذ كبير عندما استعان بهم، وبنى لجنده منهم مدينة (سامراء) عام ٢٢١هـ. وبعد ذلك قوي نفوذهم حتى أنهم قتلوا الخليفة العباسي المتوكل عام ٢٤٧هـ، وسيطروا على الدولة في الفترة من ٢٤٧ إلى ٣٣٤هـ.

أما الحياة الاجتماعية في الدولة فقد كانت حياة ترف ونعيم، إذ أصبحت بغداد التي بناها الخليفة المنصور عام ١٤٥هـ أعظم بلاد الدنيا ودرَّة الحضارة الإسلامية؛ فكانت مليئة بدور العلم من مدارس ومكتبات، كما شيدت بها الجسور والمستشفيات والمراصد وغير ذلك.

وقد كثر المال وعم الرخاء، فأدى ذلك إلى مظاهر من الترف والبذخ، فكثرت الجواري والغلمان وأماكن اللهو، لكن ذلك لم يكن السمة العامة لبغداد ولا غيرها من العواصم، إذ إن المساجد كانت عامرة ودور العلم شاهقة، ولم يكن الناس جميعًا أهل ترف ومجون، وإنما كان هناك العباد والزهاد والعلماء والمصلحون، بل لقد أدى الإسراف في الترف وتغني الشعراء المترفين بذلك إلى وجود اتجاه شعري مناقض لذلك تمثل في شعر الزهد والتوبة والندم.

هذه لمحة موجزة جداً عن العصر العباسي، ويمكن الاستفادة من مقرر التاريخ في معرفة شئ من التفصيل عن الأحوال السياسية والاجتماعية.

أما الحياة الأدبية والثقافية فسنتحدث عنها- إن شاء الله- في الفصول التالية من الكتاب.

التـأليـف

بدأت حركة التأليف في العلوم العربية والإسلامية قبل العصر العباسي، لكنها بلغت القمة في هذا العصر، وأكثر تراثنا الإسلامي إنما هو من معطيات العصر العباسي أو عالة عليه، علماً بأن ما فُقد من تراث العباسين أضعاف ما بقي لنا، ويكفي أن نشير إلى أن التتار عندما استولوا على بغداد ألقوا بالكتب في نهر دجلة حتى تغير لون مائه من أثر الحبر الذي كتبت به الكتب.

ولانستطيع أن نتحدث بالتفصيل عن نشأة كل علم من العلوم الإسلامية وتطوره وأشهر رجاله وكتبه؛ لأن ذلك يحتاج إلى إطالة وتفصيل، ولكننا سنورد لمحات مختصرة جداً عن بعض العلوم.

١ ـ التفسيـر.

في العصر العباسي وُجدت طبقة من العلماء الذين ألفوا في التفسير، أشهرهم الإمام ابن جرير الطبري - رحمه الله - صاحب التفسير المشهور (جامع البيان)، وقد حرص فيه على جمع الأحاديث وأقوال الصحابة والتابعين في تفسير القرآن، وكذلك الاستشهاد بالشعر العربي، وبيان وجوه القراءات والإعراب.

ثم جاء بعده مجموعة من المفسرين، منهم الثعلبي والواحدي، ثم الزمخشري صاحب الكشاف.

٢ ـ الحديث والفقه.

من عناية أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي الثاني ـ رحمه الله ـ بالعلم والتأليف فيه، أنه طلب من الإمام مالك ـ رحمه الله ـ أن يؤلف للناس كتاباً يوطئه لهم، فقام الإمام مالك بتأليف (الموطأ) في الحديث.

وأشهر كتب الحديث وأصحها صحيح الإمام البخاري رحمه الله (الجامع الصحيح)، ويليه صحيح الإمام مسلم، ثم مسند الإمام أحمد بن حنبل، وكتب الصحاح الأخرى للترمذي وأبي داود والنسائي وابن ماجة رحمهم الله أجمعين.

كما وجد في هذا العصر كثير من العلوم المتعلقة بالحديث الشريف كمصطلح الحديث، والجرح والتعديل.

وفي هذا العصر وجدت المذاهب الأربعة، وهي: المذهب الحنفي، والمذهب المالكي، والمذهب الشافعي، والمذهب الحنبلي. وحول كل مذهب من المذاهب الفقهية ألفت كتب كثيرة لصاحب المذهب أو تلامذته وأتباعه.

٣ ـ اللغة والنحو.

بدأ التأليف في متن اللغة برسائل صغيرة تتناول أموراً محددة كالكلمات المتعلقة بالإنسان والجمل والفرس والسيف والنخلة، ثم جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي فألف أول معجم شامل وهو كتاب (العين)، ثم توالت المعاجم بعد ذلك، فألف ابن دريد (جمهرة اللغة)، والأزهري (تهذيب اللغة)، والجوهري (الصحاح)، والصاحب بن عباد (المحيط)، وابن فارس (المجمل)، والزمخشري (أساس البلاغة).

أما النحو فقد ازدهر في العصر العباسي، ووجدت المدارس النحوية كالمدرسة البصرية، وأشهر رجالها: أبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد، وسيبويه صاحب أعظم كتاب في النحو (الكتاب)، والأخفش.

أما المدرسة الكوفية فأشهر رجالها: معاذ الهراء، والرؤاسي، والكسائي، والفراء.

٤ ـ البلاغة والنقد.

ألف أبو عبيدة معمر بن المثنى أول كتاب في البلاغة (مجاز القرآن)، ثم جاء الجاحظ فتحدث عن كثير من علوم البلاغة في كتبه وعلى وجه الخصوص (البيان والتبيين)، وألف ابن المعتز كتاب (البديع).

ثم جاء عبدالقاهر الجرجاني، فألف أعظم كتابين في البلاغة العربية، وهما (دلائل الإعجاز)، و (أسرار البلاغة).

أما النقد فقد نشطت الحركة النقدية وتعددت المدارس والاتجاهات، وقامت المعارك الأدبية بين القدماء والمحدثين، ثم بين أنصار أبي تمام وخصومه، ثم جاء المتنبي فألفت حول شعره مدحا وقدحا عشرات الكتب.

ومن أشهر كتب النقد في هذا العصر: (الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري) للآمدي و (الوساطة بين المتنبي وخصومه) للقاضي الجرجاني، و (نقد الشعر) لقدامة بن جعفر، وكتاب (الصناعتين) للعسكري، و (المثل السائر) لابن الأثير.

٥ ـ الأدب.

بدأ التأليف في الأدب برسائل صغيرة كأكثر كتب ابن المقفع والأصمعي وأبي عبيدة، ثم جاء دور الكتب الكبيرة الموسعة، فألف الجاحظ (البيان والتبيين)، وأحمد بن طيفور (المنظوم والمنثور)، والمبرد (الكامل)، وابن قتيبة (الشعر والشعراء) و(أدب الكاتب).

ومن كتب الأدب والتراجم الكبيرة في هذا العصر (الأغاني) لأبي الفرج الأصبهاني، و(يتيمة الدهر) للثعالبي، و(معجم الأدباء)لياقوت الحموي.

٦ ـ التاريخ.

تنوعت المؤلفات في التاريخ في العصر العباسي، فهناك الكتب التي تعنى بالمغازي والسير (كسيرة ابن اسحاق) وبعدها (سيرة ابن هشام)، وهناك الكتب التي تعنى بالفتوح ككتب الواقدي والمدائني، وهناك كتب الطبقات والرجال (كطبقات ابن سعد)، وهناك كتب الأنساب ككتب ابن الكلبي، وهناك الكتب التي تعنى بأخبار العرب وأيامهم ككتب الأصمعي وأبي عبيدة.

ومن أشهر الكتب التاريخية التي ألفت في هذا العصر (تاريخ الرسل والملوك) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، و(تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي، و(الكامل في التاريخ) لابن الأثير.

٧ ـ تقويم البلدان (الجغرافيا).

عُني المسلمون في العصر العباسي بتقويم البلدان ومعرفة الطرق والمسالك ووصف الأرض، وألفوا في ذلك كتباً كثيرة، منها: كتاب (المسالك والممالك) لابن خرداذبة، و(معجم البلدان) لياقوت الحموي.

كما كثرت الرحلات ووصف طرق الحج.

الـتـــرجـمـــــــة

نشطت الترجمة في العصر العباسي نتيجة لاختلاط الشعوب الإسلامية والتقـدم العلمـي والحاجـة إلى الاطـلاع على ما عنـد الأمـم الأخـرى من علـوم وفنـون.

وأشهر من شجع الترجمة من الخلفاء العباسيين أبو جعفر المنصور الذي كان عالماً محباً للعلماء، فتُرجمت في عهده كتب كثيرة في الطب والكيمياء والرياضيات والفلك.

وفي عهد الخليفة المأمون بلغت حركة الترجمة ذروتها، فقد أنشأ داراً خاصة للترجمة عُرفت باسم «بيت الحكمة»، وفيها نشأت طبقة من كبار المترجمين الذين نقلوا إلى العربية ذخائر اليونان والفرس والهنود.

وقد شملت الترجمة من الفارسية الكتب العلمية والأدبية، وأما الترجمة من اليونانية فكانت مقصورة على كتب العلوم من طب وطبيعة وحيوان، وكذلك على كتب المنطق والفلسفة.

ولم يترجم العرب الأدب اليوناني، ولذلك أسباب منها: أن الأدب اليوناني أدب وثني، يقوم على تعداد الآلهة كما يزعمون.

وقد قامت إلى جانب الترجمة حركة لتعريب المصطلحات، وكان لذلك أثر طيب في إثر اللغة العربية بالمصطلحات العلمية.

ومن أوائل المترجمين: عبدالله بن المقفع، ومن أشهرهم أولاد موسى بن شاكر، ومحمد بن موسى الخوارزمي، وأبويوسف يعقوب الكندي، وثابت بن قرة، ومحمد بن إبراهيم الفزاري.

مناقشـــــة

١ ـ متى يبدأ العصر العباسي، ومتى ينتهي؟ واذكر التقسيم التاريخي والأدبي لهذا العصر.

٢ ـ اذكر أهم المظاهر السياسية والاجتماعية في هذا العصر بإيجاز.

٣ ـ ازدهرت حركة التأليف في العصر العباسي في شتى العلوم. بين مظاهر هذا الازدهار في علمي التفسير والحديث.

٤ ـ من بين العلوم التي نمت وازدهرت في هذا العصر ـ علم التاريخ. اذكر أهم كتبه في هذا العصر ومؤلفيها.

٥ ـ من أول من شجع على الترجمة من الخلفاء العباسيين، ومن الخليفة الذي بلغت الترجمة في عهده ذروتها، وما أهم إنجازاته في مجال الترجمة.

الشعر في العصر العباسي

ازدهر الشعر وبلغ أوج عظمته في العصر العباسي الأول، فقد كان الخلفاء والوزراء يشجعون الشعراء ويمنحونهم العطايا والهبات.

كما أن اختلاط العرب بالأمم الأخرى، وما نقل إلى العربية من أداب الفرس والهنود أدى إلى دخول أساليب جديدة في الشعر العربي، وفتح أذهان الشعراء وخيالاتهم على أبواب من القول والإبداع.

وفي العصر العباسي الثاني قوي الشعر رغم ضعف دولة الخلافة، لكن وجود حكام يحبون أن يتشبهوا بالخلفاء في العظمة والسلطان جعلهم يقربون الشعراء، ويغدقون عليهم العطاء؛ فقد ضم بلاط سيف الدولة الحمداني في حلب عدداً كبيراً من الشعراء، كما أن ابن العميد قد أحاط نفسه بعدد كبير منهم، وهكذا قوي الشعر مع انقسام الدولة.

التجديد في الأغراض والمعاني.

قال الشعراء العباسيون الشعر في المدح والفخر والرثاء والهجاء وغير ذلك من الأغراض القديمة، لكنهم جددوا في المعاني التي تناولوها في شعرهم، كما أبدعوا في بعض الأغراض الجديدة.

ومن مظاهر التجديد في الشعر العباسي.

١ ـ تطور فن الوصف واتسعت آفاقه، فأبدع الشعراء العباسيون في وصف الطبيعة، وإن لم يبلغوا شأو الأندلسيين، كما وصفوا القصور ومظاهر العمران وكذلك الصيد (الطرديات) والمعارك البرية والبحرية.

٢ ـ كثرت الحكمة في الشعر العباسي؛ لوجود شعراء يتميزون برجاحة العقل وعمق التفكير، كما في حكم أبي تمام والمتنبي والمعري.

٣ ـ في الرثاء: أصبحت قصائد الرثاء عند بعض الشعراء كالمعري وابن الرومي مجالاً للحديث عن فلسفة الحياة والموت، وكأن رثاء الفقيد إنما هو منطلق ينطلق منه الشاعر إلى بث أفكاره وخواطره.

٤ ـ وجد شعر الخمر نتيجة لرواج شربها، ومجاهرة بعض الشعراء بذلك.

٥ ـ في الغزل: وجد الغزل الفاحش المستهتر نتيجة لضعف الدين والاختلاط بالأمم الأخرى، كما وجد في هذا العصر الغزل بالمذكر، والعياذ بالله.

٦ ـ وجد شعر الشك والزندقة والمجون والشعوبية.

٧ ـ برز الزهد والتوبة والندم بسبب ظهور الموبقات وانغماس طبقة من الناس في ملذات الحياة، وقد خالط شعر الزهد شيء من التصوف.

٨ ـ ظهور المبالغة التي تصل إلى حد الخروج عن المعقول، سواء أكان ذلك في المدح أم في الهجاء أم الوصف أم غير ذلك من الأغراض الشعرية، كقول أبي نواس يمدح هارون الرشيد:

وأَخَفْتَ أَهْلَ الشرك حتى إنه لَتَخَافُكَ النُّطَفُ التي لم تُخْلَقِ

٩ ـ ومن الأغراض الجديدة نظم العلوم. وإدخاله في الشعر إنما هو من باب التجوز لخلو المنظومات من الخيال والعاطفة. ومن أشهر من نظم العلوم في العصر العباسي صالح بن عبدالقدوس وأبان بن عبدالحميد اللاحقي.

ولم يأت آخر العصر إلا ونجد في كل علم من العلوم منظومات كثيرة (المتون) وشروحاً لتلك المنظومات.

التجديد في أساليب الشعر وأوزانه.

اتخذ التجديد في الأسلوب والوزن مظاهر كثيرة، منها:

١ ـ الثورة على نظام القصيدة العربية التي تبدأ بذكر الأطلال والغزل والرحلة (عمود الشعر) خصوصاً من الشعوبيين كأبي نواس الذي قال:

عَاجَ الشَّقِيُّ على رَسْمٍ يُسَائِلُهُ وعُجْتُ أسألُ عن خمَّارة البلد

يَبْكي على طَلَلِ الماضين من أسدٍ لا دَرَّ دَرُّك، قل لي: من بنو أسدِ

لا درَّ دَرُّ الذي يبكي على طللٍ ولا صفا قلبُ من يهفو إلى وتد

وقد بدأ بعض قصائده بوصف الخمر. لكن يُذكر أنه تاب توبة صادقة في آخر عمره.

٢ ـ الإغراق في البديع: وقد بدأ ذلك بشكل مقبول في أول العصر عند مسلم بن الوليد وأمثاله، ثم أخذ الشعراء يغرقون في المحسنات البديعية من جناس وطباق وتورية، إلى أن ذهب جمال الشعر وروعته.

٣ ـ هجر الكلمات الغريبة، والميل إلى وضوح الألفاظ وسلاستها، والإكثار من الصور الشعرية والتشبيهات المركبة، وكان ذلك أثراً من آثار الحضارة والتمدن.

٤ ـ تسرب إلى الشعر الكثير من الألفاظ الأعجمية؛ لأن بعض الشعراء لم يكن عربي الأصل، أو كان يدخل الألفاظ الأعجمية تعصب، وكذلك تسرب إليه كثير من مصطلحات العلوم والفنون كقول بعضهم:

عُزلْتُ ولم أذنبْ ولم أكُ جانياً ... وهذا لإنصاف الوزير خلافُ

حُذفْتُ وغيري مُثْبَتٌ في مكانه ... كأنيَ نونُ الجمع حين يضاف

٥ ـ في أواخر العصر كثر شعر التورية والتعمية والألغاز والصناعة اللفظية، فنظم بعض الشعراء أبياتا تقرأ من أولها أو من آخرها ولا تتغير، وهو ما يسمى (بالقلب)، كقول الشاعر:

مودتُهُ تدومُ لكل هَوْلٍ ... وهل كلٌّ مودتُه تدومُ

ونظموا أبياتاً ليس فيها حرف منقوط، أو ليس فيها حرف مهمل، وهكذا تحول الشعر إلى عبث وتسلية.

٦ ـ وقد جدد الشعراء في أوزان الشعر، فلم يقتصروا على بحور الخليل، بل نظموا على عكسها كالمستطيل والممتد، وهما عكس الطويل والمديد. كذلك أكثروا من استعمال البحور الشعرية القصيرة والخفيفة ونظم المقطعات القصيرة.

كما نظموا الموشحات وإن كان أهل الأندلس أقدم وأقدر عليها من المشارقة. وسوف نتحدث عن الموشحات بشيء من التفصيل عند حديثنا عن الأدب الأندلسي.

كما نظم المستعربون قصائد ومقطوعات على أوزان جديدة كالدوبيت[1] والمواليا[2].

(١) وهي كلمة مأخوذة من اللغة الفارسية، والمراد بالدوبيت الشعر الذي ينظم على وزن: متفاعلن فعولن فعلن، وينظم على بيتين مثل:

قد أقسم من أُحبُّهُ بالباري ... أن يبعث طَيفَهُ مع الأسحار

يا نار أشواقي بَه فَاتَّقِدي ... ليلاً فَعَسَاهُ يهتدي بالنار

(٢) المواليا: أول ما عرف هذا اللون بعد نكبة البرامكة، فقد منع هارون الرشيد الناس من النواح عليهم أو رثائهم، فكان بعض أنصارهم ينوحون عليهم ويقلون: (ياموالي)، فصار هذا الشعر يعرف بالمواليا، ثم أصبح يعرف بالموال، وهو ليس من الشعر الفصيح، وإنما هو من الشعر الملحون.

شعر الدعوة الإسلامية .

إلى جانب الشعر الماجن المستهتر الذي وُجد في العصر العباسي، كان هناك شعر جاد رصين ينبض بالروح الإسلامية، وتشع منه أنوار اليقين، ويفوح منه عبق الإيمان وذلك هو شعر الدعوة الإسلامية.

ويتجلى هذا الشعر في مجالات عديدة وفنون شعرية مختلفة:

١ ـ فهناك الشعر الحربي الذي يقال في الجهاد، وقد قامت بين الدولة العباسية والروم حروب كثيرة، كما حدث في معركة عمورية التي قال فيها أبو تمام ملحمته الخالدة، وسنورد نماذج منها في ترجمة أبي تمام، وكذلك بعض ما قاله المتنبي في حروب سيف الدولة ضد الروم.

٢ ـ رثاء الأبطال الذين حاربوا الكفار وأبلوا في الحروب بلاءً حسنا، ومن نماذج ذلك رثاء أبي تمام لمحمد بن حميد الطوسي.

٣ ـ شعر التوبة والندم والاستغفار، كقول أبي العتاهية:

إلهي لا تُعذِّبْني فإني ... مُقِرٌّ بالذي قد كان مِنِّي

ومالي حيلة إلا رجائي ... وعفوك- إن عَفَوْتَ- وحسنُ ظَني

وكم من زَلَّة لي في الخطايا ... وأنت عَلَيَّ ذو فضل وَمَنِّ

إذا فكرت في ندمي عليها ... عضَضْتُ أناملي وقرعتُ سنِّي

يظن الناس بي خَيْراً وإني ... لَشَرٌّ الناس إن لم تَعْفُ عَنِّي

أُجَنُّ بزهرة الدنيا جُنُوناً ... وأقطع طولَ عمري بالتَّمَنِّي

ولو أني صدقتُ الزهدَ فيها ... قلبتُ لأهلها ظَهْرَ المجَنِّ

٤ ـ وما قيل في المحن التي مرت بالمسلمين في داخل أوطانهم من صراعات دامية، وكذلك ما قام في هذا العصر من فتن في العقيدة، كفتنة القول بخلق القرآن، وللشاعر علي بن الهجم في الدفاع عن أهل السنة وتأييد موقف الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله قصائد كثيرة.

٥ ـ الدعوة إلى التمسك بالأخلاق الإسلامية الفاضلة.

ومن أراد الاطلاع على نماذج جيدة من شعر الدعوة الإسلامية فعليه بمراجعة سلسة الكتب التي تصدرها كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية تحت عنوان (شعر الدعوة الإسلامية)، فسيجد نماذج شعرية كثيرة.

نماذج من الشعر العباسي [1]

١ - المدح.

قال مروان بن أبي حفصة[2] يمدح الخليفة المهدي:

أحيا أميرُ المؤمنين محمدٌ ... سُنَنَ النبي حَرامَها وحَلالَها

مَلِكٌ تَفَرَّعَ نَبْعُهُ[3] من هاشم ... مَدَّ الإلهُ على الأنام ظلالَها

جَبَلٌ لأمتِه تَلُوذُ بركْنه ... رَادَى[4] جِبَالَ عَدُوِّها فأزالَها

ثَبْتٌ على زَلَلِ الحوادث راكبٌ ... من صَرْفِهنَّ لكل حَالٍ حالها

كلتا يديك جَعَلْتَ فَضْلَ نوالها ... للمسلمين وفي العدو وَبالها

وقعتْ مَواقعَها بعَفْوِكَ أنفسٌ ... أذْهبتَ بعد مَخافَةٍ أوْجَالَها

ونَصَبْتَ نَفْسَكَ خَيْرَ نفس دونها ... وَجَعَلْتَ مَالَك واقياً أموالَها

---

(١) ستأتي دراسة مفصلة لكل من: أبي تمام، والبحتري، والمتنبي، وفيها نماذج كثيرة من أشعارهم، لذا فقد أوردنا هنا نماذج لشعراء عباسيين آخرين.

(٢) مروان بن أبي حفصة: ولد عام ١٠٥هـ باليمامة، ثم قدم بغداد وأصبح من شعراء الخليفة المهدي والمقربين إليه، وتوفي عام ١٨٢هـ. جمع شعره وأخباره قحطان رشيد التميمي في رسالة ماجستير منشورة في بغداد عام ١٩٧٢م وكذلك الدكتور حسين عطوان، والقصيدة في ديوانه بتحقيق حسين عطوان ص٩٦.

(٣) نبعه: أصله ومصدره.

(٤) رادى: رادى الجبل: رماه وهده.

وقال علي بن الجَهْم[1] يمدح المتوكل:

عُيونُ المها بين الرُّصَافَة والجِسْرِ ... جَلَبْنَ الهوى من حيثُ أدْري ولا أدْري[2]

أعَدْنَ ليَ الشوقَ القديمَ ولم أكُنْ ... سَلَوْتُ، ولكنْ زِدْنَ جَمْراً على جَمْرِ

سَلِمْنَ وأسْلَمْنَ القلوبَ كأنما ... تُشَكُّ بأطراف المُثَقَّفَة السَّمْرِ

خليليَّ ما أحلى الهوى وأمَرَّهُ ... وأعْلَمَني بالحُلْو منه وبالمُرِّ

وما أنا ممن سار بالشعر ذكرُهُ ... ولكنَّ أشعاري يسير بها ذكْري

وما الشعرُ مما أسْتَظِلُّ بظلِّه ... ولا زادني قَدْراً، ولا حَطَّ من قَدْري

ولكنَّ إحْسَانَ الخليفة جَعْفَرٍ ... دعاني إلى ما قُلْتُ فيه من الشعر

إذا نحن شَبَّهْنَاهُ بالبَدْرِ طالعا ... وبالشمس قالوا: حُقَّ للشمس والبَدْرِ

ومن قال: إن البحر والقَطْرَ أشْبَهَا ... نَدَاهُ فقد أثنى على البحر والقَطْرِ

ولو قُرِنَتْ بالبحر سبعةُ أبْحُرٍ ... لما بلغتْ جَدْوى أناملِه العَشْرِ

ولا يَجْمَعُ الأموالَ إلاّ لَبَذْلِها ... كما لا يُسَاقُ الهديُ إلاّ إلى النحْرِ

---

(١) علي بن الجهم: أبوالحسن علي بن الجهم القرشي، من شعراء الدولة العباسية، ولد عام ١٨٨هـ تقريباً، ونشأ نشأة عربية خالصة، وكان شاعر أهل السنة الذي يرد على المعتزلة وغيرهم من الفرق. ونال مكانة كبيرة في عهد المتوكل، ثم أنقلب عليه وسجنه، ثم خرج من السجن وقتل عام ٢٤٩هـ في طريقه لجهاد الروم في الثغور الإسلامية.
وقد طبع ديوانه في دمشق بتحقيق خليل مردم، والقصيدة في الديوان ص ٢٥٢.
وللدكتور عبدالرحمن الباشا دراسة عنه بعنوان: «علي بن الجهم».

(٢) الرصافة: الجانب الشرقي من بغداد.

٢ ـ الفخـــر .

قـال أبو العـلاء المعـري[١]:

ألا في سـبـيل المَجْـد مـا أنا فـاعلٌ ... عَـفَـافٌ وإقْـدامٌ وحَـزْمٌ ونَائلُ[٢]

أعنْدي وقـد مَـارَسْتُ كُلَّ خَـفـيَّـة ... يُصـدَّقُ واشٍ أو يُخَـيَّبُ سـائلُ[٣]

تُعَـدُّ ذنوبي عند قـوم كـثـيـرةً ... ولا ذَنْبَ لي إلا العـلا والفَـواضلُ[٤]

وقـد سَـارَ ذكْـري في البـلاد فـمن لهم ... بإخْـفـاء شـمْسٍ ضَـوْؤُها مُـتَكَاملُ

يُهِمُّ الليـالي بَعْضُ مـا أنا مُـضْـمـرٌ ... ويُثْـقلُ رَضْـوى دون مـا أنا حـاملُ[٥]

وإني وإن كنتُ الأخـيـرَ زمـانُه ... لآت بما لـم تَسْـتَطعْـهُ الأوائل

وأغْـدُو ولو أنَّ الصـبـاحَ صـوارمٌ ... وأسْـري ولو أنَّ الظلامَ جَـحَـافلُ[٦]

وإني جَـوَادٌ لم يُحَلَّ لجـامُـهُ ... ونضْـوُ يَمَـان أغْـفَلَتْـهُ الصـيـاقلُ[٧]

وإن كـان في لُبْس الفـتى شَـرَفٌ له ... فـمـا السَّـيفُ إلا غـمْـدُهُ والحَـمَـائلُ

ولما رأيتُ الجـهلَ في الناس فـاشـيـاً ... تجـاهَلْتُ حـتى ظُنَّ أنيَ جَـاهلُ[٨]

فَـوَا عـجـبـاً كم يَدَّعي الفَـضْلَ نَاقصٌ ... ووا أسـفـا كَمْ يُظْهـرُ النقصَ فـاضلُ

(١) أبو العلاء المعري: أحـمد بن عبدالله بن سليمـان التنوخي المعري (نسبة إلى مـعرة النعمان قرب حلب)، شـاعر فيلسـوف كاتب، ولد بالمعرة عـام ٣٦٣هـ، وتوفي عام ٤٤٩هـ. يلقب بـرهين المحبسين (العمى ولزوم الـدار). له مؤلفات كثـيرة، منها: رسالة الغفران، واللزوميات، وسقط الزند، وعبث الوليد، ومعجز أحمد، وذكرى حبيب. والقصيدة في سقط الزند جـ٢ ص٥١٩.

(٢) يقول جمعت: العفة والشجاعة والحزم والجود. والنائل: العطاء. والإقدام: الشجاعة.

(٣) مارس : جرب الأمور وعرفها.

(٤) الفواضل : العطايا ، وهذا من تأكيد المدح بما يشبه االذم.

(٥) يهم الليالي : يحزنها ويقلقها . ورضوى : جبل قرب المدينة المنورة.

(٦) لا يثنيني شيء عن مطلب أرومه أو أحاوله.

(٧) الجواد: العتـيق من الخيل السابق . النضو: السـيف الذي تقادم عليه الزمان فعـلاه الصدأ، والصياقل: جـمع صيقل وهو الذي يصقل السيوف ويجلوها.

(٨) تجاهل: أرى من نفسه أنه جاهل، على حين أنه ليس كذلك.

إذا وَصَفَ الطائيَّ بالبُخْلِ مَادرٌ ... وَعَيَّرَ قُسّاً بالفَهاهَةِ بَاقلُ[1]

وقال السُّهَا للشمس أنت خَفِيَّةٌ ... وقال الدُّجَى: ياصُبْحُ لونُك حَائلُ[2]

وَطاولت الأرضُ السماءَ سَفَاهَةً ... وفَاخَرَت الشُّهْبَ الحَصى والجَنَادلُ[3]

فيا موتُ زُرْ إنَّ الحَياةَ ذَمِيمَةٌ ... ويا نَفْسُ جِدِّي إنَّ دهرك هَازِلُ

وقال الشريف الرضي[4]:

لغَيْرِ العُلى مني القلى والتجنُّبُ ... ولولا العُلا ما كنتُ في الحُبِّ أرغَبُ

إذا الله لم يُعْذِرْكَ فيما تَرُومُهُ ... فما الناسُ إلاَّ عَاذلٌ أو مُؤَنِّبُ[5]

مَلَكْتُ بحلْمي فُرصَةً ما اسْتَرَقَّها ... من الدهر مَفْتولُ الذراعين أغْلَبُ[6]

فإن تَكُ سنِّي ما تطاولَ باعُها ... فلي من وراء المجد قلْبٌ مُدَرَّبُ

فحسبيَ أني في الأعادي مُبَغَّضٌ ... وأني إلى غُرِّ المعالي مُحَبَّبُ

وللحلْمِ أوقاتٌ وللجَهْلِ مِثْلُها ... ولكنَّ أوقاتي إلى الحلْم أقْرَبُ

يَصُولُ عليَّ الجاهلون وأَعْتَلي ... ويُعْجِمُ فيَّ القائلون وأعرب[7]

يَرَوْنَ احتمالي غَصَّةً، ويزيدُهم ... لَوَاعِجَ ضَغْنٍ أنني لستُ أغْضَبُ

ولا أعرفُ الفحشاءَ إلا بوصْفِها ... ولا أنْطِقُ العَوْراء والقَلْبُ مُغْضَبُ[8]

(١) الطائي: يعني حاتماً الطائي. ومادر: رجل يضرب به المثل في البخل. وقس بن ساعدة الإيادي: حكيم، خطيب مشهور. وباقل: رجل مشهور بالفهاهة، ومعروف بالعي.

(٢) السها: كوكب خفي في بنات نعش الكبرى، يمتحن الناس به أبصارهم. والحائل: المتغير.

(٣) الشهب: الكواكب. الجنادل: الحجارة الكبار.

(٤) الشريف الرضي: أبوالحسن محمد بن الحسين بن موسى الكاظم من نسل الحسين بن علي، ولد في بغداد عام ٣٥٩هـ، وتولى نقابة الطالبيين، وتوفي عام ٤٠٦هـ. من كبار شعراء العصر العباسي وبلغائه، له مؤلفات كثيرة، منها: نهج البلاغة، وتلخيص البيان في مجازات القرآن. وله ديوان شعر كبير، طبع عدة طبعات. والقصيدة في ديوانه جـ١ ص١٠٧ (دار صادر).

(٥) يعذرك: ينصرك. والعذير: النصير.

(٦) استرقها: ملكها.

(٧) يعجم: يبهم القول. أعرب: أفصح.

(٨) العوراء: الكلمة القبيحة.

٣ ـ الرثاء.

قال ابن الرومي[١] يرثي ابنه محمداً :

بُكَاؤُكُما يَشْفي وإنْ كان لايُجدي ... فَجُودا فقد أوْدى نَظيركُما عنْدي[٢]

بُنَيَّ الذي أهْدَتْهُ كَفَّايَ لِلثَّرَى ... فَيَا عِزَّةَ المُهْدَى ويا حَسْرَةَ المَهْدي

تَوَخَّى حِمَامُ المَوت أوسَطَ صِبْيَتي ... فلله كَيف اختارَ واسطَةَ العِقْدِ[٣]

على حينَ شِمْتُ الخَيْرَ مَن لَمَحَاته ... وآنَسْتُ من أفْعَاله آيَةَ الرُشْدِ[٤]

طَوَاهُ الرَّدَى عَني فأضحى مَزَارُهُ ... بعيداً على قُربٍ قريباً على بُعْدِ[٥]

لقد أنْجَزَتْ فيه المَنَايا وَعيدَها ... وأخْلَفَت الآمالُ ماكان من وَعْدِ[٦]

لقد قَلَّ بين المَهْدِ واللَّحْدِ لُبْثُهُ ... فلم يَنْسَ عَهْدَ المَهْدِ إذْ ضُمَّ في اللحْدِ[٧]

أَلَحَّ عليه النَزْفُ حتى أحَالَهُ ... إلى صُفْرة الجَاديِّ عن حُمْرَة الوردِ[٨]

وظَلَّ على الأيدي تَساقَطُ نَفْسُهُ ... ويَذْوي كما يَذْوي القَضيْبُ من الرَّنْدِ[٩]

فيالك من نَفْسٍ تَسَاقَطُ أنْفُساً ... تَسَاقُطَ دُرٍّ من نظامٍ بلا عِقْدِ

عَجِبْتُ لقلبي كيف لم يَنْفطرْله ... ولو أنه أقْسى من الحَجَرِ الصَّلْدِ[١٠]

---

(١) ابن الرومي: أبو الحسن علي بن العباس بن جريج الرومي، ولد ببغداد عام ٢٢١هـ. وكان نحيل الجسم، شديد التشاؤم والتطير والعصبية، وقد توالت عليه المصائب ففقد ماله وتوفي أولاده. وكان طويل النفَس في شعره، ويمتاز بالقدرة على التحليل، كما أنه أبدع في التصوير والوصف الدقيق حتى فاق شعراء عصره في ذلك الجانب. وقد مات مسموماً عام ٢٨٣هـ.

(٢) يجدي: ينفع. جودا: الجود الكرم. أودى: هلك. النظير المائل والمشابه.

(٣) توخى: اختار. واسطة العقد: أثمن حبة في العقد، وتكون عادة في وسطه.

(٤) شام: رأى أوتوقع. آنس: أحس ورأى. الآية: العلامة.

(٥) الردى: الموت. المزار: المكان الذي يقصد للزيارة.

(٦) انجزت: أتمت. الوعيد: الانذار بالشر. والوعد. البشارة بالخير.

(٧) المهد: السرير. اللحد: القبر: أى أن المسافة بين ميلاده ووفاته قصيرة.

(٨) ألح: استمر الجادي: الزعفران. والمعنى أن النزيف قلب لونه من الحمرة إلى الصفرة.

(٩) يذوي: يذيل. الرند: نبات طيب الرائحة لدن الأغصان.

(١٠) ينفطر: ينشق. الصلد: الصلب القاسي.

غَيْرُ مُجْدٍ في ملَّتي واعتقادي ... نَوْحُ باكٍ ولا تَرَنُّمُ شَادِ[1]

وشبيهٌ صَوْتُ النَعيِّ إذا قيـ ... ـسَ بصوت البشير في كل نَادِ

أبَكَتْ تلكمُ الحمامةُ أم غَنَّـ ... ـتْ على فَرْعِ غُصْنِهَا المِيَّادِ

صَاحِ هَذي قُبُورُنا تَمْلأُ الرحْـ ... ـبَ فأين القَبورُ من عهد عَادِ

خَفِّف الوَطْءَ ما أظنُّ أديم ... الأرضِ إلا من هذه الأجْسَادِ[2]

وقَبيحٌ بنا وإن قَدُمَ العهـ ... ـدُ هوانُ الآباء والأجدادِ

سِرْ إن اسْطَعْتَ في الهواء رُوَيْداً ... لا اخْتِيالاً على رُفَاتِ العِبَادِ[3]

رُبَّ لَحْدٍ قد صار لَحْداً مراراً ... ضَاحِكٍ من تَزَاحُمِ الأضْدَادِ

ودَفِينٍ على بَقَايا دَفِينٍ ... في طَوِيلِ الأزْمَانِ والآبَادِ[4]

(١) الشادي: المغرد من الطيور.

(٢) أديم الأرض: ظهرها.

(٣) رفات: الحطام والفتات من كل ما انكسر واندق، والمراد بقايا أجساد الموتى.

(٤) الآباد: الدهور.

٤ ـ الهجـــاء.

قال علي بن الجهم يهجو القاضي أحمد بن أبي دُؤاد[١]، وهو ممن ناصر المعتزلة، وقد أصيب بالفالج:

لم يَبْقَ منكَ سوى خيالكَ لامَعاً ... فوق الفراشِ مُمَهَّداً بوسَادِ
فَرِحَتْ بمصْرَعِك البريَّةُ كلُّها ... مَنْ كان منهُمْ مُوقِناً بمَعَادِ
كَم مَجْلسٍ لله قد عَطَّلْتَهُ ... كي لا يُحَدَّثَ فيه بالإسْنَادِ
ولَكَمْ مصابيحٍ لنا أطفأتَها ... حتى نَحِيدَ عن الطريق الهَادي
ولكم كَريمةِ مَعْشَرٍ أرمَلْتَها ... ومُحَدِّثٍ أوثَقْتَ بالأصْفَادِ
إنَّ الأسَارَى في السجون تَفَرَّجُوا ... لما أتتْكَ مواكبُ العُوَّادِ[٢]
وغدا لَمصْرعكَ الطبيبُ فلم يجد ... لدواء دائك حِيلَةَ المُرْتَادِ[٣]
فَذُق الهَوَانَ مُعَجَّلاً ومُؤجَّلاً ... والله ربُّ العَرْشِ بالمِرْصَادِ
لازال فالِجُكَ[٤] الذي بكَ دائماً ... وفُجِعْتَ قبل الموت بالأولادِ

٥ ـ الشكوى والعتاب.

قال ابن الرومي يعاتب صديقاً:

يا أخي أين عَهْدُ ذاك الإخَاءِ ... أين ما كان بَيْنَنَا من صَفَاءِ؟
كَشَفَتْ منك حَاجَتي هَنوَاتٍ ... غُطِّيَتْ بُرْهَةً بحُسْنِ اللقَاءِ
تَركَتْنَي ولم أكُنْ سَيِّءَ الظـ ... ـنِّ أسيءُ الظُّنُونَ بالأصْدِقَاءِ

(١) كان علي بن الجهم من أهل السنة، وعلى صلة بالإمام أحمد بن حنبل، ووقف ضد المعتزلة في فتنه القول بخلق القرآن. وقد كان القاضي أحمد بن أبي داؤد من أشد المعادين لأهل السنة، ومن المناصرين للمعتزلة، ولذلك هجاه علي بن الجهم بهذه القصيدة وغيرها.

(٢) العواد: الزوار للمريض.

(٣) المرتاد: طالب الشيء الباحث عنه، أي إن مرضك قد أعيا الطبيب فلم يجدله دواء

(٤) الفالج: مرض خطير من أنواع الشلل.

يـاأخي هَبْكَ لم تَهَبْ ليَ من سَعْـ ... ـيكَ حَظّاً كسائر البُخَلاء

أفلا كان منك ردٌّ جميلٌ ... فيه للنفس راحةٌ من عَنَاء

يا أبا القاسم الذي كنتُ أرجو ... هُ لدهري قَطَعْتَ مَتْنَ الرجاء

لا أجازيكَ عن غُرُورك إيا ... يَ غروراً وقيتَ سوءَ الجزاء

أنتَ عَيْني وليس من حَقِّ عيني ... غَمْضُ أجْفَانِهَا على الأقْذَاء

ما بأمثال ما أتَيْتَ من الأمر ... يَحُلُّ الفتى ذرَى العَلْيَاء

بَذَل الوَعْدَ للأخِلاَّء سَمْحاً ... وأبى بَعْدَ ذاك بَذْلَ الغَنَاء

قال أبو فراس الحمداني[1]:

مُصَابي جَليلٌ والعَزَاءُ جميلُ ... وظَنِّي بأن اللهَ سوف يُديلُ[2]

جِرَاحٌ تَحامَاها الأسَاةُ مَخُوفَةٌ ... وسُقْمان: بَادٍ منهما ودَخيلُ[3]

وأسْرٌ أقاسيه وليلٌ نُجُومُهُ ... أرى كُلَّ شيءٍ غيرَهن يزولُ

تَطُولُ بيَ الساعاتُ وهي قصيرةٌ ... وفي كُلِّ دَهْرٍ لا يَسُرُّك طُولُ

تَنَاساني الأصْحَابُ إلا عُصَيْبَةً ... سَتَلْحَقُ بالأخرى غَداً وتَحُولُ[4]

ومن ذا الذي يَبْقَى على العَهْدِ إنهمْ ... وإن كَثُرَتْ دعواهمُ لقليلُ

أُقَلِّبُ طَرْفي لا أرى غَيْرَ صاحبٍ ... يَميلُ مع النَّعْماء حيثُ تَميلُ[5]

---

(١) أبو فراس الحمداني: الحارث بن سعيد بن حمدان، ابن عم سيف الدولة الحمداني، ولد عام ٣٢٠هـ في الموصل ونشأ في كنف سيف الدولة بحلب، وشارك معه في حروبه، ووقع في أسر الروم، ففداه سيف الدولة وأطلق سراحه، وولاه على حمص. ولما توفي سيف الدولة وقع الخلاف بينه وبين أبي المعالي بن سيف الدولة، وقد وقعت بينهما معركة قتل فيها أبو فراس قرب حمص عام ٣٥٧هـ. والقصيدة في ديوانه بتحقيق الدكتور سامي الدهان جـ٢ ص٣١٣.

(٢) يديل: بغير ويبدل.

(٣) الأساة: جمع آس وهو الطبيب، والسقم المرض: . والبادي: الظاهر. والدخيل: المرض الخفي.

(٤) العصيبة: تصغير عصبة، والمراد العدد القليل من الأصدقاء.

(٥) النعماء: النعمة واليسار والسعة في المال

وصـــرْتَا نـرى أن المُتَـــارِكَ مُـــحْـــسِنٌ ... وأنّ صـــديقـــاً لايَضُـــرّ خَليلُ[1]

أكُلُّ خليلٍ هكذا غـــيْـــرُ مُنْصِفٍ ... وكلُ زمـــانٍ بالكرام بخـــيلُ

فـيـــا حَـــسْـــرَتا من لي بخل مـــوافقٍ ... أقـــولُ بشـــجـــوي ســـاعـــةً ويقـــول[2]

٦ ـ الغـــزل.

قال بشار بن بُرد[3]:

لـم يَـطُـلْ لـيـلـي ولـكـنْ لـم أنَـمْ ... ونَـفَـى عـنِّـي الـكَـرَى طَـيْـفٌ ألـم

وإذا قُـلتُ لـهـــا: جُـــودي لنا ... خَـــرَجَتْ بالصَّـــمْتِ عن لا ونَعَم[4]

نَفِّـــسي[5] يا عَـــبْـــدُ عني واعلمي ... أنني يـا عَـــبْـــدُ من لَحْمٍ ودَمْ

إنَّ في بُرْدَيَّ جـــســـمـــاً ناحـــلاً ... لـو تـوكـــأتِ عليـــه لانْهَـــدَمْ

خَـــتَـــمَ الحبُّ لـهـــا في عُنُقي ... مَـــوْضِعَ الخـــاتمِ مِنْ أهل الذِّمَم[6]

وقال الشريف الرضي:

يا ظَبْـيَـةَ البَـان تَرْعَى في خَـمَـائله ... ليـهْنَك اليـومَ أنَّ القلبَ مَـرْعَـاك[7]

الماءُ عِنْدك مَـــبْـــذولٌ لشـــاربه ... وليس يرويك إلا مَـــدْمَـــعي البـــاكي

---

(١) المتارك: من يتخلى عنك ويتخذ منك موقفا سلبيا، ولكنه لايحاول الإضرار بك.

(٢) الخل: الصديق المخلص. الشجو: أحزان النفس.

(٣) بشار بن برد العقيلي بالولاء. ولد بالبصرة عام ٩٥هـ على أرجح الأقوال. وهو من شعراء الدولتين الأموية والعباسية، وكان أعمى شريراً فصيحاً، وقتل بالبصرة عام ١٦٨هـ لزندقته.

(٤) أي لم تجب بلا ولا بنعم.

(٥) نفسي: أي فَرِّجي وخَفِّفي.

(٦) أهل الذمم: أي المعاهدون من اليهود والنصارى في الدولة الإسلامية، وكان بعضهم يعلق في عنقة خاتما من رصاص ليدل على أنه من تلك الفئة.

(٧) البان: شجر تشبه بأغصانه قامات الملاح في الاعتدال واللين. والخمائل: جمع خميلة. وهي الأشجار الملتفة الأغصان الناعمة الأوراق..

هَبّتْ لنا من رياحِ الغَـــوْرِ رائحـــةٌ ... بَعْـــدَ الرّقَـــادِ عَـــرَفْنَاها بريّاك[1]

ثـم انثـنينـا إذا مـــــا هَـزّنَـا طَـرَبٌ ... عَلى الرحـــال تعللنا بذكْـــرَاك

سَـــهْمٌ- أصـــاب ورامـــيـــه بذي سَلَم[2] ... مَنْ بالعـــراق، لقـــد أبعـــدتَ مَـرْمَـاك

حَكَتْ لحَـــاظُك مـــا في الرِّيمِ من مُلَحٍ ... يوم اللقـــاء وكـــان الفَـضْلُ للحـاكي[3]

كـــأن طَرْفَك يوم الجـــزْعِ[4] يُخْـــبـــرُنا ... بما طَوَى عنك من أســـمـــاء قَـــتْـــلاك

عندي رَسَـــائلُ شَـــوْقٍ لستُ أذكـــرُها ... لولا الرقـــيبُ لقـــد بَلَّغْـــتُـــهـــا فَـــاك

٧ ـ الوصـف.

قال عبدالله بن المعتز[5] يصف السحاب:

وسِـــــــــاريـةٍ[6] لا تَـمَـلُّ الـبُـكـا ... جَـــرى دَمْـــعُـــهَـــا في خُـــدُود الثـــرى

ســـرتْ تَقْـــدَحُ الصـــبحَ في لَيْلهـــا ... ببَـــرْقٍ كـــهـنْديَّة تُنْتَـــضَى[7]

فلمـــا دَنَتْ جَلْجَلتْ[8] في الســـمـــا ... ءِ رعـــدًا أجَشَّ كـــجَـــرِّ الرحَى

ضَـــمَـــانٌ عليـــهـــا ارتداء اليَـــفَـــا ... عِ بأنوارها واعـــتِـــجـــارُ الرُّبى[9]

---

(١) الغور: الأرضي المنخفضة، والمراد تهامة. الرياء: الرائحة الطيبة.

(٢) بذي سلم: واد قرب مكة.

(٣) الحاكي: المقلد والمردد للصوت.

(٤) الجزع: موضع قرب الطائف.

(٥) عبدالله بن المعتز: أبو العباس، عبدالله بن الخليفة المعتز، ولد عام ٢٤٧هـ. وقد عاش في جو من الاضطراب السياسي للدولة، حتى إنه بويع بالخلافة عام ٢٩٦هـ، ثم خُلع في اليوم الثاني وعُذب حتى مات، ولذلك يسقطه أكثر المؤرخين من عداد خلفاء بني العباس.
وقد كان ابن المعتز أديباً شاعراً ناقداً مؤلفاً، ومن مؤلفاته طبقات الشعراء، وكتاب البديع، وهما كتابان مطبوعان، كما أن ديوانه قد طبع عدة طبعات أدقها بتحقيق د. محمد بديع شريف والقصيدة في ديوانه ص ٢١ (دار صادر).

(٦) السارية: السحابة التي تسري ليلاً.

(٧) الهندية: السيوف، وتنتضى: أي تسل وتمشق من غمدها.

(٨) جلجلت: الجلجلة صوت الرعد.

(٩) اليفاع: الأرض المرتفعة. الاعتجار: الإحاطة.

فـــمـــا زال مَـــدْمَـــعُـــهـــا باكـــيًـــا ... علَى التّـــربِ حـــتى اكـــتـــسى مـــااكـــتـــسى

فـــأضْـــحَتْ ســـواءً وُجُـــوهُ البـــلاد ... وَجُـنَّ النبـــــاتُ بهـــــا والْتـــــقى

ومن روائع الوصف عند ابن الرومي قوله يصف قوس السحاب:

وقـــد نشـــرتْ أيدي الجنوب مَطَارفًـــا ... على الجَوِّ دُكْنًا، والحواشي على الأرض[1]

يُطَرِّزُهَا قَـــوْسُ الســـحـــاب بأخـــضـــرٍ ... على أحـــمـــرٍ في أصـــفـــرٍ إثْرَ مُـــبْـــيَضّ[2]

كـــأذْيال خَـــوْدٍ، أقـــبلت في غَـــلائلٍ ... مُـصَـبَّـغَـةٍ، والبَـعْضُ أقْـصَـرُ من بعض[3]

وقال يصف البنفسج:

بَنَفْـــسَجٌ، جُـــمِـــعَتْ أوراقُـــهُ، فَـــحكى ... كُـحْـلاً تَشـرَّبَ دَمْـعًـا، يوم تَشْـتـيت[4]

ولازَوَرْدِيَّة تَـزْهُو بـزُرقـــــتـــــهـــــا ... وَسْطَ الرياض، على حُـمْـرِ الـيـواقـيت[5]

كـأنهـا، وضـعـاف القُـضْبِ تَحْـمِلُهَـا ... أوائلُ الـنار فـي أطراف كِـــبْـــريت[6]

(١) الجنوب: أي ريح الجنوب، المطارف: جـمع مطرف: رداء من خز مربـع ذو أعـلام، وهـو مستـعار للغـيوم. الدكن: ماكان لونها يضرب إلى السواد، واحدها أدكن ودكناء..

(٢) يطرزها: الضمير يعود إلى المطاف، أي الغيوم.

(٣) الخود: الشابة الناعمة، غلائل: جمع غلالة، وهي شعار يلبس تحت الثوب.
وقولـه: البعـض أقصر من بعـض: يريد بذلك إظهار ألوانها المختلفـة، فيتألف منها قـوس السحـاب.

(٤) يوم تشتـيت: أي يوم فراق. المعنى أن فتـاة مكحلة بكت يوم الفراق، فـمازج الدمع كحل عـينيها، فـازرق لونه وصار بنفسجيا، وتفشى، فبدت عيناها كمجموعتي بنفسج.

(٥) لازوردية: أي بنفسجـية بلون حجر اللازورد، وهو معدن يتـولد بجبال أرمينية وفارس، وأجوده الـصافي الشفاف الأزرق الضارب إلى حمرة وخضرة، يتخذ للحلي، وله منافع في الطب. حمر اليواقيت: أراد بها قضبان البنفسج، وهي حمر بلون الياقوت.

(٦) القضب: جمع قضيب. الكبريت: مـادة بسيطـة معدنية صفـراء اللـون يوقـد بهـا، فـإذا أوقـد عودهـا بدت أوائل ناره بلـون أزرق لازوردي، ويظـل كـذلك حتـى يشتعـل مـا عليه من الكبريت.

٨ ـ الزهد والتوبة والندم.

وقال أبو العتاهية [١] في الزهد:

خَـــانكَ الطرفُ الطمـــوحُ ... أيهـــا القلبُ الجَمُـــوحُ

لدَواعي الخَـــيْـــر والشـــ ... ـــرِّ دُنـــوٌّ ونُـــزُوحُ

هَـــل لمطلـــوبٍ بـــذَنْـــ ... ـــبٍ تَـوْبَـةٌ منـه نَصُـــوحُ؟ [٢]

كـــيف إصْـــلاحُ قلوبٍ ... إنمـا هـنَّ قُـــرُوحُ؟

أحســـنَ اللـهُ بنـا أنَّ ... الخطـايـا لاتـفـــوحُ

فـــإذا المســـتـــورُ منَّا ... بين ثوبيـــه فـــضـــوحُ

كم رأينـا مـن عـــزيـز ... طُـويتْ منـه الكُشُـــوحُ [٣]

صـــاحَ منـه برحـــيلٍ ... صـــائحُ الدهـر الصَّـــدُوحُ

مَـــوْتُ بعـض الناس في الأر ... ضِ على قـــومٍ فُـــتُـــوحُ

سَـيَـصِـيـرُ المرءُ، يومـاً ... جسـداً مـا فـيـه رُوحُ

بـين عَـــيْـــنـي كـلِّ حَـيٍّ ... عَـلَـمُ الموتِ يَـلُـوحُ

كُـلُّنـا في غَـــفْـلَـة، والمـ ... ـوْتُ يَـغْـــدُو ويـرُوحُ

لـبَـني الدنيـــا، مـن الدنـ ... ـيا، غَـبَـوقٌ وَصَـبُـوحُ [٤]

رُحْنَ في الوشي، وأصـــبـحْ ... ـن عـليـهـن المُسُـوحُ

كُـلُّ نَـطَّـاحٍ، مـن الـدهـ ... ـر، لـه يـوم نـطـوحُ

نُحْ على نفـسك، يامـسكـ ... ـينُ، إن كـنـت تـنـوحُ

لَتَـمُـوتَنَّ، وإن عُـمِّـ ... ـرْتَ مـا عُـمِّـرَ نوحُ

---

(١) أبو العتاهية: إسماعيل بن القاسم، ولد عام ١٣٠هـ في عين التمر قرب الكوفة، وتوفي في بغداد عام ٢١١هـ، وأشتهر أبو العتاهية بقصائده في الزهد، وله ديوان شعر كبير.

(٢) نصوح صادقة.

(٣) الكشوح: جمع كشح: وهو ما بين السرة ووسط الظهر.

(٤) الغبوق: شراب المساء. الصبوح: شراب الصباح.

قال بشار بن برد :

إذا كنتَ في كل الأمور مُعَاتباً ... صديقَك لم تَلْقَ الذي لاتُعاتبُهْ

فَعِشْ واحداً أو صِلْ أخاك فإنه ... مُقَارفُ ذنبٍ مرةً ومُجانبُهْ

إذا أنت لم تَشْرَبْ مراراً على القَذَى ... ظَمِئْتَ وأيُّ الناس تَصْفُو مَشَارِبُه

ومن ذا الذي تُرْضَى سجاياه كلُّها ... كفى المرءَ نبلاً أن تُعَدَّ مَعَايِبُهْ

وقال الطغرائي[1] في لامية العجم :

أصَالَةُ الرأي صانَتْني عن الخَطَلِ ... وحِلْيَةُ الفضلَ زانَتْني لدى العَطَلِ[2]

حُبُّ السلامة يَثْني هَمَّ صاحبه ... عن المعالي ويُغْري المرءَ بالكسل

فإن جَنَحت إليه فاتَّخِذْ نَفَقاً ... في الأرض أو سُلَّماً في الجَوِّ فاعْتَزل[3]

ودَعْ غِمَارَ العُلا للمُقْدمين على ... رُكوبها واقْتَنِعْ منهنَّ بالبَلَل[4]

أُعَلِّلُ النفسَ بالآمال أرْقُبُها ... ما أضيقَ العيشَ لولا فُسْحَةُ الأمل

لم أرْتَضِ العيشَ والأيامُ مقبلةٌ ... فكيف أرضى وقد وَلَّتْ على عَجَل

وإنما رجُلُ الدنيا وواحِدُها ... من لا يُعَوِّلُ في الدنيا على رَجُل

ترجو البقاءَ بدارٍ لا ثَبَاتَ لها ... فهل سَمِعْتَ بظِلٍّ غيرِ مُنْتَقِلِ

---

(١) الطغرائي : أبو اسماعيل، الحسين بن علي المشهور بالطغرائي، نسبة إلى الطغراء، وهي الطرة التي كانت تكتب في أعلى المنشورات والأوامر الصادرة عن الديوان، منتضمنه اسم الملك ولقبه، ومن يتولى هذا العمل يسمى الطغرائي. ولد عام ٤٥٣هـ بأصبهان، وانتقل إلى بغداد، وتولى ديوان الطغراء للسلطان ملك شاه ابن ألب أرسلان السلجوقي، وقتل عام ٥١٥هـ. ولقصيدته المشهورة لامية العجم شروح كثيرة. وسميت لامية العجم لأن الطغرائي نظمها على نمط لامية العرب للشنفرى الأزدي. .

(٢) الخطل : المنطق الفاسد المضطرب والفحش والخطأ. العطل : عطلت المرأة أي خلا جيدها من الجواهر.

(٣) جَنَحَ : مال إلى حب السلامة. النفق : الطريق تحت الأرض. والمعنى : فإن ملت إلى حب السلامة فادخل في نفق تحت الأرض أو اصعد في الجو، لأن السلامة متعذرة عليك ما دمت بين الناس.

(٤) غمار : الغمار : اللجج والبحار العميقة، أي اترك المخاطرة في البحار العميقة لغيرك ما دمت راضياً بالسلامة.

مناقشـــة

١ ـ اذكر بعض مظاهر التجديد في أغراض الشعر ومعانيه في العصر العباسي .

٢ ـ يعتبر شعر الدعوة الإسلامية من الأغراض التي اتسعت مجالاتها في هذا العصر . اذكر ثلاثة من تلك المجالات مستشهداً ببعض ما تحفظ .

٣ ـ ما مظاهر التجديد في أساليب الشعر وأوزانه في هذا العصر؟

٤ ـ (الرثاء) من أغراض الشعر التقليدية، دخل عليه شيء من التجديد في هذا العصر . كيف كان ذلك؟ واستشهد ببعض الأبيات في هذا الغرض .

١ ـ أبـو تمّـــام

(١٨٨ ـ ٢٣١هـ)

حبيب بن أوس الطائي، ولد في قرية (جاسم) قرب دمشق عام ١٨٨هـ.

وقد لُقب بأبي تمام، إمَّا لما فيه من تمتمة يسيره في النطق، وإمَّا لأن له ابناً يسمى تماماً.

وقد انتقل منذ صباه إلى دمشق وعمل في الحياكة، ثم انتقل إلى مصر.

وقد نبغ في الشعر مبكراً، وكان كثير الطموح شديد الإعجاب بنفسه، فغادر مصر إلى دمشق عام ٢١٤هـ، ومدح الخليفة المأمون عندما مربها.

ولكن نجمه أخذ يعلو في عهد الخليفة المعتصم، إذ أصبح أكبر شعرائه، وقد استدعاه إلى بغداد، ثم انتقل معه إلى سامراء. واتصل كذلك بعبدالله بن طاهر في خراسان، ومدح القادة الكبار في الدولة العباسية، وشارك المعتصم في غزوة عمورية الشهيرة عام ٢٢٣هـ، وقال فيها ملحمته الخالدة:

السـيفُ أصـدقُ أنبـاءً من الكتبِ ... في حَـدِّه الحـدُّ بين الجِـدِّ واللعبِ

وفي آخر أيامه تولى بريد الموصل، وتوفي بها عام ٢٣١هـ.

وقد كان واسع الثقافة سريع البديهة، وقد ذكرتْ كتب الأدب قصة تدل على سرعة بديهته، فقد مدح أحمد بن الخليفة المعتصم بقصيدة مطلعها:

مـافي وقـوفك سـاعـةٌ من بَاسِ ... تَقْـضِي ذِمَـامَ الأرْبُعِ الأدْرَاسِ

فلما وصل إلى قوله:

إقْـدامُ عَـمْـرٍو في سَـمَـاحَـةِ حَـاتِمٍ ... في حِـلْـمِ أحْـنَـفَ في ذَكَـاءِ إيَاسِ

اعترض عليه ابو يوسف الكندي الفيلسوف، وقال: الأمير فوق من وصفتَ، وما زِدْتَ على أن شبهته بأجلاف العرب. فأطرق أبو تمام قليلاً، ثم قال على البديهة:

لاتُـنْـكِـروا ضَـرْبِـي لـه مَـنْ دُونَـه ... مَـثَـلاً شَـرُوداً في الندى والبَـاس

فـاللـهُ قـد ضَـرَبَ الأقلَّ لِنُورِه ... مَـثَـلاً من المشْكَاةِ والنِّبْـرَاس

ولما أُخذت القصيدة منه، لم يجدوا فيها هذين البيتين، فعجبوا، فقال الكندي: هذا الرجل لن يعيش كثيراً، لأن فكره يأكل جسمه كما يأكل السيفُ المهندُ غمْدَه.

شعـــره.

أبو تمام من فحول الشعراء في العصر العباسي، وقد كان صاحب مدرسة شعرية متميزة، وقد جدد في مضامين الشعر العربي وقوالبه.

وكان أبو تمام عميق التفكير سريع البديهة، وكان واسع الثقافة، ويبدو ذلك واضحاً فيما في شعره من إشارات تاريخية، كما كان قوى الذاكرة يحفظ من أشعار العرب وأراجيزها الشيء الكثير.

وقد نتج عن ذلك أن كان أبو تمام من شعراء المعاني الذين يعنون بالغوص على المعاني وابتكارها وإيراد التعليلات المنطقية، وأدى ذلك إلى شيء من الغموض والتكلف في شعره.

أما من ناحية الأسلوب، فقد عُني بالصناعة الشعرية، وبالتشبيهات والاستعارات، كما أن المحسنات اللفظية كثيرة في شعره.

أغراضه الشعرية.

قال الشعر في أغراض كثيرة كالمدح والرثاء والهجاء والوصف والغزل، وأشهر شعره في المديح، وقد شمل مدح الخلفاء والوزراء والأمراء وقادة الجيوش، فلم يترك أحداً من مشاهير عصره إلا مدحه.

أما الرثاء فقليل في شعره وإن كان قد أجاد فيه، وأشهر مراثيه قصيدته في رثاء القائد الشجاع محمد بن حميد الطوسي، ومن شهرتها قال أبو دلف العجلي: لم يمت من رُثي بهذا الشعر.

أما الوصف فقد أجاد في وصف المعارك الحربية، ولعل قصيدته في فتح عمورية من أعظم ما قيل في وصف المعارك الحربية، فهي ملحمة بطولة، وقد اعتمد فيها على خيال واسع خصب الإبداع، وملأها بالصور الجميلة الرائعة للمعارك، مع دقة في الوصف ومقدرة عجيبة على التشخيص.

كما أن له قصائد في وصف الطبيعة، فقد قال في الربيع والمطر والبرق والأزهار والرياض. أما الحكمة فقد نثرها في ثنايا شعره، وهي وليدة التجربة والعمق في التفكير والاستدلال المنطقي.

١ ـ لأبي تمام ديوان شعر كبير، وقد عُني بشرحه عدد كبير من علماء اللغة والأدب، وأشهر شروحه شرح التبريزي، .

٢ ـ الحماسة:

كتاب له شأن كبير في حفظ نماذج من الشعر الجيد، وقد سمي بالحماسة لأن أول أبوابه باب (الحماسة). وقد انتقى فيه أبو تمام روائع من الشعر العربي، قسمها إلى أبواب منها: الحماسة، والمراثي، والأداب، والنسيب، والهجاء، والأضياف، والمديح، والصفات.

وقد أثنى الأدباء على حسن اختياره، حتى قيل: إنه في اختياره أشعر منه في شعره.

٣ ـ نقائض جرير والأخطل.

٤ ـ ومن كتبه الأخرى: الاختيارات من شعر الشعراء، والاختيار من شعر القبائل وكتاب الفحول.

مختارات من شعر أبي تمام.

١ ـ قال أبو تمام يمدح المعتصم ويتحدث عن فتح عمورية:

السيفُ أصدق أنباءً من الكتب ... في حَدِّه الحدُّ بين الجِدِّ واللعب[١]

بيض الصفائح لاسودُ الصحائف ... في مُتُونهن جلاء الشك والرِّيَب[٢]

والعلمُ في شُهُب الأرماح لامعَةً ... بين الخَميسين لافي السبعة الشُّهُب[٣]

أين الروايةُ أم أين النجومُ وما ... صاغوه من زُخْرُف فيها ومن كَذِب؟

تَخَرُّصاً وأحاديثاً ملفقة ... ليست بِنَبْعٍ إذا عُدَّت ولا غَرَب[٤]

وخَوَّفُوا الناسَ من دَهْيَاءَ مظلمة ... إذا بَدَا الكوكبُ الغربي ذو الذنب[٥]

لو بَيَّنَتْ قطُّ أمراً قبل مَوْقعه ... لم تُخْفِ ما حلَّ بالأوثان والصُّلُب

فتحُ الفتوح تعالى أن يُحيط به ... نَظْمٌ من الشعر أو نثرٌ من الخُطَب

فتح تَفَتَّحُ أبوابُ السماء له ... وتَبْرُزُ الأرضُ في أثوابها القُشُب[٦]

يايومَ وقعة عَمُّورِيَّة انصرفتْ ... منك المُنَى حُفَّلاً مَعْسُولةَ الحَلَب[٧]

(١) حده: حد السيف أي جانبه الحاد المشحوذ. الحد: الفاصل الحاجز بين الأمرين..

(٢) الصفائح: جمع صفيحة:، وهي الحديدة العريضة والسيف العريض والمراد السيوف. الصحائف: جمع صحيفة وهي الورقة وما يكتب في الحاجة والعهد. متونهن: جمع متن، وهو ما صلب من الأرض، والمراد هنا الجانب المقابل للحد من السيف. جلاء: كشف، الريب: جمع ريبة: التهمة والشك.

(٣) الخميسين: الجيشين، ويقال في سبب تسمية الجيش بالخميس: إن الملوك كانت إذا غزت أخذت خمس الغنيمة، أولان الجيوش في القديم تقسم إلى خمسة أقسام، هي: القلب، والجناحان، والمقدمة، والمسافة. السبعة الشهب: الكواكب السبعة، وهي: زحل، والمشتري، والمريخ، والشمس، والزهرة، وعطارد، والقمر.

(٤) التخرص: التلفيق والافتراء. نبع: النبع شجر صلب ينبت في رؤس الجبال، وتتخذ منه القسي. غرب: الغرب شجر ينبت على الأنهار ليست له قوة.

(٥) الكوكب الغربي: كوكب يرى في الأفق الغربي من القطب الشمالي كأن له ذَنَباً ولذا يسمى (المذنب) وكان المنجمون قد قالوا: إذا ظهر الكوكب المذنب ساء مع ظهوره المنقلب.

(٦) القشب: جمع قشيب وهو الثواب الجديد.

(٧) حُفَّل: جمع حافل، أي ممتلىء الأصل ناقة حافل: أي حفل ضرعها باللبن وامتلأ. معسولة الحلب: ما حلب من اللبن، ومعسولة: أي حلوة لذيذة كالعسل.

أبقيْتَ جَدّ بني الإسلام في صُعُدٍ ... والمشركين ودارَ الشرك في صَبَبِ[1]

لقد تركتَ أميرَ المؤمنين بها ... للنار يوماً ذليلَ الصخر والخَشَبِ[2]

غادرتَ فيها بهيمَ الليل وهو ضحىً ... يَشلُّهُ وَسْطَها صَبْحٌ من اللَّهَبِ[3]

حتى كأن جَلابيبَ الدُّجَى رَغِبَتْ ... عن لونها أو كأن الشمسَ لم تَغِبِ[4]

ضَوْءٌ من النار والظلماءُ عاكفةٌ ... وظلمةٌ من دخان في ضحى شحبِ

فالشمسُ طالعةٌ من ذا وقد أفَلَتْ ... والشمسُ واجبةٌ من ذا ولم تَجبِ[5]

تدبيرُ معتصمٍ بالله منتقمٍ ... لله مُرْتَقِبٍ في الله مُرْتَغِبِ

لم يَغْزُ قوماً ولم ينهضْ إلى بلدٍ ... إلا تَقَدَّمَهُ جيشٌ من الرُّعُبِ

خليفةُ الله جازى الله سَعْيَكَ عن ... جُرْثُومَةِ الدين والإسلام والحَسَبِ[6]

بَصُرْتَ بالراحة الكبرى فلم ترها ... تُنَالُ إلاّ على جِسْرٍ من التعبِ

إن كان بين صروف الدهر من رَحِمٍ ... مَوْصُولةٍ أو ذِمَامٍ غَيْرِ مُنْقَضِبِ[7]

فبين أيامك اللاتي نُصِرْتَ بها ... وبين أيام بَدْرٍ أقربُ النسبِ

أبْقَتْ بني الأصفرِ المِمْراضِ كاسْمِهِمُ ... صُفْرَ الوجوه وَجَلَّتْ أوجهَ العربِ[8]

(١) الجد: الحظ والنصيب. والصعد: المكان الذي يصعد إليه، أي المرتفع صبب: المكان الذي يصب فيه أي ينحدر . .

(٢) ذليل الصخر والخشب: أي بعد أن استولى المعتصم على عمورية وأحرقها التهمت النار كل شيء وأكلت الأخشاب، حتى إن الصخور ذابت من شدة النار.

(٣) بهيم الليل : الليل الأسود المظلم، والمراد أن الليل قد تحول إلى نهار، نتيجة لشدة اشتعال النيران.

(٤) جلابيب : جمع جلباب، وهو القميص أو الرداء والدجى: جمع دجية، وهي الظلمة، والمراد أن ظلام الليل تحول إلى نهار.

(٥) المراد أن الشمس الحقيقية قد غربت، ولكن شمس الحرائق والنيران قد أشرقت على المدينة، وهذا من السخرية

(٦) جرثومة الدين: جرثومة كل شيء أصله، وجرثومة الدين أصوله

(٧) الذمام: الحرمة والعهد. والمنقضب: المنقطع.

(٨) بني الأصفر : الروم، وصفر الوجه: من الهزيمة

٢ ـ ومن حكمه وأبياته السائرة:

نَقِّلْ فؤادكَ حيثُ شئْتَ من الهوى ... ما الحُبُّ إلاّ للحبيب الأول

كم منزلٍ في الأرض يَألَفُهُ الفتى ... وحَنينهُ أبداً لأول منزل

****

ليس الغبي بَسيِّدٍ في قومه ... لكنَّ سيدَ قومه المُتَغابي[1]

****

يَنَالُ الفتى من عَيْشِه وهو جاهلٌ ... ويُكْدي[2] الفتى في دَهْره وهو عَالمُ

ولو كانت الأرزاقُ تَجْري على الحِجَا[3] ... هلكن إذن من جَهْلهنَّ البهائمُ

****

وإذا أراد الله نَشْرَ فضيلة ... طُويَتْ أتاحَ لها لسانَ حسود

لولا اشتعالُ النار فيما جاورتْ ... ما كان يُعرف طِيبُ عَرْف العود[4]

٣ ـ قال أبو تمام يرثي محمد بن حميد الطوسي:

كَذَا فَلْيَجِلَّ الخَطْبُ وَلْيَفْدَحِ الأمرُ ... فليس لعَيْنٍ لم يَفِضْ ماؤها عُذْرُ[5]

تُوُفِّيَت الآمالُ بَعْدَ مُحَمَّد ... وأصبح في شغْلٍ عن السَّفر السَّفْرُ[6]

وما كان إلاّ مالَ من قَلَّ مالُهُ ... وذُخْراً لمن أمسى وليس له ذُخْرُ

وما كان يَدْري مُجْتَدي جُود كفِّه ... إذا ما استَهَلَّتْ أنه خُلِقَ العُسْرُ[7]

(١) المتغابي: الذي يتظاهر بالغباوة مع أنه ذكي.

(٢) يكدي: يفتقر، من الكدية، وهي الفقر.

(٣) الحجا: العقل.

(٤) العود: خشب طيب الرائحة. العرف: الرائحة الجميلة الزكية.

(٥) فليجل: فليعظم. ويفدح: يقل.

(٦) السفر: المسافرون.

(٧) المجتدي: طالب العطاء. واستهلت: أي أمطرت.

ألا في سبيل الله من عُطِّلَتْ له ... فجاجُ سبيل الله وانْثَغَرَ الثَّغْرُ[1]

فتى كلما فَضَتْ عُيونُ قبيلة ... دماً ضَحِكَتْ عنه الأحاديثُ والذِّكْرُ

فتى مات بين الضرب والطعن ميتَةً ... تقومُ مقامَ النصر إذْ فاته النصرُ

وما مات حتى مات مَضْرِبُ سيفه ... من الضرب واعتلَّتْ عليه القَنَا السُّمْرُ[2]

وقد كان فَوْتُ الموت سهلاً فَرَدَّهُ ... إليه الحفاظُ المُرُّ والخُلُقُ الوَعْرُ[3]

ونَفْسٌ تَعَافُ العارَ حتى كأنه ... هو الكفرُ يومَ الروع أو دونه الكُفْرُ

فأثْبَتَ في مُسْتَنْقَعِ الموت رِجْلَهُ ... وقال لها: من تحت أخْمَصِكِ الحشرُ[4]

غدا غَدْوَةً والحَمْدُ نَسْجُ ردائه ... فلم ينصرف إلاّ وأكفانُهُ الأجْرُ[5]

تَرَدَّى ثِيَابَ الموت حُمْراً فما أتى ... لها الليل إلاّ وهي من سُنْدُسٍ خُضْرُ[6]

مضى طاهرَ الأثواب لم تَبْقَ رَوْضَةٌ ... غداةَ ثَوَى إلا اشتهت أنها قَبْرُ

ثوى في الثَّرَى من كانَ يحيا به الثرى ... ويَغْمُرُ صَرْفَ الدهر نائلُه الغَمْرُ[7]

عليك سلام الله وَقْفاً فإنني ... رأيت الكريمَ الحرَّ ليس له عُمْرُ

(١) الفجاج: جمع فج: الطريق الواسع بين جبلين. انثغر: انشق واتسع.

(٢) مضرب السيف: حده. ومات مضربه: أي كَلَّ من كثرة الضرب. اعتلت: مرضت. القنا السمر: الرماح الصلبة القوية.

(٣) الحفاظ: المحافظة على الأعراض والمحارم. المر: الشديد. الوعر: الصعب.

(٤) الأخمص: مالايصيب الأرض من باطن القدم.. والحشر: القيامة.

(٥) الحمد نسج ردائه: أي تحمده الناس لمسيره إلى القتال.

(٦) تردى أي ارتدى ولبس.
والمعنى أنه قد ارتدى ثيابه المحمرة بدمه فأثابه الله بالسندس الأخضر في قبره، وذلك جزاء الشهداء.

(٧) يغمر: يغطي. صرف الدهر: حوادثه. نائله: عطاؤه. الغمر: الكثير.

مناقشة

١ ـ متى مات أبو تمام؟ وأين؟ وما اسمه؟ ولماذا لُقِّب بأبي تمام؟

٢ ـ كان أبو تمام واسع الثقافة سريع البديهة.
اذكر حادثة تدل على سرعة بديهته مستشهداً ببعض شعره.

٣ ـ اذكر أهم خصائص شعر أبي تمام.

٤ ـ عُرف أبو تمام ـ إلى جانب الشعر ـ بالتأليف، اذكر ثلاثة من كتبه. وما أشهرها؟

٥ ـ الرثاء من الأغراض التي لم يطرقها أبو تمام كثيراً، لكنه قال مرثية تعد من عيون الشعر العربي. من الذي رثاه أبو تمام بتلك القصيدة؟ واذكر خمسة أبيات مما تحفظ منها.

٦ ـ يمتاز شعر أبي تمام بسعة الخيال وخصوبته، وتوليد الصور ودقة الوصف، اذكر أبياتاً من بائيته المشهورة في مدح المعتصم تؤيد هذا القول.

٢ ـ البُحتُـري

(٢٠٦ ٢٨٤هـ)

أبو عبادة، الوليد بن عُبيد البُحتري الطائي، ولد في «منبج» قرب حلب عام ٢٠٦هـ. ونشأ نشأة عربية خالصة؛ فقد كانت عشيرته «بُحتُر» تعيش بين البداوة والحضارة، ثم ذهب إلى حلب، وتنقل بين مدن الشام يمدح العامة والأمراء الصغار تكسباً بشعره. وفي حمص التقى بأبي تمام، وكان لقاؤه به نقطة تحول في حياته، إذْ أولاه أبو تمام رعايته لما لمس فيه من شاعرية، ولأنه ينتمي إلى طيء قبيلة أبي تمام، ولذلك قال أبو تمام: أنت والله يابنيّ أمير الشعراء من بعدي. وقدم له نصيحة أدبية مهمة أفادته في نظم الشعر وتجويده، حيث قال له: (يا أبا عبادة، تخير الأوقات وأنت قليل الهموم صِفْرٌ من الغموم، واعلم أن العادة في الأوقات أن يقصد الإنسان لتأليف شيء أو حفظه في وقت السَحر، وذلك أن النفس قد أخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم، فإذا أردت النسيب فاجعل اللفظ رقيقاً والمعنى رشيقاً، وأكثر فيه من بيان الصبابة وتوجع الكآبة وقلق الأشواق ولوعة الفراق.. وإياك أن تشين شعرك بالألفاظ الزرية، وكن كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير الأجساد، وإذا عارضك الضجر فأرح نفسك ولاتعمل إلا وأنت فارغ القلب...)[1].

وقد ظل البحتري وفياً لأستاذه أبي تمام رغم ما قيل عنه من التقلب وعدم الوفاء، حتى إنه رد على من قال له: أنت أشعر من أبي تمام بقوله: ما ينفعني هذا القول ولا يضر أبا تمام، والله ما أكلت الخبز إلا به، ولوددت أن الأمر كما قالوا، ولكني والله تابع له، آخذ منه، لائذ به، نسيمي يركد عند هوائه، وأرضي تنخفض عند سمائه.

وبعد أن أصبح له شهرة في سماء الشعر اتصل بالخليفة العباسي المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان ولازمهما حتى قُتلا معاً في سامراء عام ٢٤٧هـ وهو حاضر في المجلس، فهرب، واتجه إلى المدائن، ونظم سينيته المشهورة في وصف إيوان كسرى. وبعد ذلك ظل يمدح الخلفاء والوزراء والقادة، ويأخذ منهم الجوائز والصلات حتى جمع ثروة طائلة، وفي آخر أيامه عاد إلى قريته «منبج»، وأقام بها إلى أن توفي عام ٢٨٤هـ.

(١) العمدة لابن رشيق جـ٢ ص١١٤.

شعـــره .

لقد كان لنشأة البحتري في البادية، وحفظه للكثير من أشعار العرب، وما استفاده من نصائح أستاذه أبي تمام أثر واضح في مذهبه الشعري.

ولم يكن البحتري من الشعراء الذين يُعْنون بالمعاني العميقة، وإنما كان شعره واضح المعنى لايحتاج من قارئه إلى تفكير عميق ليفهم مراده.

وقد أجاد في سبك الشعر وسلاسة العبارة، حتى قيل عنه: إنه أراد أن يشعر فغنى، لما في شعره من إيقاع وانسياب، حتى أُطلق على شعره (سلاسل الذهب).

وكان يعنى بالناحية اللفظية في شعره؛ فجاءت ألفاظه منتقاة ومحلاة بشيء من الجناس والطباق وغيرهما من المحسنات البديعية دون تكلف أو إغراق.

أغراضه الشعرية.

المديح أكثر الأغراض الشعرية لدى البحتري؛ فقد عاش طيلة حياته متنقلا بين الخلفاء والأمراء والقادة، يمدحهم وينتهز كل مناسبة للثناء ونيل العطاء.

وقد اشتهر البحتري بالوصف، وأجاد في وصف الطبيعة، وكذلك في وصف مظاهر العمران من القصور الفخمة والأبنية العجيبة كوصفه لإيوان كسرى وبركة المتوكل.

كما أن البحتري قد أجاد في الغزل والعتاب، وكان من أشهر الشعراء الذين أجادوا في وصف طيف الخيال وزيارة المحبوب في المنام.

مؤلفاتـه.

١ ـ للبحتري ديوان شعر ضخم، حققه حسن كامل الصيرفي، ونشره في خمسة مجلدات.

٢ ـ حماسة البحتري.

ألف البحتري هذه الحماسة بناء على طلب من الفتح بن خاقان وزير المتوكل وتقليداً لأستاذه أبي تمام. وتحتوي حماسته على ١٧٤ باباً، وقد اختار فيها لأكثر من ٦٠٠ شاعر، أغلبهم من الجاهليين والمخضرمين. وإذا كانت حماسة أبي تمام أشهر فإن حماسة البحتري تمتاز بدقة التبويب وكثرة الشعراء.

مختارات من شعر البحتري

١ - قال البحتري يمدح الفتح بن خاقان[١] :

لَوَتْ بالسلام بَنَانا خَضيباً ... ولَحْظاً يَشُوقُ الفؤادَ الطروبا[٢]

وزارتْ على عَجَلٍ فاكتسى ... لزَوْرَتِها «أبْرَقُ الحَزْن» طيبا[٣]

فكان العبير بها واشيا ... وَجَرْسُ الحُليِّ عليها رَقيبا[٤]

بَلَوْنَا ضَرائبَ من قد نَرَى ... فما إن رأينا «لفَتْحٍ» ضَريْبَا[٥]

هو المرءُ أبْدَتْ له الحادثَا ... تُ عَزْماً وشيكًا ورأياً صَليبا[٦]

تَنَقَّل في خُلُقَيْ سؤدد: ... سَماحاً مُرَجَّى، وبأساً مَهيبَا

فكالسيف إن جِئْتَه صارماً ... وكالبحر إن جئته مُسْتَثيبا[٧]

فتى كَرَّمَ اللهُ أخلاقَه ... وَألْبَسَهُ الحَمْدَ غَضّاً قَشيبا[٨]

وأعطاه من كل فضل يُعَدُّ ... حَظاً، ومن كل مجد نَصيبا

فدَيْنَاكَ من أيِّ خَطْبٍ عَرا ... ونائبةٍ أوشكت أن تَنُوبَا[٩]

---

(١) الفتح بن خاقان: أبو محمد، الفتح بن خاقان بن أحمد بن غرطوج، أديب شاعر فصيح كان وزيراً للخليفة المتوكل، وقتل معه عام ٢٤٧هـ.

(٢) لوت : أشارت. بنانا: البنان الخضيب: أطراف الأصابع المخضبة بالحناء

(٣) أبرق الحزن : اسم مكان

(٤) جرس الحلي : صوت الحلي من أساور وخلاخيل.

(٥) ضرائب : طبائع. ضريب : مثيل

(٦) وشيكا: سريعاً. صليبا: شديداً.

(٧) المستثيب: الذي يطلب الثواب والعطاء.

(٨) قشيب : جديد

(٩) عرا: طرأ ونزل. والخطب: النازلة والمصيبة. نائبة: المصيبة. وأوشكت أن تنوبا: أوشكت أن تنزل بالناس وتصيبهم بنوابها.

٢ - وقال يصف البِرْكة :

يا من رأى البِرْكَةَ الحسناءَ رؤيتها ... والآنسات إذا لاحَتْ مَغانيها

بحَسْبها أنها من فَضْل رُتْبَتها ... تُعَدُّ واحدةً والبَحْرُ ثانيها

مَا بالُ دجلة كالغَيْرَى[1] تُنَافسُها ... في الحُسْن طوراً وأطواراً تُباهيها

كأنَّ جنَّ سليمانَ الذين ولَوْا ... إبْدَاعَهَا فأدقُّوا في مَعَانيها[2]

فلو تَمُرُّ بها بَلْقيس عن عَرَض ... قالت: هي الصَّرْحُ تَمْثيلاً وتشبيها

تَنْحَطُّ فيها وفودُ الماء مُعْجَلَةً ... كالخيل خارجةً من حَبْل من مُجْريها[3]

كأنّما الفضَّةُ البيضاءُ سائلةً ... من السبائك تَجْري في مَجَاريها

إذا عَلَتْها الصَّبَا أبْدَتْ لها حُبُكاً ... مثْلَ الجَوَاشن مَصْقُولاً حَواشيْها[4]

فَرَوْنَقُ الشمس أحياناً يُضَاحكُها ... وَرَيِّقُ الغَيْثَ أحياناً يُباكيها[5]

إذا النجومُ تراءَتْ في جَوَانبها ... ليلاً حَسِبْتَ سماءً رُكِّبَتْ فيها

كأنها حين لَجَّتْ في تَدَفُّقها ... يَدُ الخليفة لما سال واديها

٣ - قال البحتري يصف إيوان كسرى :

صُنْتُ نفسي عما أَيُدَنِّسُ نفسي ... وترفَّعْتُ عن جَدَا كل جَبْس[6]

وتماسَكْتُ حين زَعْزَعَني الدَّهْرُ ... الْتماساً منه لتَعْسي و نَكْسي[7]

حَضَرَتْ رحليَ الهُمومُ فوجَّهـ ... ـتُ إلى أبيض المدائن «عَنْسي»[8]

أتسلَّى عن الحُظُوظ، وآسى ... لِمَحَلٍّ من «آل ساسان» دَرْسِ[9]

---

(١) الغيرى: مؤنث الغيران. تباهيا: تفاخرها.

(٢) سليمان: نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام، وقد سخر الله له الجن.

(٣) بلقيس: ملكة سبأ في عهد سليمان عليه السلام.

(٤) حبك: لمقصود به التكسر الذي يبدو على صفحة الماء إذا مرت بها الريح. الجواشن: الدروع، مفردها جوشن.

(٥) رونق الشمس: حسنها وإشراقها. ريق الغيث: الريق أن يصيبك من المطر شيء يسير.

(٦) الجدا: العطاء.

(٧) النكس: انقلاب الرجل على رأسه أو سقوطه كلما نهض.

(٨) العنس: الناقة القوية.

(٩) درس: أي مندرس، وهو ما عفا أثره.

٣ ـ أبو الطيب المتنبي

(٣٠٣ ـ ٣٥٤هـ)

أبو الطيب، أحمد بن الحسين بن عبدالصمد الجعفي الكندي. ولد في الكوفة عام ٣٠٣هـ في حي كندة، فنسب إليها فقيل: الكندي، وإلا فهو جعفي من عشيرة جعفي المذحجية اليمنية.

نشأ المتنبي بمدينة الكوفة، وقد كان أبوه فقيراً إلا أنه حرص على تعليمه وتثقيفه، وكانت مدينة الكوفة تزخر بالعلماء والأدباء، فتردد المتنبي على حلقات العلم، واستمع إلى رواة الشعر والأخبار، وكان ذكياً وهبه الله حافظة قوية ساعدته على حفظ أشعار العرب وأخبارها، مما كان له أكبر الأثر في شعره.

وقد ذهب إلى البادية وأقام بين الأعراب، وأخذ عنهم اللغة العربية الصافية والأخلاق الأصيلة، فنشأ أعرابيَّ الطبع معتزاً بنفسه وقومه العرب، مما انعكس بعد ذلك على شعره وحياته.

ونبغ المتنبي في الشعر وهو صغير، فتنقل بين بوادي العراق والشام يمدح زعماء القبائل.

أما تلقيبه بالمتنبي فقد أطلقه عليه بعض المعجبين بشعره رمزاً لعبقريته الشعرية، وأنه أتى في أشعاره بمالم يسبقه إليه غيره.

واصل المتنبي تنقله بين مدن الشام وباديه، حتى اتصل بأبي العشائر الحمداني والي أنطاكية من قبل سيف الدولة الحمداني، ومدحه بقصائد جميلة، فقدمه أبو العشائر إلى سيف الدولة. وهنا بدأت مرحلة جديدة من مراحل حياة المتنبي، حيث انتقل إلى حلب عاصمة سيف الدولة عام ٣٣٧هـ، ولازم سيف الدولة في سلمه وحربه، وفي حله وترحاله، وأصبح أكبر شعرائه وموضع الحفاوة والاحترام منه، قال فيه أعظم قصائده، وهي القصائد المشهورة بالسيفيات (نسبة الى سيف الدولة). وبلغ المتنبي في هذه المرحلة قمة عطائه الشعري وإبداعه الفني، واستمر في كنف سيف الدولة تسع سنوات، لكن الحساد والمنافسين للمتنبي من الشعراء تألَّبوا عليه، ومنهم أبو فراس الحمداني الشاعر المشهور وابن عم سيف الدولة، وابن خالويه اللغوي النحوي ومؤدب سيف الدولة، وأخذوا يكيدون له عند سيف الدولة حتى أعرض عنه، فقال المتنبي مُعَرِّضًا بذلك وأنه ينوى مغادرة حلب:

يامَنْ يَعُـــزّ علينا أن نُفَـــارِقَـــهُم ... وجْـــدَانُنَا كُلّ شيء بعـــدكم عَـــدَمُ

إن كـــان سَـــرَّكُمُ مـــا قـــال حَـــاسِـــدُنا ... فـــمـــا لِجُـــرْحٍ إذا أرضـــاكُم أَلَمُ

وبعدها رحل المتنبي عن حلب عام ٣٤٦هـ قاصداً كافوراً الإخشيدي حاكم مصر.

وفي مصر كان المتنبي يطمع في أن يجد عند كافور ما يعوضه عن فراق سيف الدولة، لكن كافوراً كان داهية يحسب لطموح المتنبي وأطماعه ألف حساب، فأغدق عليه المال، لكنه كان يراقبه ويُحكمُ عليه الطوق. وكان المتنبي يطمح في أن يوليه كافور أمارة تكون خطوة في طريق تحقيق أحلامه في الحكم، لكن كافوراً لم يوله شيئاً، فأصبح المتنبي يمدحه بقصائد تحتمل المدح والذم. ثم قرر الهرب من مصر فغادرها ليلة عيد الأضحى عام ٣٥٠هـ، وهجا كافوراً هجاء مقذعاً.

وبعد رحلة طويلة قرر أن يعود إلى الكوفة مسقط رأسه، لكن أعراباً من بني ضبة بقيادة فاتك الأسدي اعترضوا طريقه لأنه كان قد هجا ضبة بشعر مقذع، فدار قتال شديد بينهم وبين المتنبي وابنه وغلامه، وأراد المتنبي أن يفر لكن غلامه قال له: كيف تفر من المعركة وأنت القائل:

الخـــيلُ والليلُ والبـــيـــداءُ تَعْـــرِفُني ... والســـيفُ والرمحُ والقِـــرْطاسُ والقلمُ

فصمد في المعركة حتى قُتل عام ٣٥٤هـ.

شعـــره.

يعتبر المتنبي أكبر شعراء العربية، وقد ذاع شعره في الآفاق لما فيه من الحكمة والتجارب الصادقة، مع قدرة عجيبة على التعبير، حتى قال عن شعره مخاطباً سيف الدولة:

ومـــاالدهرُ إلا من رُواة قـــصـــائدي ... إذا قُلْتُ شـــعْـــراً أصـــبَح الدهرُ مُنْشِـــدَا

أجِـــزْني إذا أُنْشِـــدْتَ شـــعـــراً فـــإنما ... بشـــعـــري أتاك المادحـــون مُـــرَدَّدَا

ودَعْ كلَّ صـــوتٍ غـــيـــر صـــوتي فـــإنني ... أنا الطائرُ المَحْكيُّ والآخَـــرُ الصـــدَى

وقـــال أيضـــاً:

أنـا الـذي نـظر الأعـــــمى إلى أدبـي ... وأسْـــمَـــعَتْ كلمـــاتي من به صَـــمَمُ

أنامُ مِلءَ جُـــفُـــوني عن شـــواردها ... وَيَسْـــهَـــرُ القـــومُ جَـــرَّاهَا ويَخْـــتَـــصِمُ

ويقول ابن رشيق صاحب كتاب (العمدة) بعد أن استعرض حال الشعر والشعراء قبل المتنبي: (ثم جاء المتنبي فملأ الدنيا وشغل الناس).

وهناك عوامل كثيرةأدت إلى تفوق المتبي في الشعر، منها: نشأته العربية الأعرابية، وذكاؤه المفرط، وحفظه لعيون الشعر العربي، ثم نفسه الأبية، وطموحه الذي لا يبارى، ثم ما اكتسبه من تجارب، وما تقلب فيه من أحوال وأهوال.

وقد استطاع أن يجمع بين عمق المعاني وبين سلاسة الشعر وجمال التركيب، فجاءت الحكمة في شعره وقد لبست ثوب الشعر، فحفظها الناس، ورددتها الأجيال العربية على مر العصور.

وفي بعض شعره مبالغة غير مقبولة وشيء من الشذوذ اللغوي، لكن ذلك لاينقص من قدره وإن حاول أعداؤه وحساده تضخيم عيوب شعره وإبرازها.

أبرز أغراض شعره :

الفخر :

قال المتنبي الشعر في أغراض كثيرة، لكن الفخر يأتي في مقدمة أغراضه، فقد بلغ فيه الذروة، بل غالى بنفسه وأسرف في المغالاة حتى خرج عن حدود العقل والدين، فقال:

أيَّ محلٍ أرتقي ... أيَّ عظيمٍ أتَّقي

وكل ما قد خلق اللـ ... ـهُ وما لم يَخلُق

مُحتَقَرٌ في همَّتي ... كَشَعْرَةٍ في مَفْرِقي

كما أنه يكثر من الفخر بشعره كما أسلفنا.

ويلاحظ أن فخر المتنبي بارز في أغلب قصائده، فتجده أثناء المديح يرفع إلى مستوى الممدوح إن لم يتقدم عليه، وكذلك في الرثاء، كما في رثائه لجدته إذ يقول:

ولو لم تكوني بنت أكرم والد ... لكان أباكِ الضخمَ كَوْنُكِ لي أمَّا

المديح.

أغلب شعر المتنبي في المديح؛ فقد عاش متنقلا بين أمراء الدولة الإسلامية، يمدحهم وينال من عطائهم، لكنه لم يكن ليذل نفسه، بل كان يرى أنه من الملوك وإن كان لسانه من الشعراء.

وفُؤادي من الملوك وإنْ ... كان لساني يُرى من الشعراء

وهو يكثر في المديح من الحديث عن شجاعة الممدوح وكرمه وأصالته.

وأعظم مدائحه ماقاله في سيف الدولة الحمداني، ولا غرابة في ذلك؛ فقد كان الحمداني بطلاً شجاعاً كريماً أصيلاً، فأعجب المتنبي به ورأى فيه صورة نفسه، فكان مديحه له نابعاً من الأعماق متصفا بالصدق والإخلاص.

الوصف.

أجاد المتنبي في وصف المعارك الحربية، وذلك واضح في سيفياته؛ فقد كان يشارك سيف الدولة في المعارك، ويصورها بدقة عجيبة، حتى قال ابن الأثير: (اختص المتنبي بالإبداع في مواقع القتال، وذلك أنه إذا خاض في وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها وأشجع من أبطالها، وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها، حتى يظن أن الفريقين قد تقابلا...).

كما أن له قصيدة جميلة في وصف شعب بوان الذي مر به وهو ذاهب إلى عضد الدولة:

مَغَاني الشِّعْبِ طِيباً في المغاني ... بمنزلة الربيع من الزمان

ولكنَّ الفتى العَرَبِيَّ فيها ... غَريبُ الوجه واليد واللسان

مَلاعِبُ جِنَّةٍ لو سار فيها ... سليمان لسار بترجمان

الحكمة.

شعر المتنبي منبع من منابع الحكمة. وقد استمد حكمه من تجاربه في الحياة وكذلك من ثقافته العميقة.

وقد قال الشعر في أغراض أخرى كالغزل والرثاء والهجاء.

نماذج من شعره

١ قال يصف الحمى التي أصابته بمصر:

وزائرتي كأنَّ بها حَيَاءً ... فليس تَزُورُ إلاّ في الظلامِ[1]

بَذَلْتُ لها المطارِف والحَشَايا ... فعافَتْهَا وباتت في عِظَامي[2]

(١) الزائرة: يريد الحمى التي تصيبه في الليل.

(٢) المطارف: جمع مطرف، وهو رداء أو ثوب من خز مربع ذو أعلام، الحشايا: جمع حشية، وهي ما يحشى من الفرش مما يجلس عليه.

يَضيقُ الجلْدُ عن نفسي وعنها ... فَتوسعُهُ بأنواع السِّقَام

إذا ما فارقَتْني غَسَّلتْني ... كأنا عَاكفَان على حرام

كأن الصُبْحَ يَطْرُدُهَا فَتَجْري ... مَدَامعُهَا بأربعة سجَام[1]

أراقبُ وَقْتَهَا من غَيْر شَوْق ... مُراقَبَةَ المَشُوق المُسْتَهَام

وَيَصْدقُ وعدُها والصدقُ شَرٌّ ... إذا ألقاكَ في الكُرَب العظام

أبِنْتَ الدهر عندي كلُّ بنت ... فكيف وَصَلْت أنت من الزحام؟

جَرَحْت مُجَرَّحًا لم يَبْقَ فيه ... مَكانٌ للسيوف ولا السهام[2]

يقول لي الطبيبُ أكلتَ شيئاً؟ ... وداؤكَ في شَرَابك والطعام

وما في طبِّه أني جَوَادٌ ... أضَرَّ بجسمه طُولُ الجمَام[3]

تَعَوَّد أن يُغَبِّرَ في السرايا ... وَيَدْخُلَ من قَتَام في قتام[4]

فإن أمْرَضْ فما مَرضَ اصطِبَاري ... وإن أحْمَمْ فما حُمَّ اعتزامي

وإن أسْلَمْ فما أبقى ولكن ... سَلِمْتُ من الحِمَام إلى الحِمَام

٢ من حكم المتنبي:

تُريدِين لُقْيانَ المعالي رَخيْصَةً ... ولا بُدَّ دون الشهْد من إبَر النحْلِ

****

وإذا كانت النفوسُ كِباراً ... تَعِبَتْ في مُرادها الأجْسَامُ

****

(١) أربعة سجام: أي ذات سجام فحذف، وأراد بالأربعة اللِحاظَيْنِ والموقَيْنِ للعينين، والموق: طرف العين مما يلي الأنف، واللحاظ: طرفها مما يلي الصدغ..

(٢) المعنى: أنه لكثرة حروبه لم يبق فيه مكان لضرب السيوف ولاللسهام.

(٣) الجمام: أن يترك الفرس فلا يركب.

(٤) السرايا: جمع سرية، وهي الفرقة من الجيش التي تسري إلى العدو. القتام: الغبار.

مـــاكلّ مـــا يَتَـــمَنّى المرْءُ يُدْرِكُـــهُ تجـــري الرِّياحُ بما لا تشـــتـــهي السّـــفُنُ

****

وَمَنْ يَـكُ ذا فَـمٍ مُـــــرٍّ مَـــــريضٍ يَـجِـــــدْ مُـــــرًا بِـهِ الماءَ الـزُّلالا

****

مَنْ يَـهُنْ يَسْـــهلُ الهَـــوانُ عَلَيْـــهِ مـــا لِجُـــرْحٍ بِمَـــيِّتٍ إيلامُ

****

ذُو العَـــقْلِ يَشْـــقَى في النَّعـــيم بِعَـــقْلِه وَأخُـــو الجَـــهـــالة في الشـــقـــاوة يَنْعَمُ

****

إذا أنْـتَ أكـــــرمتَ الكـريمَ مَـلَكْـتَـــــهُ وَإنْ أنْتَ أكـــــرمتَ اللئـــيمَ تَمَـــرَّدَا

وَوَضْعُ النَّدَى في مَـوضِعِ السَّـيْفِ بالعُـلا مُـضِـرٌّ كَـوَضْعِ السَّـيْفِ في مـوضع النَّدى

٣ قال يمدح سيف الدولة ويهنئه بالعيد:

لكُلِّ امـــرىءٍ منْ دَهْره مـــا تعـــوَّدا ... وعـــاداتُ سَـيْف الدَّولة الطَّعْنُ في العـدا

هُوَ البـحـرُ غُصْ فـيـه إذا كـانَ راكـداً ... على الدُّرِّ واحْـذَرْهُ إذا كـانَ مُـزْبَدا[1]

وَصُـولٌ إلى المُسْتَـصْـعَـبـات بخَـيْله ... فلو كـان قَـرْنُ الشـمس مـاءً لأوْرَدَا[2]

لذلك سَـمَّى ابنُ الدُّمُـسْـتُق يومـه ... مَـمَـاتاً وسـمـاه الدُّمُـسْـتُقُ مَـوْلدَا[3]

فَـوَلَّى وأعطاك ابْـنَهُ وجُـيُـوشَـهُ ... جـمـيـعـاً ولم يُعْطِ الجـمـيعَ لِيُحْـمَـدَا[4]

هنيـئـاً لك العـيـدُ الذي أنت عـيـدُه ... وَعـيـدٌ لمن سَـمَّى وضَـحَّيَ وعَـيَّـدَا

رأيتك مَـحْضَ الحِلْم في مَـحْض قُـدْرة ... ولو شـئْتَ كـان الحِلْمُ منك المُهَنَّدَا[5]

ومـا قَـتَلَ الأحـرارَ كـالعَـفْـو عنهُمُ ... ومَنْ لك بالحُـرِّ الذي يحـفظ اليـدا[6]

إذا أنـت أكـرمت الكـريم مَلَكْتَـهُ ... وإنْ أنت أكـرمت اللَّئـيـمَ تَمَـرَّدَا

وَوَضْعُ الندى في مَـوْضع السـيف بالعـلا ... مُـضِـرٌّ كـوضع السـيف في مـوضع الندى[7]

ولكـن تَفُـوقُ الناسَ رأياً وحِكْـمَـةً ... كـمـا فُـقْـتَـهُمْ حـالاً ونفسـاً ومَـحْـتِـدَا[8]

---

(١) شبهه بالبحر، والبحر يسلم راكبه إذا كان ساكناً، وإذا ماج وتحرك كان مخوفاً. المعنى: إن أتيته مسالماً غنمت، وإن أتيته محارباً هلكت.

(٢) المعنى: يريد أنه يصل إلى كل ما يريد بسيفه لشجاعته، فلو كان قرن الشمس ماء لقدر أن يورده خيله شجاعة وإقداماً.

(٣) الدمستق: قائد جيش الروم والمعنى: لما أسرت ابن الدمستق يئس من الحياة، فسمى يومه مماتاً لما يعلم من بأسك، وسماه أبوه حياة لأنه فرَّ ونجا فصار كيوم ولدته أمه، فكان ذلك اليوم مماتاً للابن وحياة للأب.

(٤) أي عطاك قسراً لا اختياراً لأنه انهزم.

(٥) المعنى: حلمك عن قدرة، ولو شئت لم تحلم، ولكان بدل الحلم القتل بالسيوف، فأنت خالص الحلم في خالص قدرة عن العجز.

(٦) المعنى: من عفا عن حرٍّ صار كأنه قتله، لأنه يسترقه بالعفو عنه ، فيذل له وينقاد

(٧) المعنى: كل يجازي ويعامل على استحقاقه، فمستحق العطاء لايعامل بالسيف، ومستحق السيف لايعامل بالعطاء، فإذا عكست الأمور لم تستقم.

(٨) المحتد: الأصل.

مناقشة

١ ـ يعتبر المتنبي أكبر شعراء العربية . لم سمي بالمتنبي؟ وما اسمه الحقيقي؟

٢ ـ تحدث عن بدايات المتنبي الشعرية، وكيف كان اتصاله بسيف الدولة الحمداني؟

٣ ـ لماذا ترك المتنبي سيف الدلة؟ وبمن اتصل بعد ما تركه؟ وماذا كان يقصد من وراء ذلك؟

٤ ـ كيف كانت نهاية المتنبي؟ ومتى كان ذلك؟

٥ ـ يفتخر المتنبي بشعره كثيراً . استشهد على ذلك، واذكر بعض العوامل التي أدت إلى تفوقه في الشعر .

٦ ـ تعتبر قصائد المتنبي في مدح سيف الدولة الحمداني أفضل ما قاله من الشعر . ما سبب ذلك؟ وماذا تسمى تلك القصائد؟ اذكر خمسة أبيات مما درسته منها .

٧ ـ يتردد على ألسنة الناس كثير من أبيات المتنبي في الحكمة . اذكر بعضاً منها .

النثر في العصر العباسي

الخطـــابة

كان للخطابة شأن كبير في أوائل العصر العباسي؛ فقد كانت الدولة الجديدة في حاجة إلى ترسيخ الملك وإثبات حق العباسيين في الخلافة، وكان الخلفاء العباسيون الأوائل كالسفاح والمنصور والمهدي خطباء مصاقع ولذلك وزائه، فازدهرت الخطابة في ذلك العصر.

وكانت الخطبة تلقى على مسامع الناس لأغراض مختلفة، فهناك الخطب السياسية التي يلقيها الخلفاء والقادة في استقبال الوفود أو تحميس الجنود، وهناك الخطب الدينية التي تلقي في الأعياد والجمع، والخطب الاجتماعية في المدح أو الذم أو الاستعطاف أو العتاب.

وقد امتازت الخطابة في أول العصر العباسي بجزالة الألفاظ، وعدم الالتزام بالسجع، وكثرة الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث الشريف، وغلبة الإيجاز إلا ما تدعو الضرورة فيه إلى الإطناب.

ولما استقرت الدولة العباسية، وفشت العجمة، وسيطر الأعاجم من بويهيين وسلاجقة على الخلافة، ضعفت الخطابة، وقويت الكتابة، فلم يعد الخلفاء قادرين عليها كأسلافهم، فأصبحت الخطابة مقصورة على بعض المناسبات الدينية كالعيدين والجمعة، وقد أناب الخلفاء والحكام غيرهم فيها. ثم ازداد الأمر سوءاً في آخر العصر العباسي، وضعفت الخطابة الدينية أيضاً، وأصبح خطباء المساجد يرددون خطب السابقين ويقرؤونها من كتبهم على المنابر، وأغلبها خطب مسجوعة متكلفة.

نموذج للخطابة

خطب المأمون بـ(مرور) بعد أن علم بوفاة أبيه الرشيد والبيعة لأخية الأمين، فقال:

«إن ثمرة الصبر الأجر، وثمرة الجزع الوزر، والتسليم لأمر الله عز وجل فائدة جليلة وتجارة رابحة، فالموت حوض مورود وكأس مشروب. وقد أتى على خليفتكم ما أتى على نبيكم صلى الله عليه وسلم، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فما كان إلا عبداً دُعي فأجاب، وأمر فأطاع. وقد سد أمير المؤمنين ثلمه، وقام مقامه وفي أعناقكم من العهد ماقد عرفتم، فأحسنوا العزاء على إمامكم الماضي، واغتبطوا بالنعماء والوفاء في خليفتكم الباقي. يا أهل الدنيا، الموت نازل، والأجل طالب، وأمس واعظ، واليوم مغتنم، وغدا منتظر».

الكتابة الفنية

عندما قامت الدولة العباسية كانت الكتابة الفنية قد أصبحت ذات قواعد وأصول على يد عبدالحميد الكاتب.

والعصر العباسي هو العصر الذهبي للكتابة الفنية؛ فقد نبغ فيه كبار الكتاب الذين جددوا في أساليب النثر ومعانيه، وفتحوا آفاقاً جديدة للكتابة.

وقد ارتفع شأن الكتَّاب في العصر العباسي، فأصبح لكل خليفة أو وزير كاتب أو أكثر، وأنشئت لذلك الدواوين المتعددة، بل إن بعض الكتاب قد وصل إلى الوزارة بسبب قدرته على الكتابة الفنية، كما أن الكتابة قد حلت محل الخطابة في آخر العصر، وأزالت دولة الشعر من الصدارة الأدبية.

وقد تعددت أنواع الكتابة في هذا العصر؛ فهناك الكتابة الديوانية مثل كتب البيعات وعهود الولاء وكل ما يصدر عن ديوان الرسائل معبراً عن رأى الخليفة أو الوزير في شؤون الدولة العامة، وسميت بالديوانية نسبة إلى صدورها من «ديوان الرسائل».

وهناك الكتابات والرسائل الإخوانية المتبادلة بين الكتاب في أمورهم الخاصة من مدح أو اعتذار أو تهنئة أو تعزية.

وهناك الرسائل الأدبية التي يكتبها الأدباء والبلغاء لإبراز قدرتهم وإبداعهم كرسائل الجاحظ وابن العميد.

ويقسم مؤرخو الأدب الكُتَّاب في العصر العباسي إلى أربع طبقات، لكل طبقة رجالها وميزاتها الفنية:

الطبقة الأولى: وإمامها ابن المقفع.

وتمتاز هذه الطبقة بتنويع العبارة، وتقطيع الجملة، وتَوَخِّي السهولة، والعناية بالمعنى، وقلة السجع.

- **الطبقة الثانية**: وإمامها الجاحظ.

وقد تابعت الطبقة الأولى في كثير من أساليبها، لكنها تمتاز بالاستطراد، ومزج الجد بالهزل، والإكثار من الجمل الاعتراضية، وشيء من الإطناب لتحليل المعنى واستقصائه.

- **الطبقة الثالثة:** وإمامها ابن العميد.

ومن خصائصها السجع بجمل قصيرة، والتوسع في الخيال والتشبيهات، والإكثار من الاستشهاد وتضمين المعلومات التاريخية والطرائف والملح، والعناية بالمحسنات البديعية.

- **والطبقة الرابعة:** وإمامها القاضي الفاضل.

وهذه الطبقة سارت على نهج الطبقة الثالثة في السجع والإكثار من المحسنات البديعية، إلا أنها غالت في ذلك وأغرقت في التورية والجناس، حتى أصبحت الكتابة عبارة عن ألفاظ منمقة مسجوعة، لكن ذلك كان على حساب المعنى.

المقـامـات

التعريف اللغوي.

الأصل في المقامة أنها اسم مكان من أقام، ثم أطلقت على المجلس، فقيل: مقامات الناس، أي مجالسهم التي يتحدثون فيها ويتسامرون.

التعريف الاصطلاحي.

أما المقامات في اصطلاح الأدباء: فهي حكايات قصيرة، تشتمل كل واحدة منها على حادثة لبطل المقامات، يرويها عنه راوٍ معين، ويغلب على أسلوبها السجع والبديع، وتنتهي بمواعظ أو طُرَف ومُلَح.

أي إنها حكاية قصيرة، تقوم على الحوار بين بطل المقامات وراويها.

والمقامات تعتبر من البذور الأولى للقصة عند العرب، وإن لم تتحقق فيها كل الشروط الفنية للقصة.

خصائص المقامات.

١ ـ أسلوب المقامات مملوء بالصناعة اللفظية من جناس وطباق والتزام تام بالسجع.

٢ ـ تغلب على ألفاظها الغرابة.

٣ ـ مليئة بالقصص والحكم والمواعظ.

٤ ـ يختار كاتب المقامات لمقاماته بطلاً تدور حوادث المقامات حوله، وراوية يروي تلك الأحداث. فبطل مقامات بديع الزمان الهمذاني أبو الفتح الإسكندري، وراويها عيسى بن هشام. وبطل مقامات الحريري أبو زيد السروجي، وراويها الحارث بن همام وهكذا.

٥ ـ للمقامات فائدة تعليمية، فعندما يحفظها شداة الأدب فإنها تزودهم بذخيرة لغوية مفيدة.

٦ ـ يدور أغلبها على الاحتيال والطواف بالبلدان لجلب الرزق.

تاريخهـا .

يقـال : إن أول من أنشـأ المقامـات في الأدب العربي هو العـالم اللغوي أبو بكر بن دريد (المتوفى عام ٣٢١هـ)، فقد كتب أربعين مقامة كانت هي الأصل لفن المقامات، ولكن مقاماته غير معروفة لنا .

ثم جاء بعده العالم اللغوي أحمد بن فارس (المتوفى عام ٣٩٥هـ)، فكتب عدداً من المقامات أيضاً .

ثم جاء بعده بديع الزمان الهمذاني، وكتب مقاماته المشهورة، وقد تأثر فيها بابن فارس حيث درس عليه . ويعتبر البديع هو الرائد الحقيقي للمقامات في الأدب العربي .

ثم جاء بعده كتاب كثيرون، أشهرهم أبو محمد القاسم بن علي الحريري صاحب المقامات المشهورة بمقامات الحريري .

أشهر أصحاب المقامات :

١ ـ بديع الزمان الهمذاني

(٣٥٨هـ - ٣٩٨هـ)

أبو الفضل، أحمد بن الحسين بن يحي بن سعيد الهمذاني، نسبة إلى مدينة همذان، حيث ولد بها البديع عام ٣٥٨هـ.

والهمذاني من أسرة عربية ذات فضل وعلم ودين، استوطنت همذان. وقد عُني والده بتربيته وتعليمه، وبرزت عليه أمارات النبوغ منذ صغره، فكان حاد الذكاء سريع الحفظ، قوي الذاكرة، ولذلك لقب ببديع الزمان.

وقد عاش صباه في همذان، ثم غادرها عام ٣٨٠هـ إلى أصبهان حيث اتصل بالصاحب بن عباد، ثم انتقل إلى نيسابور عام ٣٨٢هـ، وأقام لدى أمرائها من بني ميكال، وجرت بينه وبين أبي بكر الخوارزمي (٣٢٣- ٣٨٣هـ) مناظرة انتصر فيها البديع على الخوارزمي رغم ما عرف عن الخوارزمي من علم وأدب وشهرة، وقد أدت هذه المناظرة إلى ارتفاع شأن البديع في ميدان الأدب، ثم ترك نيسابور إلى سجستان، ثم انتقل إلى غزنة واتصل بالسلطان محمود بن سبكتكين، وأخيرا ألقى عصا التسيار بـ «هراة» وبقي بها إلى أن توفي عام ٣٩٨هـ.

أدبـــه :

كان البديع شاعراً وناثراً، ولكن شهرته في النثر أكثر، وهو من كتاب الرسائل المعدودين في العصر العباسي، وتدور رسائله حول المديح والاستعطاف والشكر والاعتذار...

وقد اشتهر البديع بمقاماته، حتى قيل: إنه هو مخترع فن المقامة في الأدب العربي لكن الدراسات الأدبية الدقيقة أثبتت أن أبابكر بن دريد وابن فارس قد سبقاه إلى ذلك، ولكن البديع بدون شك هو الذي أصَّلَ هذا الفن ونشره بين الناس.

ويقال: إن البديع قد كتب أربع مئة مقامة، لكن مقاماته المعروف تبلغ إحدى وخمسين مقامة، أوثلاثاً وخمسين مقامة.

ولمقامات البديع بطل هو أبو الفتح الإسكندري، وهو شخصية وهمية اخترعها خيال البديع، ولها راوٍ هو عيسى بن هشام، وهو شخصية خيالية كذلك.

وتدور المقامات حول مغامرات أبي الفتح وحيله وألاعيبه وتنقله بين البلدان، وهي مليئة بالقصص والحكايات والأشعار والتصوير الدقيق للمجتمع في عصره.

وقد سمى البديع أكثر مقاماته بأسماء البلدان، كالمقامة الكوفية، والبصرية، والبغدادية، والشامية، والعراقية، والبلخية، والسجستانية، والأذربيجانية، والجرجانية، والأهوازية، والقزوينية، والشيرازية، والنيسابورية.

نموذج من مقاماته

من المقامة الجاحظية:

حدثني عيسى بن هشام قال: أثارَتْني[1] ورُفْقَةً وليمةٌ، فأجبتُ إليها للحديث المأثور عن رسول الله ﷺ: «لو دُعيْتُ إلى كُراعٍ[2] لأجبت، ولو أهدي إلَيَّ ذِرَاعٌ لقبلت». فأفضى بنا السير إلى دار:

تُركَتْ والحُسْنَ تأخذُه ... تنتقي منه وتنتخبُ

فانتقت منه طرائفَه ... واستزادت بعض ما تَهَبُ

قد فُرِشَ بِسَاطُها، وبُسطت أنمَاطُها، ومُدَّ سماطها[3]، وقوم قد أخذوا الوقت بين آس مَخْضُود[4]، وورد مَنْضُود، فصرنا إليهم وصاروا إلينا، ثم عَكفنا على خوان قد مُلئتْ حياضه[5]، ونَوَّرَتْ رياضه، واصْطَفَّتْ جِفانُهُ[6]، واختلفتْ ألوانه، فَمِنْ حالكٍ بإزائه ناصعٌ، ومن قَانٍ تلْقَاءَهُ فَاقعٌ[7]، ومعنا على

(١) أثارتني: أي أنهضتني من مكاني وحركتني.

(٢) الكراع: ما دون الكعب من الدابة.

(٣) الأنماط: جمع نمط أي غطاء الفراش. والسماط: ما يوضع عليه الطعام.

(٤) الآس: الريحان.

(٥) الخوان: المائدة قبل أن يوضع عليها الطعام

(٦) الجفان: جمع جفنة وهي القصعة الكبيرة والإناء الواسع.

(٧) حالك: شديد السواد. وناصع: شديدالبياض. القاني: شديد الحمرة. والفاقع: الأصفر.

الطعام رجل تُسَافِرُ يدُهُ على الخوان، وَتَسْفِرُ بين الألوان[1]، وتأخذ وجوه الرّغفان[2] وتفقأ عيون الجفان، وترعى أرض الجيران وتجول في القَصْعَة، كالرُّخِّ في الرقعة[3]، يَزْحَمُ باللقمة اللقمة، ويَهْزِمُ بالمُضْغة المضغة، وهو مع ذلك ساكت لا يَنْبِسُ بحرف ونحن في الحديث نجري معه، حتى وقف بنا على ذكر الجاحظ وخطابته، ووصف ابن المقفع وذَرَابَته، ووافق أولُ الحديث آخرَ الخوان، وَزُلْنَا عن ذلك المكان، فقال الرجل: أين أنتم من الحديث الذي كنتم فيه ؟ فأخذنا في وصف الجاحظ ولَسَنه[4]، وَحُسْنِ سَنَنَه[5] في الفصاحة وَسُنَنه فيما عرفناه. فقال ياقوم، لكل عمل رجال، ولكل مقام مقال، ولكل دار سُكَّانٌ[6]، ولكل زمان جاحظ، ولو انتقدتم لبطل ما اعتقدتم. فَكُلٌّ كَشَّرَله عن ناب الإنكار، وأشَمَّ بأنف الإكبار، وَضَحِكْتُ له لأجْلُبَ ما عنده، وقلت: أفدْنَا وَزِدْنَا. فقال: إن الجاحظ في أحد شِقَّي البلاغة يَقْطفُ، وفي الآخر يَقِفُ[7]، والبليغ من لم يُقَصِّرُ نظمَه عن نثره[8]، ولم يُزْرِ كلامُه بشعره، فهل تروون للجاحظ شعراً؟ قلنا: لا، فقال: هلموا إلى كلامه، فهو بعيد الإشارات، قليل الاستعارات[9]، قريب العبارات[10]، مُنْقَادٌ لعُرْيان الكلام يستعمله[11]، نَفُورٌ من بديعه يهمله، فهل سمعتم له لفظةً مصنوعة، أو كلمة غير مسموعة؟ فقلنا: لا. قال: فهل تحب أن تسمع من الكلام ما يُخَفِّفُ عن مَنْكِبَيْك وَيَنِمُّ على ما في يديك؟ فقلت: إي والله. قال: فأطلق لي

(١) تسافر يده على الخوان: أي إن هذا الرجل كان في سرعة أكله وامتداد يده إلى البعيد عنه من أصناف الطعام يشبه المسافر. وتسفر بين الألوان: أي تنتقل بين أصناف الطعام

(٢) الرغفان: جمع رغيف. وهو ذو طاقين: أحدهما يكون رقيقاً سريع التناول، وهو الذي كان ذلك الرجل يبادر إليه.

(٣) الرخ: قطعة في الشطرنج وتتجه في أربعة اتجاهات..

(٤) اللسن: ذلاقة اللسان وشدة انطلاق في الحجة والحديث.

(٥) السنن: المنهج والسبيل والطريقة.

(٦) أي إنه ليس من شأنكم أن تغامروا بأنفسكم في هذا الميدان، لأنكم لستم من أبطاله.

(٧) يقطف: يسيراً بطيئاً. والمعنى أنه لم يؤت البلاغة كلها، لأنه إذا نثر أتى بالعجب العجاب، وإذا شعر قصر دون الغاية.

(٨) أي إن البليغ من يجيد الشعر والنثر.

(٩) قليل الاستعارات: أي إنه قائم على أسلوب الحقيقة لا الاستعارة والمجاز.

(١٠) قريب العبارات: أي متقاربها، بمعنى أنه يكرر كلامه.

(١١) عريان: أي لا مسحة عليه من حسن السبك والمجاز.

عن خنصرك، بما يعين على شكرك، فَنِلْتُهُ ردائي فقال:

لَعَمْرُ الذي ألقى عليَّ ثيابَهُ ... لقد حُشِيَتْ تلك الثياب به مَجْدَا

فتى قَمَرَتْهُ المكرمات رداءه ... وما ضَرَبَتْ قِدْحاً ولا نَصَبَتْ نَرْدَا[1]

أعِد نظراً يامن حباني ثيابَه ... ولا تَدَعِ الأيامَ تَهدمني هدَّا

وقل للألى إن أسفروا أسفروا ضحى ... وإن طلعوا في غُمَّةٍ طلعوا سَعْدا[2]

صِلُوا رَحِمَ العليا وبُلُّوا لَهاتَها ... فخيرُ الندى ما سَحَّ وَابِلُه نَقْدا[3]

قال عيسى بن هشام: فارتاحت الجماعة إليه، وانثالت الصِّلاتُ عليه، وقلت لما تآنسنا: من أين مطلع هذا البدر؟ فقال:

إسكندرية داري ... لو قَرَّ فيها قراري

لكنَّ ليلي بنجد ... وبالحجاز نهاري[4]

---

(١) قمرته: أي غلبته، ومن غلبته المكرمات صار كريماً وجاد بما لديه.

(٢) أسفروا: كشفوا عن وجوههم. الغمة: الكربة والظلمة.

(٣) اللهاة: أعلى الحق.

(٤) أي أنه من أهل الإسكندرية، ولكنه لم يستقربها، بل تنتقل طلبا للرزق بين البلدان.

٢ ـ الحـــــريري

(٤٤٦ - ٥١٦هـ)

أبو محمد، القاسم بن علي بن محمد الحريري البصري. ولد عام ٤٤٦هـ في قرية قرب البصرة، ونشأ وتعلم في البصرة حتي صار من علماء اللغة والأدب، وله مؤلفات، منها: درة الغواص في أوهام الخواص، وملحة الأعراب.

وقد كتب الحريري مقاماته متأثراً ببديع الزمان الهمذاني، وجعل لها بطلا سماه أبا زيد السروجي، وراوية سماه الحارث بن همام. وقد بلغ عدد مقاماته خمسين مقامة.

وقد نالت مقاماته شهرة واسعة، وألفت حولها شروح كثيرة، كشرح الشريشي وشرح المطرزي.

ومقامات الحريري تشتمل على قصص وحكايات وأمثال وألغاز، وقد التزم فيها السجع، وملأها بألوان البديع والألفاظ الغريبة وقد توفي الحريري عام ٥١٦هـ.

نموذج لمقاماته

قال في المقامة الصنعانية[١]:

حدث الحارث بن همام قال: لما اقْتَعَدْتُ غاربَ الاغتراب[٢]، وأنْأتْني المَتْرَبَةُ عن الأتْرَاب[٣] وطَوَّحَتْ بي طوائحُ الزمن[٤]، إلى صنعاء اليمن، فدخلتها خَاوِيَ الوفَاض[٥]، بَادِيَ الإنْفَاض[٦]، لا أملك بُلْغَةً[٧]، ولا أجد في جرابي مُضْغَةً. فطفقت أجوبُ طُرُقَاتِها[٨] مثل الهائِمِ، وأجولُ في حَوْمَاتِها

(١) الصنعانية: نسبة إلى صنعاء عاصمة اليمن.

(٢) الغارب: مقدم ظهر الدابة، استعاره للاغتراب.

(٣) المتربة: الفقر. الأتراب: جمع ترب، وهو من نشأ معك، وكان من سنك.

(٤) طوحت: رمت. طوائح الزمن: خطوبه وقواذفه.

(٥) الخاوي: الفارغ. الوفاض: جمع وفضة، وهي خريطة من جلد يجعل فيها الراعي زاده.

(٦) الإنفاض: فناء الزاد والمال.

(٧) البلغة: اليسير من العيش يتبلغ به، أي يسدبه الجوع.

(٨) أجوب طرقاتها: أقطعها.

جَولاَنَ الحَائم[1]، وأرُودُ في مَسَارِحِ لَمَحَاتي[2]، ومَسَايحِ غَدَواتي ورَوْحَاتي[3]، كريماً أخلقُ له ديباجتي[4]، وأبوح إليه بحاجتي، أو أديباً تُفَرِّج رؤيتهُ غُمَّتي، وتُروي روايته غُلَّتي[5]، حتى أدَّتْني خاتمةُ المطاف، وهدتني فاتحة الألطاف[6]، إلى نادٍ رَحيْب، محتو على زحَام ونحيب، فولجت غابةَ الجمع، لأسْبُرَ مَجْلَبَةَ الدمع[7]، فرأيت في بُهْرَةِ الحَلْقَة[8] شخصاً شَخْتَ الخلْقَة[9]، عليه أُهْبَةُ السِّياحة، وله رَنَّةُ النِّياحة، وهو يطبعُ الأسْجاعَ بجواهر لفظه، ويَقْرعُ الأسماعَ بزواجر وَعْظه، وقد أحاطت به أخْلاطُ الزُّمَر، إحاطة الهالة بالقمر، والأكْمَام بالثَّمَر، فَدَلَفْتُ[10] إليه لأقتبسَ من فوائده، وألتقطَ بعضَ فرائده، فسمعته يقول حين خَبَّ في مَجَاله[11]، وهَدَرَتْ شقاشق ارتجاله[12]:

(١) حوماتها: أي معظم مواضعها التي يجتمع فيها الناس. الحائم: العطشان الذي يحوم حول الماء، وطائر يقال: إنه إذا اشتد به العطش، ورد الماء فحام عليه حتى يغرق وهو يشرب، فإن ناله الماء تساقط ريشه.

(٢) أرود: أطلب. مسارح لمحاتي: المواضع التي يسرح فيها النظر.

(٣) المسايح: مواضع السياحة، واحدتها مسيحة.

(٤) كريما: مفعول أرود. أخلق الثوب: لبسه حتى أبلاه. الديباجة: الوجه، أو صفحة الخد، وقوله أخلق له ديباجتي: أي أبذل له ماء وجهي، وهو الحياء يبذله الإنسان في السؤال وطلب الحاجة.

(٥) الغلة: شدة العطش.

(٦) فاتحة الألطاف: أي أول ألطاف الله بي، وهي ما ينال الإنسان من التوفيق بفضل الله ومنه.

(٧) أي لأختبر سبب الدمع.

(٨) بهرة الحلقة: وسطها.

(٩) الشخت: الدقيق النحيف.

(١٠) دلف: مشى مشياً رويداً أو يقارب الخطو.

(١١) خب: أسرع.

(١٢) الشقاشق: جمع شقشقة بكسر الشينين، وهي في الأصل ما يخرجه البعير من فيه إذا هاج وهدر. ويقال للخطيب: إنه لذو شقشقة، تشبيها له بالفحل الكثير الهدير.

«أيها السَّادرُ في غُلوائه[1]، السادلُ ثَوْبَ خُيَلائه[2]، الجامحُ في جَهَالاته، الجانحُ إلى خُزَعْبَلاته، إلامَ تستمر على غَيِّكَ، وتَسْتَمْرِئُ مَرْعى بَغْيك؟ وحَتَّامَ تَتَنَاهَى في زَهْوكَ، ولا تَنْتَهي عن لَهْوكَ؟ تُبَارزُ بمعصيتك، مَالكَ ناصيتَكَ[3]، وتَجْتَرئُ بقُبْحِ سيرتك على عالم سَريرتك، وتَتَوارى عن قريبك وأنت بمَرْأى رَقيبك[4] وتَسْتَخْفي من مَمْلُوككَ، وما تَخْفَى خَافيةٌ على مَليككَ.

أتظن أنْ سَتَنْفَعُكَ حَالُكَ إذا آن ارتحَالُكَ، أو يُنْقذُ كَمالُك حين تُوبقُكَ[5] أعمالُكَ؟ أو يُغْني عنك نَدَمُكَ إذا زلَّتْ قدمُك؟ أو يعطف عليك مَعْشَرُكَ يوم يَضُمُّكَ مَحْشَرُكَ؟».

(١) السادر: الذي لايبالي بما صنع. الغلواء: الغلو ومجاوزة الحد.

(٢) الخيلاء: الكبر.

(٣) الناصية: الشعر في مقدم الرأس، أو هي الطرة، وقوله: مالك ناصيتك: أي الله تعالى.

(٤) رقيبك: أي عالم أمرك، وهو الله.

(٥) توبقك: تهلك.

مناقشة

١ ـ بم تميزت الخطابة في أول العصر العباسي؟ ومن أشهر الخطباء في تلك الفترة؟

٢ ـ تحدث عن حال الخطابة في أواخر العصر العباسي.

٣ ـ (العصر العباسي هو العصر الذهبي للكتابة الفنية) اشرح هذه العبارة مبيناً مكانة الكتابة والكتَّاب في العصر العباسي.

٤ ـ قسَّم مؤرخو الأدب الكُتَّاب في العصر العباسي. إلى أربع طبقات، اذكر إمام كل طبقة، وأشهر رجالاتها، ومميزات كل طبقة.

٥ - اذكر تعريف المقامة في اللغة والاصطلاح، ومن أول من أنشأها ؟ ومن رائدها؟ ثم اذكر أشهر كتابها.

٦ - ما أهم خصائص المقامات الأدبية؟

دراسة لاثنين من كتّاب هذا العصر .

١ ـ عبد الله بن المقفع

(١٠٦ ـ ١٤٢هـ)

حياته :

عبدالله بن المقفع كاتب فارسي الأصل ، كان والده (داذويه) المجوسي مسؤولاً عن خراج فارس عند الحجاج بن يوسف والي العراق للأمويين ، وقد سرق هذا المجوسي بعض أموال الخراج ، فضربه الحجاج حتى تقفعت يداه ، أي تشنجتا ويبستا وتجمع باطنهما ، فلقب (بالمقفع) .

وفي عام ١٠٦هـ ولد لداذويه غلام سماه (روزبة) ، وهو من عرف بعد ذلك بعبدالله بن المقفع .

وقد نشأ روزبة في البصرة وتعلم فيها حتى صار من الكتاب المرموقين آخر أيام الدولة الأموية ، فاستكتبه يزيد بن عمر بن هبيرة والي البصرة للأمويين .

وفي عهد الدولة العباسية أصبح كاتباً لعيسى بن علي ، عم الخليفة العباسي المنصور ، وقد أسلم على يديه ، وتسمى بعبدالله ، وتكنى بأبي محمد .

قتل ابن المقفع في البصرة عام ١٤٢هـ بأمر من الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور ، وقد قتله والي البصرة سفيان بن معاوية المهلبي .

وقد يكون السبب المباشر لمقتله كتابة ابن المقفع عهد الأمان بين أبي جعفر المنصور وعمه عبدالله بن علي مع ما اشتهر عنه من زندقة وإلحاد وترويج لكتب الفرس ودياناتهم .

وقد اشتهر ابن المقفع بالذكاء وسعة المعرفة ودقة الملاحظة .

أدبـــه .

ابن المقفع رأس الطبقة الأولى من الكتاب في العصر العباسي ، وقد اجتمعت له ثقافات ومعارف منوعة : عربية ، وفارسية ، وهندية .

ويمتاز أسلوب ابن المقفع بالوضوح ، والإيجاز ، والبعد عن المبالغة ، والدقة في اختيار الألفاظ ، والعناية بالمعنى ، وإيراد الشواهد والأدلة لتثبيت الفكرة التي يتحدث عنها أو الرأي الذي يطرحه .

كما أنه كان بارعاً في التحليل والتعليل المنطقي ، وكان من أبلغ كتاب عصره .

مـؤلفـــاتـــه :

١ ـ الأدب الصغيـر .

رسالة صغيرة في حدود ثلاثين صفحة، تشتمل على نصائح وتوجيهات خلقية واجتماعية وسلوكية قصيرة، يهدف منها إلى إصلاح المجتمع وتقوية الروابط بين أفراده.

٢ ـ الأدب الكبيـر .

رسالة أخرى لابن المقفع أطول من الأولى، إذ تبلغ نحواً من مئة صفحة، ويتحدث فيها عن أمرين مهمين، هما: السلطان وما يتصل به من السياسة والحكم، والصداقة وصفات الصديق، ويورد أثناء ذلك قصصاً وأحداثاً من تاريخ الفرس والهنود واليونان وغيرهم ليدلل على آرائه ويدعمها.

٣ ـ رسالة الصحابة .

هذه الرسالة كتبها ابن المقفع للخليفة العباسي الثاني أبي جعفر المنصور، والمقصود بالصحابة هنا أصحاب الخلفاء وبطانتهم من ولاة ومستشارين.

وقد تناول فيها بالنقد والتحليل الأوضاع السياسية والاجتماعية وما يراه من وجوه الإصلاح.

٤ ـ كليلـة ودمنـة .

كتاب وضع على ألسنة البهائم والطيور، يحتوي على قصص وأمثال تحمل في طياتها حِكَماً وتجارب في الحياة، ويتضمن قصصاً عن واجبات الراعي والراعية والصداقة والصدق في القول والعمل وأدب الضيافة. . . ووجوب العلم بالأمور والحلم والتأني عند الغضب وحفظ العهد والوفاء ووضع المعروف والإحسان في موضعهما.

والصحيح أن أن أصل الكتاب مترجم، ولكن ابن المقفع قد أدخل عليه تعديلات وإضافات كثيرة، فهو مزيج من الترجمة والتأليف.

ومن أبوابه: الأسد والثور- الحمامة المطوقة- البوم والغربان- القرد والغيلم- الناسك وابن عرس- الجرذ والسنور- الأسد وابن آوى- الناسك والضيف- السائح والصائغ- الحمامة والثعلب ومالك الحزين.

٥ ـ كتب أخرى.

وقد ترجم ابن المقفع كتباً كثيرة من اللغة الفارسية إلى العربية، مثل (خداينامة) في سير ملوك الفرسي و (آين نامة) في عادات الفرس وآدابهم، وكتاب (التاج) في سيرة الملك (أنو شروان)، وكذلك بعض الكتب الفلسفية التي نقلت عن اليونانية إلى الفارسية ثم ترجمها إلى العربية كبعض كتب أرسطو.

مختارات من نثر ابن المقفع

١ ـ قال ابن المقفع في الأدب الكبير[١] عن معاملة الصديق:

«ابذلْ لصديقك دَمَكَ ومالَك، ولَمعْرِفَتك رِفْدَك ومَحضَرَك[٢]، وللعامة بِشْرَك وتَحنُّنَك[٣]، ولعدوك عَدْلَك وإنصافَك، واضنُنْ[٤] بدِيْنِكَ وعرضَكَ على كل أحد.

تَحَفَّظْ في مجلسك وكلامك من التطاول على الأصحاب[٥]، وَطِبْ نَفْساً عن كثير مما يَعْرِضُ لك فيه صَوابُ القول والرأي مُداراةً لئلا يَظنَّ أصحابُك أن ما بك التطاولَ عليهم.

إن أحببت أن تلبس ثوبَ الوقار والجمال وتتحلى بحلية المودة عند العامة وتسلكَ الجَدَدَ[٦] الذي لاخَبَارَ[٧] فيه ولا عثار، فكن عالماً كحاهل، وناطقا كَعَيِيّ، فأما العلم فيرشدك، وأما قلّةُ ادِّعائه فينفي عنك الحسد، وأما المنطق إذا احتجت إليه فَسَيَبْلُغُ حاجتك، وأما الصمت فيكسبك المحبةَ والوقار.

إذا رأيت رجلا يُحَدِّثُ حديثاً قد علمته أو يخبر خبراً قد سمعته فلا تشاركه فيه، ولا تَتَعَقّبْه عليه، حرْصاً على أن يعلم الناس أنك قد علمته، فإن في ذلك خِفَّةً وَشُحًّا وسوءَ أدبٍ وسُخْفا»

---

(١) الأدب الكبير لابن المقفع ضمن كتاب آثار ابن المقفع ص ٢٩٧.

(٢) الرفد: العطاء، والمحضر: المجلس.

(٣) البشر: طلاقة الوجه والترحيب بالضيف، والتحنن: الحنان والعطف.

(٤) الضن (بالضاد) البخل والحرص، والمعنى كن حريصا علي دينك، ولا تتساهل في دينك وعرضك.

(٥) التطاول: التعاظم والتفاخر وادعاء المعرفة.

(٦) الجَدَد: المستوي من الأرض، وقيل: الأرض الصلبة وفي المثل: من سلك الجدد أمن العثار.

(٧) الخَبَار: الأرض الرخوة. وفي المثل: من تجنب الخبار أمن العثار.

٢ ـ ومن كتاب كليلة ودمنة:

باب الناسك والضيف

قال دَبْشَليمُ الملكُ لبيدبا الفيلسوف: اضرب لي مثلَ الذي يَدَعُ صُنْعَهُ الذي يَليقُ به ويُشَاكلُهُ، ويَطْلُبُ غيرَه فلا يُدْركُهُ، فيبقى حَيْرَانَ مُتَرَدِّداً. قال الفيلسوف: زعموا أنه كان بأرض الكَرخ ناسك عابد مجتهد، فنزل به ضيفٌ ذات يوم، فدعا الناسكُ لضيفه بتمر ليُطْرِفَهُ به، فأكلا منه جميعاً. ثم قال الضيف: ما أحلى هذا التمر وأطيبه، فليس هو في بلادي التي أسكنها، وليته كان فيها. ثم قال: أرى أن تساعدني على أن آخذ منه ما أغْرسُهُ في أرضنا، فإني لست عارفاً بثمار أرضكم هذه ولا بمواضعها. فقال له الناسك: ليس لك في ذلك راحة، فإن ذلك يَثْقُلُ عليك، ولعل ذلك لا يوافق أرضكم، مع أن بلادكم كثيرة الأثمار، فما حاجتها مع كثرة ثمارها إلى التمر مع وَخَامَته وقلة موافقته للجسد. ثم قال له الناسك: إنه لا يُعَدُّ حكيماً من طَلَبَ مالا يَجدُ، وإنك سعيدُ الجَدِّ إذا قَنعْتَ بالذي تَجدُ وزهدت فيما لاتجد.

وكان هذا الناسك يتكلم بالعبرانية. فاستحسن الضيف كلامه وأعجبه. فَتكَلَّف أن يَتَعَلَّمَهُ، وعالج في ذلك نَفْسَهُ أياماً. فقال الناسك لضيفه: ما أخلقك أن تقع مما تركت من كلامك وتكلفت من كلام العبرانية في مثل ما وقع فيه الغراب. قال الضيف: وكيف كان ذلك؟

قال الناسك: زعموا أن الغراب رأى حَجَلَةً تَدْرُجُ وتمشي، فأعجبه مشْيَتُهَا، وطَمعَ أن يتعلمها. فَرَاضَ على ذلك نفسه فلم يقدر على إحكامها، وأيسَ منها، وأراد أن يعود إلى مشْيَته التي كان عليها فإذا هو قد اختلط وتخلع في مشيته، وصار أقبح الطير مَشْياً. وإنما ضربت لك هذا المثلَ لما رأيت من أنك تركت لسانك الذي طُبِعْتَ عليه، وأقبلت على لسان العبرانية وهو لا يُشاكلُكَ. وأخاف ألا تُدْركَهُ وتنسى لسانك وتَرْجع إلى أهلك وأنت شَرُّهُمْ لسَاناً، فإنه قد قيل: إنَّهُ يُعَدُّ جاهلاً من تكَلَّف من الأمور مالا يشاكله، وليس من عمله، ولم يُؤَدبْهُ عليه آباؤه وأجداده من قبل.

٣ ـ قال ابن المقفع في رسالة الصحابة[١]:

«وقد عَلِمْنَا علْمًا لا يُخَالطُهُ شَكٌ أنَّ عامةً قَطُّ لم تَصْلُحْ من قبَل أنْفُسها ولم يَأتهَا الصلاحُ إلا من قبَل خَاصَّتهَا، وأنَّ خاصةً قَطُّ لم تَصْلُحْ من قبَل أنْفُسهَا وأنَّها لم يأتها الصلاحُ إلا من قبل إمامهَا. وذلك لأن عددَ الناس في ضَعَفَتهم وجُهَّالهم الذين لا يَسْتَغْنُونَ برأي أنفسهم ولا يحملون العلمَ ولا يتقدمون في الأمور، فإذا جعل الله فيهم خواصَ من أهل الدِّين والعقول ينظرون إليهم ويسمعون منهم اهْتَمَّتْ خواصُّهم بأمور عوامِّهم، وأقبلوا عليها بجدٍّ ونصح ومثابرة وقوة، جعل الله ذلك صلاحاً لجماعتهم، وسبباً لأهل الصلاح من خواصهم، وزيادة فيما أنعم اللهُ به عليهم، وبَلاَغاً إلى الخير كله. وحاجةُ الخواص إلى الإمام الذي يُصْلحُهُمُ اللهُ به كحاجة العامة إلى خواصهم وأعظم من ذلك.

فبالإمام يُصْلحُ اللهُ أمرَهم، ويَكْبتُ أهلَ الطعن عليهم ويَجْمَعُ رأيَهم وكلمتَهم، ويبينُ لهم عند العامة منزلتَهم، ويجعل لهم الحُجّةَ والأيْدَ[٢] في المقال على من تَنكَّب عن سبيل حَقِّهم. فلما رأينا هذه الأمور يَنْتَظمُ بعضُها ببعض، وعرفنا من أمر أمير المؤمنين ما بمثله جمع اللهُ خواصَ المسلمين على الرغبة في حُسْنِ المعاونة والمؤازرة والسعي في صَلاَح عامتهم، طَمِعْنَا لهم في ذلك يا أمير المؤمنين، وطَمعنا فيه لعَامتهم، ورجونا أن لايعمل بهذا الأمر أحدٌ إلاّ رزقه الله المتابعة فيه والقوة عليه.

فإنَّ الأمر إذا أعانَ على نفسه جعل للقائل مقالاً، وهيأ للساعي نجاحاً. ولا حولَ ولا قوة إلاّ بالله وهو رب الخلق وولي الأمر، يقضي في أمورهم، ويدبِّرُ أمرهم بقدرة عزيز وعلمٍ سابق، فنسأله أن يَعْزِمَ لأمير المؤمنين على المراشد، ويُحَصِّنَهُ بالحفظ والثبات، والسلام ولله الحمد والشكر).

(١) رسالة الصحابة لابن المقفع ضمن كتاب آثار ابن المقفع ص ٣٦٠.

(٢) الأيد: القوة.

مناقشة

١ ـ يعتبر ابن المقفع رأس الطبقة الأولى من الكُتَّاب في العصر العباسي . تحدث عن أصله ونشأته وسبب تسميته بابن المقفع .

٢ ـ مات عبد الله بن المقفع مقتولاً . متى كان ذلك؟ وما سبب قتله؟

٣ ـ اذكر ثلاثة من مؤلفات ابن المقفع وتحدث عن كل واحد منها بإيجاز .

٤ ـ ما أهم ما يتميز به أسلوب ابن المقفع في الكتابة؟

٥ ـ ترجم ابن المقفع بعض الكتب الفارسية إلى العربية ، وكان عمله ذلك متميزاً عن غيره فلماذا؟

٦ ـ مر بك نص لابن المقفع من كتابه (رسالة الصحابة) . ما الموضوع العام للنص؟ وتحدث عن أفكار النص وألفاظه بإيجاز .

٢ ـ الجاحظ

(١٥٩هـ - ٢٥٥هـ)

حياته.

أبو عثمان، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، الملقب بالجاحظ لجحوظ عينية، أي بروز حدقتيهما، ولذا يلقب بالحدقي أيضاً.

ولد الجاحظ بالبصرة عام ١٥٩هـ، وفي جو البصرة العلمي تربى الجاحظ، ودرس العلوم على علمائها من المسجديين الذين كانوا يدرسون العلم في مسجد البصرة الكبير، كما تتلمذ علي كبار اللغويين كأبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري والأخفش الأوسط، وكان يلتقى بالأعراب في مربد البصرة فيأخذ عنهم، كما أنه كان مغرماً بقراءة الكتب، حتى إنه كان يستأجر دكاكين الوراقين ويبيت فيها لقراءة الكتب ونسخها، ولذلك فقد امتاز بثقافة موسوعية عجيبة برزت في مؤلفاته الكثيرة التي تعتبر بحق دائرة معارف متنوعة.

ولم يكن مقتصراً على الثقافة العربية، بل كان بصيراً بالثقافات الوافدة على العرب من الفرس واليونان، والهنود، كما أنه كان على جانب كبير من الثقافة العلمية بالإضافة إلى الثقافة الأدبية، وقد تجلى ذلك في كتابة الكبير (الحيوان).

وننبه هنا إلى أن الجاحظ يُعد من زعماء المعتزلة؛ فقد تلقى الاعتزال عن أستاذه أبي إسحاق النظام، وهو من كبار المعتزلة، وقد خالف الجاحظ أئمة المعتزلة في بعض المسائل حتى أصبحت له فرقة تنسب إليه، وتسمى (الجاحظية).

وقد كان الجاحظ في بداية أمره فقيراً، يبيع الخبز والسمك في البصرة ليكسب معاشه.

وعندما اشتهر أمره وعرف أدبه استدعاه الخليفة المأمون إلى بغداد للعمل في ديوان الرسائل، لكنه لم يلبث فيه إلا ثلاثة أيام.

لكن صلته بالخلفاء والوزراء قد قويت، فكانوا يغدقون عليه الأموال. ومن أشهر الوزراء الذين اتصل بهم محمد بن عبدالملك الزيات، وأحمد بن أبي دؤاد، والفتح بن خاقان.

وكان يحب الإقامة في البصرة، ويتردد على بغداد إلى أن أصيب بالفالج، فأقام في البصرة، وفي تلك الفترة ألف عدَدا من كتبه. وقد ذكر المبرد أنه زراه في مرضه، فقال: «دخلت على الجاحظ في آخر أيامه، فقلت له: كيف أنت؟ كيف يكون من نصفه مفلوج لو حز بالمناشير ما شعر به، ونصفه الآخر منقرس لو طار الذباب بقربه لآلمه، وأشد من ذلك ست وتسعون سنة أنا فيها».

وتوفي الجاحظ بالبصرة عام ٢٥٥هـ. ويقال: إن كتبه قد انهالت عليه وهو جالس بينها فأهلكته.

أدبه وأسلوبه.

يعتبر الجاحظ أعظم كُتَّاب العصر العباسي، ومن أعظم الكُتَّاب في الأدب العربي على اختلاف عصوره.

وقد امتاز أسلوبه بميزات، أهمها:

١ ـ الاستطراد الكثير والخروج عن الموضوع إلى موضوعات أخرى لأدنى مناسبة والاستطراد وإن كان من عيوب التأليف إلا أن الجاحظ كان يهدف منه إلى دفع الملل والسآمة عن القارئ. وأبرز ما يتضح ذلك في كتاب الحيوان.

٢ ـ مزج الجد بالهزل، والميل إلى المرح وشيء من السخرية.

٣ ـ ألفاظه دقيقة واضحة بعيدة عن الغرابة مع عدم الإِغراق في الخيال والمجاز والسجع المتكلف.

٤ ـ يكثر من الجمل الاعتراضية والمترادفة.

٥ ـ يكثر من الاستشهاد والجدل.

٦ ـ القدرة على تصوير الشخصيات وتحليل نفسياتها.

والجاحظ من الأدباء الذين كان لهم فضل كبير في دراسة البلاغة العربية ووضع أصولها وقواعدها وكذلك النقد الأدبي.

وبالإضافة إلى أدبه فهو عالم ذو منهج علمي دقيق، يعتمد على التجربة وقوة الملاحظة ورصد الظواهر وتحليلها وتعليلها، كما يتضح ذلك من كتاب الحيوان وغيره.

وقد قال ابن العميد عن كتب الجاحظ: إنها تعلم العقل أولاً والأدب ثانياً.

مؤلفاته.

مؤلفات الجاحظ كثيرة جداً، تزيد على ثلاث مئة ما بين كتاب ورسالة، ومن أشهرها:

١ ـ البيان والتبيين.

ألف الجاحظ هذا الكتاب في أخريات أيامه، وهو يهدف إلى دراسة البيان العربي، والرد على الشعوبيين الذين يطعنون فيه، ويضم مختارات أدبية جيدة.

وقد تكلم الجاحظ فيه عن الألفاظ والتراكيب والبلاغة وعيوب اللسان وعن الشعراء والخطباء.

وقد أثنى ابن خلدون على الكتاب فقال: «سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول فن الأدب وأركانه أربعة دواوين، وهي أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي. وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها».

٢ ـ الحيـــوان.

أكبر كتب الجاحظ، وعنوانه يوحي بأنه كتاب خاص بالحيوان، لكن الكتاب في حقيقته موسوعة علمية وأدبية شاملة، وهو مكون من سبعة أجزاء، تحدث فيها الجاحظ عن أنواع الحيوان وطبائعه، وأورد فيه ملاحظات علمية قام بها الجاحظ نفسه.

والكتاب مليء بالاستطرادات الأدبية والعلمية؛ فقد تحدث في مقدمته مثلاً عن كتبه الكثيرة ورد على منتقديه، كما تحدث عن فضل الكتاب (جنس الكتاب) وفوائده.

وعند حديثه عن أى حيوان يورد ما قيل فيه من أشعار وأمثال وأخبار.

٣ ـ البخـــلاء.

من أمتع كتب الجاحظ، وقد جمع فيه قصصًا وأخبارًا عن البخل والبخلاء، وأوردها بطريقة فنية أقرب ما تكون إلى أسلوب القصة. وفيه تحليل نفسي دقيق لطبائع البخلاء ودوافعهم، كما أورد فيه أحاديث عن كرم العرب وعن أطعمتهم وآدابهم في الطعام والضيافة.

وفي الكتاب تصوير لمجتمع البخلاء في عصره.

ولم يكن الجاحظ بخيلاً، وإنما كان يهدف إلى السخرية من البخلاء، وإمتاع القارئ بقصص عجيبة، صاغها بأسلوب رائع جميل.

٤ ـ ومن كتب الجاحظ الأخرى رسالة التربيع والتدوير، والتبصرة بالتجارة، والعرجان والبرصان، والقول في البغال، وتهذيب الأخلاق، والعثمانية، ومناقب الترك، والحنين إلى الأوطان.

وله رسائل كثيرة نشر مجموعة منها الأستاذ عبدالسلام هارون في مجموعة (رسائل الجاحظ).

مختارات من أدب الجاحظ

١ ـ قال الجاحظ يصف الكتاب:

«والكتاب وعاء ملئ علمًا، وظَرفٌ حُشيَ ظُرفًا[١]، وإناء شُحن مزاحًا وجدًا، إن شئت كان أبْيَنَ من سحبانَ وائل[٢]، وإن شئت كان أعيا من باقل[٣]، وإن شئت ضحكت من نوادره، وإن شئت عجبت من غرائب فرائده، وإن شئت ألهتك طرائفه، وإن شئت أشجتك مواعظه، ومن لك بواعظ مُلْهٍ، وبزاجر مُغْرٍ، وبناسك فاتك، وبناطق أخرس...

ولست أعلم جاراً أبَرَّ، ولا خليطًا أنصفَ، ولا رفيقاً أطوعَ، ولا معلماً أخضع، ولا صاحبًا أظهر كفاية، ولا أقل جناية، ولا أقل إملالاً، ولا أتركَ لشغب. ولا أزهد في جدال، ولا أكفَّ عن قتال من كتاب. ولا أعلم إنتاجاً في حداثه سنه، وقرب ميلاده، ورخص ثمنه، وإمكان وجوده، يجمع من التدابير العجيبة، والعلوم الغريبة، ومن آثار العقول الصحيحة، ومحمود الأذهان اللطيفة، ومن الحكم الرفيعة، والمذاهب القديمة، والتجارب الحكيمة، ومن الأخبار عن القرون الماضية، والبلاد المتنازحة، والأمثال السائرة، والأمم البائدة ما يجمع لك الكتاب».

٢ ـ وقال عن الخطابة والخطباء:

«ثم اعلم أن جميع خطب العرب من أهل المدر والوبر[٤] والبدو والحضر على ضربين: منها الطوال، ومنها القصار. ولكل ذلك مكان يليق به، وموضع يحسن فيه. ومن الطوال ما يكون مستوياً في الجودة ومشاكلاً في استواء الصنعة، ومنها ذاتُ الفقَر الحسان والنتف الجياد، وليس فيها بعد ذلك شيء يستحق الحفظ. ووجدنا عدد القصار أكثر، ورواة العلم إلى حفظها أسرع، وكانوا يحبون ترصيع الخطب بآيات القرآن حتى قال بعضهم: هذا الفتى أخطب العرب لو كان في خطبته شيء من القرآن. وأكثر الخطباء يتمثلون في خطبهم الطوال بشيء من الشعر، ولا يكرهونه في الرسائل إلا أن تكون إلى الخلفاء».

(١) الظَّرف: وعاء من جلد أو غيره. والظُّرف: الخفة والمزاح.

(٢) سحبان وائل: يضرب به المثل في الخطابة والبيان.

(٣) أعيا: أقل قدرة على النطق والفصاحة، باقل: يضرب به المثل في العي وعدم الإبانة.

(٤) أهل المدر: الحضر، وأهل الوبر: البادية.

٣ وقال في كتاب البخلاء

قصة الكندي .

«حدثني عمرو بن نُهيويّ قال :

كان الكنديُّ لايزال يقول للساكن، وربما قال للجار : إن في الدار امرأةً بها حملٌ، والوَحْمَى ربما أسقطت من ريح القدر الطيبة! فإذا طبختم فرُدُّوا شهوتَها، ولو بغَرفة أو لَعقة، فإن النفسَ يردها اليسير، فإن لم تفعلَ ذلك بعد إعلامي إياك، فكفارتُك- إن أسقطتْ- غُرَّةٌ: عبدٌ أو أمة، ألْزمتَ ذلك نفسك أم أبَيْتَ.

قال : فكان ربما يوافي إلى منزله من قِصاع السُّكَّان والجيران ما يكفيه الأيام، وإن كان أكثرهم يفطَنُ ويتغافل.

وكان الكندي يقول لعياله : أنتم أحسنُ حالاً من أرباب هذه الضِّياع؛ إنما لكل بيت منهم لون واحد، وعندكم ألوان . . .

قال معبد : نزلنا دار الكندي أكثر من سنة، نروِّجُ له الكراءَ ونقضي له الحوائج، ونفي له بالشَّرْط، قلت قد فهمتُ ترويجَ الكراء، وقضاءَ الحوائج، فما معنى الوفاء بالشرط؟ .

قال : في شَرْطه على السكان أن يكون له روثُ الدابة، وبعرُ الشاة، ونشْوارُ العَلوفة[1]، وألا يُلْقوا عظماً، ولا يخرجَوا كُسَاحة[2]، وأن يكون له نوى التمر، وقشورُ الرمانَ، والغَرفةُ من كل قدر تُطبخ للحبلى في بيته .

وكان في ذلك يتنزَّل[3] عليهم، فكانوا لطِيبه، وإفراط بخله، وحسن حديثه، يحتملون ذلك . . . .

قال إسماعيل : وسمعت الكندي يقول :

إنما المال لمن حَفظَه، وإنما الغنَى لمن تمسك به، ولحفْظ المال بُنيت الحيطان، وغُلِّقت الأبواب، واتُّخذت الصناديقُ، وعُملت الأقفال، ونُقشت الرسومُ والخواتيم، وتُعلِّم الحساب والكتاب . . .

(١) النشوار : ما تبقيه الدابة من العلف، «فارسي معرب».

(٢) الكساحة : الكناسة، معناه : أن لايرموا بذلك بل يبقوه له ينتفع به

(٣) يتنزل عليهم : أي يتدرج في فرض هذه الشرط عليهم

وقد علمنا أن حفظ المال أشدُّ من جمعه، وهل أُتيَ الناسُ إلا من أنفسهم، ثم من ثقاتهم ؟ والمال لمن حَفِظَه، والحسْرةُ لمن أتلفه، وإنفاقُه هو إتلافه، وإن حسَّنتموه بهذا الاسم[1]، وزينتموه بهذا اللقب.

(١) أي باسم الانفاق.

الفصل الدراسي الثاني

توزيع المنهج للفصل الدراسي الثاني

الأسبوع وتاريخه	الموضوعات	ملحوظات
الأول من / / ١٤٢٢هـ	الأدب في عهد الحروب الصليبية. قراءة قصيدة القيسراني يمدح نور الدين : « هذي العزائم لا ما تدعي القضب » وتوضيحها (حفظ خمسة أبيات منها)	واجب منزلي
الثاني من / / ١٤٢٢هـ	أغراض الشعر في عهد الحروب الصليبية قراءة قصيدة أسامة بن منقذ يصف جهاده « أبى الله إلا أن يكون لنا الأمر » وتوضيحها (حفظ خمسة أبيات منها)	
الثالث من / / ١٤٢٢هـ	خصائص أدب الحروب الصليبية قراءة رسالة العماد الأصفهاني على لسان صلاح الدين إلى الخليفة العباسي يبشره بفتح القدس، وتوضيحها. (حفظ الرسالة)	
الرابع من / / ١٤٢٢هـ	عصر الدولة المتتابعة : نبذة تاريخية ، رثاء بغداد ، حالة الشعر في هذا العصر تراجم مختصرة. قراءة قصيدة عمر بن الوردي في الحكم وتوضيحها (حفظ خمسة أبيات منها)	واجب منزلي
الخامس من / / ١٤٢٢هـ	النثر : التأليف والموسوعات، النثر الفني. قراءة المناظرة بين السيف والقلم لابن نباتة وتوضيحها (حفظ المقطع الأخير منها).	
السادس من / / ١٤٢٢هـ	العصر الأندلسي: لمحة عن الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية	
السابع من / / ١٤٢٢هـ	أغراض الشعر الأندلسي. قراءة قصيدة ابن الأبار القضاعي يرثي الأندلس: « أدرك بخيلك خيل الله أندلسا » وتوضيحها . (حفظ خمسة أبيات منها)	
الثامن من / / ١٤٢٢هـ	اختبار منتصف الفصل الدراسي الثاني.	
التاسع من / / ١٤٢٢هـ	أسلوب الشعر الأندلسي ومعانيه وأخيلته. الموشحات	واجب منزلي
العاشر من / / ١٤٢٢هـ	دراسة مفصلة عن الشاعر ابن زيدون. قراءة قصيدته التي بعث بها من السجن إلى الوزير ابن جهور رتوضيحها . (حفظ خمسة أبيات منها)	
الحادي عشر من / / ١٤٢٢هـ	دراسة مفصلة عن الشاعر ابن خفاجة. قراءة قصيدته في وصف الجبل: « وار عن طماح الذؤابة.. » وتوضيحها. (حفظ خمسة أبيات منها)	
الثاني عشر من / / ١٤٢٢هـ	النثر الأندلسي: أغراضه وفنونه وسماته. الخطابة.. قراءة خطبة منذر بن سعيد البلوطي وتوضيحها (حفظ المقطع الثالث منها)	واجب منزلي
الثالث عشر من / / ١٤٢٢هـ	الكتابة الأدبية. رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد.	
الرابع عشر من / / ١٤٢٢هـ	مراجعة ما حفظ من الشعر والنثر.	
الخامس عشر من / / ١٤٢٢هـ	مراجعة عامة.	

(٢)

الأدب في عصر الحروب الصليبية

الأدب في عهد الحروب الصليبية

يراد بالحروب الصليبية تلك الحروب التي قامت بين المسلمين في المشرق العربي وبين الصليبيين القادمين من أوروبا لاحتلال بيت المقدس وبلاد الشام، بعد أن نشطت في أوروبا حركة معادية للعالم الإسلامي.

وقد استمرت تلك الحروب قرنين من الزمان (٤٩٠هـ- ٦٩٠هـ).

وفي منهج التاريخ دراسة مفصلة عن تلك الحروب وحملاتها التي تتالت على العالم الإسلامي حتى أذن الله بإخراجهم من بلاد المسلمين.

وقد تأثر كثير من الأدباء في ذلك العصر بالأجواء السائدة فجاء أدبهم ممثلاً لذلك العهد من وصف للمعارك، واستنهاض للهمم، ومدح للملوك وقادة الجيوش الإسلامية؛ لرد العدوان عنهم والدفاع عن أنفسهم وأوطانهم.

أغراض الشعر

١ ـ الدعوة إلى الجهاد.

لقد قام الشعر بدور فعال في الدعوة إلى الجهاد، وتحميس الجيوش، ورفع الروح المعنوية للمقاتلين.

ولعل الدعوة إلى الجهاد هي لب الشعر في هذه الفترة، والمنطلق الذي اتخذه الشعراء باباً لكل المعاني والأفكار التي عالجوها في شعرهم.

وتتمثل الدعوة إلى الجهاد في مظاهر مختلفة، منها التذكير بحروب المسلمين السالفة وما أبلاه المجاهدون فيها من بلاء حسن، وكذلك في مدح القادة العظام الذين خاضوا المعارك ضد الصليبيين، وفي تثبيت المجاهدين ودعوتهم إلى الاستبسال في القتال، وفي حث الذين لم يشاركوا على المشاركة واغتنام الفرصة وكسب الأجر العظيم في الجهاد.

٢ ـ وصف المعارك الحربية.

وهذا الغرض أيضاً مما أبدع فيه شعراء ذلك العصر؛ فقد رسموا صوراً شعرية نابضة بالحركة والحياة للمعارك الفاصلة التي خاضها المسلمون ضد الصليبيين المعتدين. ونجد ذلك واضحاً في وصف المعارك الكبيرة كمعركة حطين ومعركة فتح بيت المقدس وحصار عكا وأسر لويس التاسع في دمياط.

وقد تبع وصف المعارك وصف أدوات القتال؛ فكانت القصائد التي تصف الخيل وأدوات الحصار والمعارك البحرية وغيرها، وكذلك وصف المعارك الفاصلة وتطاحن الجيوش ومنظر الأسرى ووصف الخطط الحربية ووسائل الدفاع والهجوم.

٣ ـ المديح والرثاء.

شعر المديح والرثاء في هذه الفترة يمتاز بأنه صادق، فيه تمجيد للبطولة والأبطال، وبيان للصفات التي يتحلون بها. ولم يكن الدافع إليه في الغالب طلب المال والعطاء، وإنما الإعجاب بالبطولة.

وما قيل في مديح ورثاء عماد الدين ونور الدين وصلاح الدين يدل على أن الشعر نابع من القلب، يهدف إلى إبراز الأفعال في صورة المدافع عن المسلمين، الساعي إلى استرداد بلادهم ودحر الصليبيين المعتدين.

ولم يكن الرثاء مقصوراً على الأشخاص، بل كان هناك رثاء للمدن الإسلامية التي سقطت في يد الصليبيين، وبيان لما أصابها من دمار وتخريب.

ولعل من أشد ما وقع على المسلمين من البلاء استيلاء الصليبيين على بيت المقدس، وهنا تحركت كوامن الشعراء، فقالوا شعراً يقطر أسى ولوعة، ويفيض عبرة، ويدعو إلى أخذ الثأر واسترداد المدينة، وقد أتم الله ذلك على يد صلاح الدين.

أغراض أخرى.

ذكرنا في الأغراض السابقة ما له علاقة بالحروب الصليبية، وقد كانت هناك أغراض أخرى، وهي الأغراض العامة للشعر في كل عصر كالوصف والغزل والإخوانيات. ويلاحظ أن هذه الأغراض وإن كانت بعيدة عن الصراع بين المسلمين والصليبيين إلا أنها قد تأثرت بالجو العام الذي كانت تعيش فيه بلاد الشام ومصر زمن الحروب الصليبية.

خصائص أدب الحروب الصليبية

برزت في أدب هذه الفترة بعض السمات العامة التي تميزه عن غيره، ويرى الدارسون للأدب أنها ناتجة عن الحروب الصليبية والصراع بين المسلمين وأعدائهم.

وأبرز تلك السمات والخصائص باختصار:

١ ـ طول القصائد، وبروز ما يشبه الملاحم. ولعل ذلك ناتج عن جسامة الأحداث وأهوالها، ورغبة الشعراء في استيفاء الموضوع بكل دقة وتفصيل، ولذلك كانت حصيلة الشعر في هذه الفترة غزيرة وافرة.

٢ ـ هذا الشعر سجل حافل للأحداث التي مرت بالأمة الإسلامية؛ ففيه حديث مفصل عن النكبات وعن الانتصارات، ولذا فهو مرجع تاريخي مهم لدراسة العصر، ومن مجموعه نستطيع ترتيب ملحمة شعرية خالدة تصور هذا العصر بكل دقة وجلاء.

٣ ـ بروز روح الجهاد والقوة والمعاني الإسلامية فيه، مما جعله متميزاً بين عصور الأدب العربي.

٤ ـ كثرة عدد الشعراء؛ لأن الشعر لم يعد قاصراً على شعراء المديح المحترفين، وإنما هو تعبير عن روح الجهاد، فبرزت قصائد رائعة لكنها لشعراء مجهولين.

٥ ـ سلاسة العبارة، وخلوه من الغرابة والتعقيد، واتسامه بالوضوح، مع كثرة التشبيهات والاستعارات والكنايات. وهذا الحكم في الغالب، وإلا فهناك شعر فيه غرابة وتعقيد.

٦ ـ التجديد في معاني الشعر وأخيلته، وكذلك دخول بعض الألفاظ الإفرنجية في الشعر نتيجة للاحتكاك بالصليبيين.

نماذج من أدب الحروب الصليبية

أولاً: الشعـــر.

(١) قال أبو المظفر الأبيوردي[١] يصف تفرق المسلمين واستيلاء الصليبيين على القدس الشريف عام ٤٩٢هـ:

مَـــزَجْنا دمـــاءً بالدمـــوع السَّـــواجم ... فلم يَبْقَ منا عـــرضـــة لـلمـــراجم

وشـــرُّ ســـلاح المرء دَمْعٌ يُفـيـــضُـــهُ ... إذا الحـــربُ شُـــبَّت نارُها بالصـــوارم

فـــإيهـــاً بني الإســـلام إن وراءكم ... وقـــائعَ يُلْحِـــقْنَ الذُّرى بالمَنَاسِم

وكـــيف تنام العينُ ملْءَ جُـــفُـــونهـــا ... عـلـى هَـفَـــــوات أيـقـظـت كـلَّ نـائـم

وإخـوانكم بالشـام يُضْـحي مَـقـيـلُهُم ... ظهـــورَ المَذاكي أو بطونَ القـــشـــاعم

تَسُـــومُـــهُمُ الرومُ الهـــوانَ وأنـتمُ ... تَجُـــرُّون ذَيْلَ الخَـــفْضِ فِـــعْلَ المســـالم

وكم من دِمَـــاء قـــد أبيـــحت ومن دُمَى ... تُواري حـــيـــاءً حُـــسْنَهـــا بالمَعَـــاصم

بحـيث السـيـوفُ البـيضُ مُـحْـمَـرّةُ الظُّبـا ... وَسُـمْـرُ العَـوالي دَامِـيَـاتُ اللَّهَـاذم

وبين اخـتـلاف الطعن والضـرب وَقْـفَـةٌ ... تَظَلُّ لهـــا الولْدَانُ شِـــيبَ القَـــوادم

وتلك حـــروبٌ من يَغِبْ عن غِـــمَـــارِها ... لِيـــسلمَ يَقْـــرَعْ بعـــدها سِنَّ نَادِم

فَلَيْـــتَـــهُمُ إذْ لم يَذُودُوا حـــمِـــيَّـــةً ... عن الدين ضَنُّوا غَـــيْـــرَةً بالمَحَـــارِم

وإن زَهِدُوا في الأجـــر إذْ حـــميَ الوغى ... فـــهـــلا أتوه رَغْـــبَـــةً في الغنائم

دعـــوناكُمُ والحـــربُ ترنو مُلِحَّـــةً ... إلينا بألحـــاظ النســـور القَـــشَـــاعِم

فـــإن أنتمُ لم تَغْـــضَـــبُـــوا بعـــد هذه ... رمـــينا إلى أعـــدائنا بالحَـــرائم

(١) أبو المظفر الأبيوردي (٠٠٠ - ٥٠٧هـ). محمد بن أحمد الأبيوردي، (نسبه إلى بلده أبيورد في مقاطعة أصفهان). ولد بأبيورد، ثم انتقل إلى بغداد، واتصل بالخلفاء والوزراء، وأصبح من فحول شعراء عصره، حتى لقب (بالمتنبي الصغير)، وتوفي مسموما في بغداد عام ٥٠٧هـ. وله ديوان شعر ضخم، حققه الدكتور عمر الأسعد، ونشره في مجلدين كبيرين، وله مؤلفات، منها: المختلف والمؤتلف، وتاريخ أبيورد، وقبسة العجلان، وزاد الرفاق.

(٢) قال ابن القيسراني[1] يمدح نور الدين ويصف جهاده وانتصاراته على الصليبيين :

هذي العزائمُ لا ما تَدَّعي القُضُبُ ... وذي المكارمُ لا ما قالت الكُتُبُ

وهذه الهِمَمُ اللاتي متى خَطَبَتْ ... تعثرت خلفها الأشعارُ والخُطَبُ

صافحتَ يا ابنَ عماد الدين ذِرْوَتَها ... براحَةٍ للمساعي دونها تَعَبُ

غَضِبْتَ للدين حتى لم يَفُتْكَ رضىً ... وكان دينُ الهدى مَرْضَاتُهُ الغَضَبُ

طهَّرتَ أرضَ الأعادي من دمائهمُ ... طهارةً كُلُّ سيفٍ عندها جُنُبُ

حتى استطار شَرار الزند قادحه ... فالحرب تُضْرَمُ والآجال تُحْتَطَبُ

والخيل من تحت قتلاها تقر لها ... قوائمُ خانهنَّ الركضُ والخَبَبُ

والنقعُ فوق صِقَال البيض مُنْعَقِدٌ ... كما استقلَّ دخانٌ تحته لَهَبُ

والنبْلُ كالوَبْلِ هَطَّالٌ وليس له ... سوى القسيِّ وأيدٍ فوقها سُحُبُ

خانوا فخانتْ رماحُ الطعن أيديَهُمْ ... فاستسلموا وهي لا نَبْعٌ ولا غَرَبُ

كذاك من لم يُوَقِّ اللهُ مُهْجَتَهُ ... لاقى العدا والقنا في كَفِّه قَصَبُ

فَانْهَض إلى المسجد الأقصى بذي لَجَبٍ ... يُولِيْكَ أقصى المنى فالقُدْسُ مُرْتقبُ

وائذن لِمَوْجِكَ في تطهير سَاحِلِه ... فإنما أنت بحرٌ لُجُّهُ لَجِبُ

---

(١) ابن القيسراني (٤٧٨- ٥٤٨هـ) أبو عبدالله، شرف الدين محمد بن نصر المخزومي، المعروف بابن القيسراني، ولد في عكا بفلسطين عام ٤٧٨هـ، وانتقل إلى دمشق، وتتلمذ في الشعر على ابن الخياط، وتنقل في الشام والعراق يمدح الخلفاء والأمراء والقادة. ثم اتصل بنور الدين محمود، وأعجب ببطولته وبلائه في حروب الصليبيين، فمدحه وصور أحداث عصره في شعره، وتوفي بدمشق عام ٥٤٨هـ. وشعره سجل حافل بأحداث الحروب الصليبية. والقصيدة في الروضتين جـ١ ص٥٨.

(٣) وقال العماد الأصفهاني[١] يرثي نور الدين ويبين فضله في محاربة الصليبيين:

الدينُ في ظُلَمٍ لغيبة نُوره ... والدهرُ في غَمٍ لفقد أميره

فَلْيَنْدُبِ الإسلامُ حاميَ أهله ... والشامُ حافظَ مُلْكه وثُغُوره

مَنْ ينصرِ الإسلامَ في غَزَوَاته ... فلقد أُصيبَ برُكْنه وظَهيره

مَنْ للفرنْجِ وَمَنْ لأسر ملوكها ... مَنْ للهدى يَبْغي فَكَاكَ أسيره

مَنْ للبلاَد وَمَنْ لنَصْرِ جيوشها ... مَنْ للجهاد ومن لحِفْظ أمُوره

من لِلْفتوحِ مُحَاولاً أبْكَارَها ... بَرَوَاحِه في غَدْوه وبُكُوره

أنت الذي أحْيَيْتَ شَرْعَ محمد ... وقَضَيْتَ بعد وفاته بنُشُوره

كم قد أقمت من الشريعة مَعْلَماً ... هُو مُنْذُ غِبْتَ مُعَرَّضٌ لدُثُوره

كم قد أمرت بحَفْرِ خَنْدَق مَعْقِلٍ ... حتى سكنت اللَّحْدَ في مَحْفُوره

كم قيصرٍ للروم رُمْتَ بقَسْره ... إرواءَ بيضِ الهند من تامُوره[٢]

أوتِيْتَ فَتْحَ حُصُونه وملكت عُقْـ ... ـرَ بلاده وسَبَيْتَ أهْلَ قُصُوره

---

(١) العماد الأصفهاني (٥١٩- ٥٩٧هـ) أبو عبد الله، محمد بن محمد بن حامد عماد الدين الكاتب الأصفهاني، ولد في أصفهان عام ٥١٩هـ، ثم انتقل إلى بغداد، ثم إلى دمشق، وأصبح كاتب صلاح الدين الأيوبي ورئيس ديوان الإنشاء في عهده، وتوفي عام ٥٩٧هـ.
وهو شاعر وكاتب ومؤلف، فله ديوان شعر، وكتاب خريدة القصر وجريدة العصر، والبرق الشامي، والفتح القسي في الفتح القدسي، وغير ذلك من الكتب.
والقصيدة في الروضتين في أخبار الدولتين جـ١ ص٢٤٤.

(٢) التامور: النفس، أو دم الوريد.

(٤) وقال الشاعر الفارس أسامة بن منقذ[١] يصف جهاده ضد الصليبيين.

أبى اللهُ إلاّ أن يكونَ لنا الأمرُ ... لتَحْيَا بنا الدنيا ويَفْتَخِرَ العَصْرُ
نَسيرُ إلى الأعداء والطيرُ فَوْقَنَا ... لها القُوتُ من أعدائنا ولنا النصْرُ
فَبَأسٌ يُذيبُ الصخرَ من حَرِّ ناره ... ولُطْفٌ له بالماء يَنْبَجِسُ الصخر
وجيشٌ إذا لاقى العَدُوَّ ظننتهم ... أسودَ الشَّرَى عَنَّتْ لها الأدمُ العُفْرُ
ترى كل شَهْمٍ في الوغى مثلَ سَهْمِه ... نفوذاً فما يَثْنيه خوفٌ ولا كُثْرُ
ونحن أسَرْنَا الجُوسَلين[٢] ولم يكن ... ليَخْشى من الأيام نائبةً تَعْرُو
وكان يظنُّ الغرُّ أنا نبيعه ... بمالٍ وكم ظنٍ به يَهْلِكُ الغرُّ
فلما استَبَحْنا مُلْكَهُ وبلادَه ... ولم يبق مالٌ يُسْتَباح ولا ثَغْرُ
كَحَلْناه نبغي الأجرَ في فِعْلِنا به ... وفي مثل ما قد ناله يُحْرَزُ الأجْرُ

(٥) قال أبو علي الحسن بن علي الجويني في فتح بيت المقدس على يد البطل الخالد صلاح

جُنْدُ السماء لهذا المُلْك أعوانُ ... مَنْ شَكَّ فيهم فهذا الفتحُ بُرْهَانُ
متى رأى الناسُ ما تَحْكيه من زَمَنٍ ... وقد مضتْ قَبْلُ أزمانٌ وأزمانُ
هذي الفُتُوحُ فتوحُ الأنبياء وما ... لها سوى الشُّكْرِ بالأفْعَال أثْمَانُ
تسعون عاماً بلادُ الله تَصْرُخُ والـ ... إسلام أنْصَارُهُ صُمٌّ وعُمْيَانُ
فالآن لَبَّى صلاحُ الدين دَعْوَتَهُمْ ... بأمْرِ مَنْ هو للمِعْوَانِ مِعْوَانُ

(١) أسامة بن منقذ (٤٨٨- ٥٨٤هـ). أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن منقذ. الفارس الشجاع والشاعر والمؤلف الشهير، ولد بشيزر (قرب حماة في سوريا) عام ٤٨٨هـ لأسرة عريقة في المجد، وتربى على الشجاعة والعلم، ونبغ في الحرب فكان من القادة العظام، وفي الشعر فكان شعره سجلاً حافلاً بالبطولات، وفي التأليف حيث خلف ثروة علمية تتمثل في كتاب (الاعتبار) الذي يعتبر ترجمة ذاتية لحياته، وكذلك كتاب المنازل والديار، ولباب الآداب، والبديع في نقد الشعر.. شارك أسامة في مقاومة الصليبيين بسيفه وشعره، وتوفي في دمشق عام ٥٨٤هـ. وله ديوان شعر ضخم، حققه الدكتور أحمد بدوي وحامد عبد المجيد. والقصيدة في ديوانه ص٢٠١.

(٢) الجوسلين: أحد قادة الصليبيين الذين وقعوا في الأسر وكذلك البغدوين.

للناصـــر ادّخـــرَتْ هذي الفـــتـــوحُ ومـــا ... سَـــمَتْ لهـــا هِمَمُ الأمـــلاك مُـــذْ كـــانوا

حَـبَـاهُ ذو العـرش بالنصـر العـزيز فَـقَـا ... لَ الـنـاس دَاودُ هـذا أمْ سُـلـيـــمـــان؟

في نِصْفِ شَـهْـرٍ غَـدَا للشـرك مـصطلمـا ... فَـطُـهِّـــرَتْ مـنـه أقـطـارٌ وبـلـدانٌ

لو أنَّ ذا الفـتح في عـهـد النبي لقـد ... تَـنَـزَّلَـتْ فـيـــه آيات وقـــرآن

(٦) قال العماد الأصفهاني يمدح صلاح الدين[1]:

رأيتُ صـــلاحَ الدين أفـــضلَ من غَـــدَا ... وأشْـرفَ من أضـحى وأكـرم من أمْـسَى

وقـــيل لنا في الأرض سَـبْـعَـةُ أبْحُـرٍ ... ولسنا نَرَى إلاّ أنامله الخَـــمْـــسَـــا

سَـجـيَّـتُـهُ الحُـسْنى وشـيـمـتُـهُ الرضى ... وبَطْشَـتُـهُ الكُبْـرَى وعَـزْمَـتُـهُ القَـعْـسَـا

جنـودُك أمـــلاكُ الســـمـــاء وظَنَّـهُم ... أعـــاديك جنّا في المعـــارك لا إنْـسَـــا

سَـــحَـــبْتَ على الأرْدُنِّ رِدْنَاً من القَنَا ... رُدَيْنِيـــةً مُلْدَاً وخَطِّيـــةً مُلْسَـــا

ونِعْمَ مَـــجَـــالُ الخـــيلِ حطِّينُ لم تكن ... مـعـاركُـهـا للجُـرْدِ ضِـرْسَـا ولا دَهْسَـا

كَـــسَـــرْتَـهمُ إذْ صَحَّ عَـــزْمُكَ فـــيـــهمُ ... ونكَّسْـتَـهُمْ من بعـد أعـلامـهم نكْسَـا

بواقـــعـــةٍ رجَّتْ بهـــا أرضُ جـــيـــشِـهم ... ومَـارَتْ كـمـا بُسَّتْ جـبـالُهمُ بَسَّـا

بُطُونُ ذئاب الأرض صـــارت قـــبـــورَهم ... ولم تَرْضَ أرضٌ أن تكون لهـــا رَمْـــسَـــا

ومن قَـبْلِ فَـتْحِ القُـدْس كنت مُـقَـدَّسًـا ... فـلا عَـدِمَتْ أخـلاقُك الطُّهْـرَ والقُـدْسَـا

نَزَعْتَ لبـاسَ الكُفْـرِ عن قُـدْسِ أرضـهـا ... وألْبَـسْـتَـهـا الدينَ الذي كَـشَـفَ اللَّبْـسَـا

جَـرَى بالذي تَهْـوى القـضـاءُ وظاهرت ... مـلائكةُ الرحـمن أجنَادَك الخُـمْـسَـا

(١) الروضتين في أخبار الدولتين جـ٢ ص١٠٢.

ثانياً: نماذج من النثـــر

(١) من خطبة لصلاح الدين الأيوبي[١]:

«بسم الله والحمد لله والصلاة على رسول الله. اعْلَموا أن عَدُوَّ الله وعَدُوَّنا قد نزل بلدَنا وَوَطِئَ أرض الإسلام، وقد لاحت لوائحُ النصر عليهم إن شاء اللهُ تعالى. وقد بَقِيَ العدوُّ في هذا الجمع اليسير ولابُدَّ من الاهتمام بقَلْعه واللهُ أوجبَ علينا ذلك. وأنتم تعلمون أن هذه عساكرنا ليس وراءها نَجْدَةٌ تنتظرُها... وهذا العدو إن بَقِيَ وطال أمره إلى أن يَنْفَتحَ البحرُ جاءه عَدَدٌ عظيمٌ والرأي عندي مناجَزَتُه فليخْبرنْا كلٌ منكم ما عنده في ذلك».

(٢) وكتب العماد الأصفهاني رسالة على لسان صلاح الدين الأيوبي إلى الخليفة العباسي الناصر يبشره بفتح القدس[٢]:

«... الحمدُ لله الذي أنْجَزَ لعباده الصالحين وَعْدَ الاستخلاف، وقَهَرَ بأهلِ التوحيد أهلَ الشرك والخلاف، وخَصَّ سلطانَ هذا الديوان العزيز بهذه الخلافة، ومكَّنَ دينهَ المرتضى، وبدَّلَ الأمان بالمخافة، وذَخَرَ هذا الفتح الأسنى والنصرَ الأهنى للعصر الإمامي النبوي الناصري على يد الخَادمِ أخْلَصِ أوليائه... فالحمدُ لله الذي أعادَ القُدْسَ إلى القُدْسِ وطهَّرهُ من الرجس، وحقق منْ فَتْحه ما كان في النفس، وأتى بهذا النصر المفتوح الذي هو فتح الفتوح، وقد تعالى أن يحيط به وَصْفُ البَليغِ نظمًا ونثراً، وعُبِدَ اللهُ في البيت المُقَدَّسِ سِرا وجهرا...».

(١) الروضتين في أخبار الدولتين جـ١ ص١٤٦.

(٢) الروضتين في أخبار الدولتين جـ٢ ص٩٦.

(٣) ومن خطبة محيي الدين أبي المعالي محمد بن علي القرشي[1] في المسجد الأقصى بعد استرداد صلاح الدين له:

قال في الخطبة الثانية يوم الجمعة بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسوله:

«اللهمَّ وأدم سلطان عبدك، الخاضع لهَيْبَتكَ، الشاكر لنعمتك، المعترف بموهبتك، سيفك القاطع، وشهابك اللامع والحامي عن دينك، المدافع والذَّابّ عن حَرَمكَ المانع، السيد الأجلّ الملك الناصر، جامع كلمة الإيمان، وقامع عَبَدَة الصُّلْبَان، صلاح الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، مُطهِّر البيت المقدس أبا المظفر يوسف بن أيوب محيي دولة أمير المؤمنين.

اللهم عُمَّ بدولته البَسيطة، واجعل ملائكتك برَاياته مُحيطَة، وأحسن عن الدين الحنيفي جزاءه، واشكر عن الملة المحمدية عَزْمَهُ ومضاءَه. اللهم أبق للإسلام مُهْجَتَهُ، وانشر في المغارب والمشارق دَعْوَتَهُ. اللهم فكما فتحت على يده البيت المقدس بعد أن ظُنَّت الظنون وابْتُلي المؤمنون فافتح على يده أداني الأرض وأقاصيها، ومَلِّكْهُ صَيَاصي الكفرة ونواصيها، فلا تلقاه منهم كتيبة إلاّ مزَّقَها، ولا جماعةٌ الا فَرَّقَهَا، ولا طائفةٌ بعد طائفة إلا ألحقها بمن سبقها. اللهم اشكر عن محمد ﷺ وسلم سَعْيَه، وأنْفذْ في المشارق والمغارب أمْرَه ونَهْيَه. اللهم واَصْلحْ به أوساط البلاد وأطرافها، وأرجاء الممالك وأكنَافَهَا. اللهم ذَلِّلْ به مَعاطِسَ الكفَّار، وأرغم به أنُوفَ الفُجَّار، وانشر ذَوَائبَ مُلْكه على الأمصار...».

---

(١) الروضتين في أخبار الدولتين جـ٢ ص١١١.
وقد ولد محيي الدين عام ٥٥٠هـ وكان فقيهاً أديباً منشئاً بليغاً فصيحاً، وكانت له مكانة كبيرة عند صلاح الدين الأيوبي، وتوفي بدمشق عام ٥٩٨.

مناقشـــة

١ ـ ما المقصود بأدب الحروب الصليبية؟ ومتى يبدأ عصر هذا الأدب، ومتى ينتهي؟

٢ ـ تحدث عن أغراض الشعر في عصر الحروب الصليبية. وما مدى تصويرها وتعبيرها عن هذا العصر؟ وضح ذلك واستشهد ببعض الأبيات لأغراض مختلفة.

٣ ـ هنالك خصائص وسمات للأدب ـ بعامة ـ وللشعر بخاصة ـ في عصر الحروب الصليبية. اذكرها.

٤ ـ عدد أبرز شعراء هذا العصر، ثم اكتب بإيجاز عن اثنين منهم مستشهداً بما تحفظ من شعرهما.

(٣)

أدب الدول المتتابعة

عصر الدول المتتابعة

نبـذة تاريخيـة.

يراد بالدول المتتابعة الدول التي نشأت بين سقوط بغداد في أيدي التتار عام ٦٥٦هـ، وبين عصر النهضة[١] الحديثة.

وهو عصر طويل جدًا، وقامت فيه دول كثيرة، أشهرها: دولة المماليك، والدولة العثمانية.

وفي مقرر التاريخ حديث عن هذا العصر من الناحية السياسية، أمَّا هنا فسنقصر الحديث على الحياة الأدبية في هذا العصر، وعلى إيراد نماذج من أدبه، ورصد بعض الظواهر الأدبية البارزة فيه.

وهناك من يسمى هذا العصر بعصر الانحطاط، وهذا الحكم وإن كان صحيحًا في جوانب منه، إلا أن فيه ظلمًا لهذا العصر، وجحدًا لما قام به أدباؤه وعلماؤه، وما قدموه من خدمات للثقافة الإسلامية والعربية، لعل أبرزها نشاطهم في ميدان التأليف، ومحافظتهم على التراث.

ويكاد النشاط الأدبي في هذا العصر أن يكون محصوراً في الشام ومصر، ولذلك فأكثر الأدباء والشعراء والعلماء من هذين القطرين. أما العراق مركز الخلافة العباسية فإن التتار قد دمروا كل مظهر من مظاهر الثقافة فيه، فأحرقوا الكتب وهدموا المدارس، وشردوا العلماء.

رثـاء بغـداد.

عندما سقطت بغداد حاضرة الخلافة العباسية وأعظم المدن الإسلامية في يد التتار عام ٦٥٦هـ هزت الحادثة العالم الإسلامي، لما ارتكبه التتار من مجازر شنيعة، قال عنها الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية[٢]:

«وقد اختلف الناس في كمية من قتل ببغداد من المسلمين في هذه الوقعة، فقيل: ثمان مئة ألف،

---

(١) تحديد العصور الأدبية فيه كثير من الخلاف، لكن جعل ماقبل سقوط بغداد ضمن العصر العباسي هو الأولى، على أن يبدأ عصر الدول المتتابعة بعد سقوط بغداد، وإن كانت تلك الدول من الناحية السياسية قد وجدت قبل سقوط بغداد.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج١٣ ص٢٠٢

وقيل: ألف ألف وثمان مئة ألف، وقيل: بلغت القتلى ألفي ألف نفس. فإنا لله وإناإليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وكان دخولهم إلى بغداد في أواخرالمحرم(٦٥٦هـ)، وما زال السيف يقتل أهلها أربعين يومًا. وكان قتل الخليفة المستعصم بالله أمير المؤمنين يوم الأربعاء رابع عشر صفر... ولما انقضى الأمر المقدر، وانقضت الأربعون يومًا، بقيت بغداد خاوية على عروشها، ليس بها أحد إلا الشاذ من الناس والقتلى في الطرقات كأنهاالتلول، وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم وأنتنت من جيفهم البلد، وتغير الهواء فحصل بسببه الوباء الشديد حتى تعدى وسرى في الهواء إلى بلاد الشام، فمات خلق كثير من تغير الجو وفساد الريح، فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والفناء والطعن والطاعون. فإنا لله وإنا إليه راجعون».

وقد أكثر الشعراء من رثاء بغداد وإن كانت قصائدهم لم تبلغ من حيث الجودة الفنية والإبداع الشعري مابلغته قصائد الأندلسيين في رثاء الأندلس.

ومن الشعراء الذين تحدثوا عن نكبة بغداد تقي الدين التنوخي[1] حيث يقول:

لِسَائل الدمْع عن بغدادَ إخبارُ ... فما وُقُوفُك والأحبابُ قد سَاروا

يازائرين إلى الزوراء[2] لاتَفدُوا ... فمما بذاك الحمى والداردِيَّارُ

تاجُ الخلافة والرَّبْعُ الذي شَرُفَتْ ... به المَعَالِمُ قد عَفَّاه إقفارُ

أضحى لعطْف البِلَى[3] في رَبْعه أثَرٌ ... وللدموع على الآثار آثار

تسفي السَّوافي عليه بعد سَاكنه ... نجل الخلايف من يخشى ويختار

ناديت والسبْيُ مهتوكٌ يَجُرُّهُم ... إلى السِّفَاح من الأعداء دعَّارُ

وهم يساقون للموت الذي شهدوا ... النارُ يارِبِّ من هذا ولا العَارُ

والله يعلم أنَّ القومَ أغْفَلَهُمْ ... ماكان من نعمٍ فيهنَّ إكْثَارُ

فأهملوا جَانبَ الجَبَّار إذ غَفَلُوا ... فجاءهم من جُنُودِ الكفر جَبَّارُ

(١) تقي الدين التنوخي: أبو اليسر إسماعيل بن إبراهيم التنوخي، توفي عام ٦٧٢هـ. والقصيدة في كتاب النجوم الزاهرة ج٧ص٥١.

(٢) الزوراء: من أسماء مدينة بغداد..

(٣) البلى: الهلاك.

يالَلرجال لأحداث تُحَدِّثُنَا ... بما غدا فيه إعْذَارٌ وإنْذَارُ
من بعد أسْر بني العباس كلِّهمُ ... فلا أنارَ لوَجْه الصبح إسْفَارُ
لم يَبْقَ للدين والدنيا وقد ذهبوا ... شَوْقٌ لمجد وقد باتوا وقد بَارُوا
آلُ النبي وأهلُ العلم قد سُبِيُوا ... فمن ترى بعدهم تحويه أمصارُ
ماكنتُ آملُ أن أبقى وقد ذهبوا ... لكن أتت دون ماأختار أقدارُ

وقال شمس الدين الكوفي[1]:

قِفْ في ديَار الظاعنين ونَادهَا ... يادارُ ما فعلتْ بك الأيامُ
يادارأين الساكنون وأين ذَيَّـ ... ـاكَ البَهَاءُ وذلك الإعْظَامُ
يادارأين زمان رَبْعك مُونقًا ... وشعَارُك الإجلال والإكرامُ
يادار مُذْ أفَلَتْ نجومُك عَمَّنَا ... والله من بعد الضياء ظَلامُ
فَلبُعْدهم قَرُبَ الرَّدَى ولفَقدهم ... فُقِدَ الهُدى وتزلزل الإسلامُ
فمتى قبلت من الأعَادي ساكنًا ... بعدَ الأحبة لاسَقَاك غَمَامُ

وقال الشاعر الفارسي الشهير سعدي الشيرازي[2]:

حَبَسْتُ بجَفْنَيَّ المَدَامعَ لاتَجْري ... فلما طَغَى الماءُ استطال على السَّكْر[3]
نَسيمُ صَبَا بغداد بعد خرابها ... تَمَنَّيْتُ لو كانت تَمُرُّ على قَبْري
لأن هلاكَ النفس عند أولي النهى ... أحَبُّ لهم من عَيْش مُنْقَبض الصدر
زجرت طبيبًا جَسَّ نَبْضي مُدَاويًا ... إليك فما شَكْوَايَ من مَرَض تُبْري[4]

(١) شمس الدين الكوفي: محمود بن أحمد الهاشمي الحنفي الكوفي، ولد عام ٦٢٣هـ، وتوفي عام ٦٧٥هـ. وله قصائد أخرى في رثاء بغداد.

(٢) سعدي الشيرازي: من كبار شعراء الفرس، ولد في شيراز عام ٦٠٦هـ، وتوفي عام ٦٩٠هـ. وله شعر بالفارسية والعربية، وهذا من شعره بالعربية، وقد ترجمت أشعاره ومؤلفاته الفارسية إلى اللغة العربية.

(٣) السكر: بفتح السين وكسرها السد على الماء.

(٤) إليك: ابتعد عني. تبري: تشفى.

تُسائلني عما جرى يوم حَصْرهم ... وذلك مما ليس يَدْخُلُ في الحَصْر[1]

أُديرتْ كؤوسُ الموت حتى كأنما ... رؤوسُ الأسارى تَرْجَحِنُّ[2] من السُّكْر

نوائبُ دهرٍ ليتني متُّ قبلها ... ولم أرَ عُدْوانَ السفيه على الحَبْر[3]

أيَا ناصحي بالصبر دَعْني وزَفْرَتي ... أمَوْضِعُ صَبْرٍ والكبود على الجَمْر

وقَفْتُ بِعَبَّادَان أرقبُ دِجْلَةً ... كمثل دَمٍ قانٍ[4] يَسِيْلُ إلى البَحْرِ

****

(١) حصرهم: حصارهم. الحصر: العد والإحصاء.

(٢) ترجحن: تميل وتهتز.

(٣) الحبر: العالم.

(٤) دم قان: شديد الحمرة.

حالة الشعر في عصر الدول المتتابعة

يميل شعر هذا العصر إلى الصناعة اللفظية والعناية بفنون البديع كالجناس والطباق وغير ذلك من المحسنات اللفظية والمعنوية.

وقد ضعف الإبداع، وجفت ينابيع العبقرية في غالب الأحوال، وكسدت بضاعة الشعراء، ولم تَعُدْ له المكانة السامية التي كانت في العصور السابقة، فأصبح الشعراء يشتغلون بالحِرَف لكسب العيش، فوجدنا منهم الجزار والخياط والنجاروالكحال والدهان والوراق.

ومن أهم خصائص الشعر في هذا العصر:

١ ـ العناية بالمحسنات البديعية.

٢ ـ استعمال الشعر في الألغاز والأحاجي.

٣ ـ انتشار الألفاظ العامية والأوزان الشعبية.

٤ ـ ضعف الابتكار وكثرة السرقات الشعرية.

٥ ـ العناية بالمعارضات.

٦ ـ شيوع المقطوعات القصيرة.

٧ ـ كثرة شعر الفكاهة والمجنون.

٨ ـ الإكثار من نظم العلوم.

تراجم مختصرة لبعض شعراء العصر

١ ـ صفي الدين الحِلّي (٦٧٧هـ-٧٥٠هـ).

أبو الفضل، عبد العزيز بن سرايا بن علي الحلي الطائي، ولد في الحلّة بالعراق عام ٦٧٧هـ، وانتقل إلى ماردين، ومدح حاكمها نجم الدين غازي، وكذلك مدح السلطان الناصر قلاوون، وتوفي في بغداد عام ٧٥٠هـ.

ويعتبر صفي الدين الحلي أشهر شعراء هذا العصر، وله قصائد تلحقه بالفحول، وقد طبع ديوانه أكثر من طبعة، كما طبع كتابه، (العاطل الحالي والمرخص الغالي) في ألمانيا، و(درر النحور في مدائح الملك المنصور) في القاهرة.

٢ ـ عمر بن الوردي (٦٨٩-٧٤٩هـ).

زين الدين عمر بن مظفر بن الوردي، ولد بمعرة النعمان بالشام عام ٦٨٩هـ، وتنقل بين حلب وحماة ودمشق، وتوفي في حلب عام ٧٤٩هـ، وشعره مليء بالحكمة. له مؤلفات كثيرة، منها: (تتمة المختصر في أخبار البشر)، و(خريدة العجائب وفريدة الغرائب)، و(شرح ألفية ابن مالك)، و(التحفة الوردية) كما أن له ديوانًامطبوعًا.

٣ ـ ابن نُباتة المصري (٦٨٦-٧٦٨هـ).

جمال الدين أبو بكر محمد بن نباتة الفارقي، ولد في القاهرة عام ٦٨٦هـ، واشتر بالنثر والشعر والتأليف، وتوفي عام ٧٦٨هـ، وهو من أعظم شعراء مصر في عصره.

وله ديوان شعر كبير، وكتاب: (شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون).

٤ ـ التَّلَعْفُري (٥٩٣-٦٧٥هـ).

شهاب الدين محمد بن يوسف الشيباني، ولد في الموصل عام ٥٩٣هـ، وتنقل بين الموصل ودمشق وحماة، وتوفي عام ٦٧٥هـ. وأكثر شعره في الغزل، وقد نشر ديوانه في دمشق عام ١٢٩٨هـ.

النثر في عصر الدول المتتابعة

اولا : التأليف .

من محاسن هذا العصر ازدهار حركة التأليف فيه، وكان لذلك فضل كبير في حفظ الثقافة الإسلامية من الضياع بعد النكبات التي تعرضت لها إثر سقوط بغداد، وما مر بالعالم الإسلامي من أحداث دامية .

وقد أرجع مؤرخو الأدب كثرة المؤلفات والموسوعات في هذا العصر إلى أسباب كثيرة، أهمها :

١ ـ كثرة المعاهد والمدارس وخزائن الكتب .

٢ـ الغيرة الدينية، والحرص على التراث الإسلامي، ومحاولة التعويض عما أحرق في بغداد وغيرها ؛ فكان شعور العلماء بأن ثقافة المسلمين في خطر ومهددة بالضياع أقوى دافع لهم على الانكباب على التأليف والجمع .

٣ـ تكريم السلاطين والأمراء للعلماء ولا سيما علماء الدين .

٤ ـ ميل السلاطين القوي إلى اقتناء الكتب، ودفع الجوائز والصلات للمؤلفين .

٥ ـ التنافس الشديد بين العلماء في التأليف .

وقد نتج عن هذه الحركة العلمية مؤلفات كثيرة جداً في مختلف العلوم الإسلامية والعربية، وقد حفظت لنا تلك المؤلفات التراث الإسلامي الذي كادت الأحداث أن تعصف به .

ونورد أمثلة لبعض الكتب المؤلفة في هذا العصر :

ففي التفسير وعلوم القرآن : الدر المنثور في التفسير بالمأثور، والإتقان في علوم القرآن، ومعترك الأقران، ولباب النقول في أسباب النزول وكلها للسيوطي، وأنوار التنزيل للبيضاوي .

وفي الحديث : الجامع الكبير للسيوطي، وشروح البخاري مثل فتح الباري لابن حجر العسقلاني، وإرشاد الساري للقسطلاني، وعمدة القاري للعيني .

وفي التاريخ والسير : عيون الأثر لابن سيد الناس(م٧٣٤هـ)، ووفيات الأعيان لابن خلكان، والوافي بالوفيات للصفدي، والضوء اللامع للسخاوي، والمواعظ والاعتبار للمقريزي .

ثانيًا : الموسوعات

امتاز هذا العصر بأنه عصر الموسوعات الشاملة، ونورد هنا خلاصة موجزة عن بعض الموسوعات الأدبية والعامة.

١ ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشا.

مؤلف الكتاب هو أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي. المولود في قلقشندة (في مصر) عام ٧٥٦هـ، والمتوفى بالقاهرة عام ٨٢١هـ. كان من كتاب ديوان الإنشاء، وله مؤلفات أخرى، مثل: قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، ونهاية الأرب في معرفة قبائل العرب.

وصبح الأعشى موسوعة أدبية كبيرة، أورد فيها القلقشندي كل مايحتاج إليه كُتَّاب الإنشاء من معلومات ومعارف.

وقد ذكر المؤلف في المقدمة أنه رتبه على مقدمة وعشر مقالات وخاتمة.

وقد تحدث فيه عن فضل الكتابة، وبيان مدلولها، وصفات الكتاب، والتعريف بديوان الإنشاء وقوانين الديوان.

كما تحدث عما يحتاج إليه الكاتب من الأمور العلمية والعملية، وعن المسالك والممالك، وأطوار الكتابة الديوانية، والولايات والمناصب والألقاب.

والكتاب مطبوع، ولاشك أنه موسوعة أدبية مفيدة.

٢ ـ نهاية الأرب في فنون الأدب.

مؤلف الكتاب شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، ولد عام ٦٧٧هـ في بلدة نويرة في صعيد مصر، وقد أصبح من كتاب الدواوين في عهد الناصر محمد ابن قلاوون، وتوفي عام ٧٣٣هـ.

وقد قال المؤلف في المقدمة: (رغبت في صناعة الآداب وتعلقت بأهدابها، وانتظمت في سلك أربابها، فامتطيت جواد المطالعة، وركضت في ميدان المراجعة، وحيث ذل لي مركبها، وصفا لي مشربها، آثرت أن أجرد منها كتابا أستأنس به وأرجع إليه وأعول فيما يعرض لي من المهمات عليه، فاستخرت الله سبحانه وتعالى.. وما أوردت فيه إلا ما غلب على ظني أن النفوس تميل إليه، وأن الخواطر تشتمل عليه. ولو علمت أن فيه خطأ لقبضت بناني، وغضضت طرفي.... ولقد تَبِعْتُ فيه آثار الفضلاء قبلي، وسلكت منهجهم....).

والكتاب مقسم إلى خمسة فنون :

الفـن الأول : في السماء والآثار العلوية والأرض والمعالم السفلية .

والفن الثاني : في الإنسان وما يتعلق به .

والفن الثالث : في الحيوان .

والفن الرابع : في النبات .

والفن الخامس : في التاريخ والقصص والأخبار

والكتاب مطبوع ، ويعد من أوسع الموسوعات ، وهو مليء بالمعلومات المفيـــدة .

٣ ـ لسان العرب .

أعظم معاجم اللغة العربية ، ألفه أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن علي الأنصاري الأفريقي المصري ، المعروف بابن منظور ، وقد ولد عام ٦٣٠هـ .

وقد كانت له عناية خاصة باختصار الكتب الكبيرة ، فاختصر الأغاني لأبي الفرج ، وتاريخ دمشق لابن عساكر . . .

وقد توفي ابن منظور عام ٧١١هـ .

ومعجم لسان العرب معجم شامل ، جمع فيه المؤلف التراث المعجمي العربي ونسقه ،

وقد سار في ترتيب المعجم على نظام الجوهري في الصحاح ، أي الترتيب حسب آخر حروف الكلمة لا أولها .

ثالثاً : النثـر الفنـي .

أغلب حكام هذا العصر من المماليك أو الأعاجم أو ضعيفي الثقافة العربية ، لذا اتخذوا لأنفسهم كُتّابًا يكتبون الرسائل السلطانية ، فنشأ مايعرف بديوان الإنشاء .

وديوان الإنشـاء هو الذي يتـولى المكاتبـات الرسـميـة ، وتحـرير الرسـائل السلطانيـة في مـخـتلف الشؤون ، وأصبح رئيسه يسمى(كاتب السر) ، وله المكانة العليا في الدولة .

ويعاون كاتب السر مجموعة من الكُتّاب ، يسمون كتاب (الدست) ، وهم المحررون في الديوان ، وكتاب(الدَّرْج) ، وهم الذين يجيدون الخط أكثر من الإنشاء ، فيقومون بنقل الرسائل .

وإلى جانب الكتابة الديوانية نجد الكتابة الإخوانية ، ويغلب عليها التكلف والسـجع والمحسنات اللفظية ، وتدور حول أغـراض كـثيرة كـالتـهنئة والتـعزية والشكوى والعـتاب والمداعبـة والتـقـريظ والمطارحات العلمية .

وكذلك هناك الكتابة الوصفية ، والمناظرات الحقيقية أو الخيالية ، والمقامـات ، وأظهر كُتّاب هـذا النوع ابن نباتة المصـري ، والسيوطي ، والشهاب الخفاجي .

ولضعف الكتابة الأدبية في هذا العصر أسباب منها :

١ ـ ضعف اللغة العربية ، وانتشار العجمة .

٢ ـ فساد الذوق الأدبي .

٣ ـ ضعف الثقافة الأدبية ، وقلة المحصول العلمي .

٤ ـ عدم التشجيع للأدباء المبدعين .

نماذج من أدب عصر الدول المتتابعة

أولا - نماذج من الشعـــــر .

(١) قال صفي الدين الحلي يمدح الملك الصالح ، وهي من القصائد التي نالت شهرة كبيرة :

لايَمْـــتَطي المجـــدَ مَنْ لم يركب الخَطَرَا ... ولا يَنالُ العُـــلاَ من قَـــدَّم الحـــذرَا

ومن أراد العُـــلا عَـــفْـــوًا بلا تَعَب ... قَـــضَى ولم يَقْضِ من إدراكـــهـــا وَطَرَا

لايُبْلَغُ السُّـــؤْلُ إلاّ بعـــد مُـــؤلمَـــة ... ولا تَتـمُّ المُنى إلاّ لمن صَـــبَـــرَا

وأحْـــزَمُ الناس من لو مـــات من ظَمَـــإٍ ... لايَقْـرَبُ الوِرْدَ حـتى يعـرف الصَّـدرا[1]

وأغـــزرُ الناس عـــقـــلاً من إذا نظرتْ ... عـيناه أمـرًا غـدا بالغَـيْـر مُـعْـتَـبِـرًا

فـقـد يُقَـال عِـثَـارُ الرِّجْل إن عَـثَـرَتْ ... ولا يُقَـال عِـثَـارُ الرأي إن عَـثـرا

لايَحْـــسُنُ الحِلْمُ إلاّ من مَـــوَاطنه ... ولا يـلـيـقُ الـوَفَـــــا إلاّ لمن شَكَرا

ولا ينال العـــلا إلا فـــتى شَـــرُفَتْ ... خِـــلالُهُ فـــأطاع الدهرُ مـــاأمـــرا

كـــالصـــالح الملك المَرهُوب سَطْوَتُه ... فلو تَـوَعَّـــدَ قلب الدهر لانْفطرا

لما رأى الشـــرَّ قـــد أبدى نَوَاجِـــذَهُ ... والغَـدْرَ عن نَابِه للحـرْب قـد كَـشَـرَا[2]

رأى القِـسِيَّ إناثًا في حـقـيـقـتـهـا ... فَـعَـافَـهـا واسـتـشـار الصَّـارِمَ الذكـرا[3]

كـالبـحـر والدهر في يَوْمَيْ نَدَى وَرَدَى ... والليث والغَـيْث في يومي وَغَيْ وقـرَى

مـاجـاد للناس إلاّ قـبلمـا سـألوا ... ولا عـفـا قَطُّ إلاّ بعـدمـا قَـدرَا

لامُـوهُ في بَذْله الأمـوالَ قُلْتُ لهم ... هل تَقْـدِرُ السُّـحْبُ إلاّ تُرْسِلَ القطرا؟!

(١) الورد: بلوغ الماء للشرب، والصدر الرجوع منه.

(٢) النواجد جمع ناجذ، وهي الأنياب، أو هي أقصى الأضراس. وكشر: عبس.

(٣) القسي: جمع قوس التي تقذف السهام . والصارم الذكر: السيف القوي.

(٢) وقال ابن نباته المصري يرثي ولده ويعارض قصيدة أبي الحسن التهامي[١] :

اللهُ جَـــارُكَ إنَّ دمـــعي جَـــاري ... يـامُـــــــوحِشَ الأوطـان والأوطَـارِ

لما سَكَنْتَ من التـــراب حَـــديقـــةُ ... فـــاضت عليك العَـــيْنُ بالأنْهَـــار

شَـــتَّـــانَ مـــاحـــالي وحـــالُكَ أنت في ... غُـــرَف الجِنَان ومُـــهْـــجَـــتي في النار

خَفَّ النجـــا بك يابني إلى السُّـــرَى ... فـــسَـــبَـــقْـــتَني وثَقُلْتُ بالأوزار

ليـت الـردى إذ لـم يـدعـك أهـابَ بـي ... حـتى نَدُومَ مـعًـا على مـضْـمَـار

مـــاكنتَ إلا مـــثلَ لَمـــحَـــةِ بَارِقٍ ... ولَّى وأغـــرى الجَـــفْنَ بالإمطار

أبكيكَ مـــابكت الحـــمـــامُ هديلهـــا ... وأحِنُّ مـــاحَنَّتْ إلى الأوْكَـــار

أبكي بمُحْـــمَـــرِّ الدمـــوع وإنَّمـــا ... تبكي العـــيـــونُ نَظيـــرَها بنُضَـــار

لَهـــفي لِغُـــصْنٍ راقني بنبـــاته ... لو أمْـــهَلَتْـــهُ التُّـــرْبُ للإثمـــار

سَكَنَ الثـــرى فكأنه سكن الحَـــشَـــا ... من فَـــرْطِ مـــاشُـــغِلَتْ به أفكاري

دَرَّتْ عليك من الغـــمـــام مَـــرَاضِعٌ ... وتَنَكَّفَـــتْكَ من النجُـــوم جَـــوارِ

تُسْـــقِي ثَـرَاكَ وليس ذَاكَ بِنَافِـــعِي ... لكنْ أغَـــالِطُ مُـــهْـــجَـــتي وأُدَاري

(٣) وقال صفي الدين الحلي يصف الربيع :

وَرَدَ الربيعُ فـــمـــرحـــبًـــا بوُرُوده ... وبِنُور بهـــجـــتـــه ونَوْر ورودِه[٢]

وبِحُـــسْنِ منظره وطيب نسـيـــمـــه ... وأنيق مَلْبَـــســـه وَوَشْي بُرُودِه[٣]

فصلٌ إذا افـــتـــخـــر الزمـــانُ فـــإنه ... إنســـانُ مُـــقْلَتِـــه وبَيْتُ قَـــصِـــيـــدِه[٤]

---

(١) مطلع قصيدة التهامي :

حكم المنية في البرية جاري ... ماهـذه الدنيا بدار قرارِ

(٢) النَّور، بفتح أوله : مجتمع الزهر.

(٣) وشي بروده: زخرفة أثوابه.

(٤) إنسان المقلة : مابه إبصارها . والمقلة : العين . وبيت قصيده أحسن بيت فيه . وهما هنا على التشبيه.

يُغني المزاجَ عن العلاجِ نَسيمُهُ ... باللّطْف عند هُبُوبه ورُكُوده

ياحبذا أزهارُه وثمارُه ... ونباتُ ناجمه وحَبُّ حَصيده[1]

والغصنُ قد كُسيَ الغلائلَ بعدما ... أخَذَتْ يدا كانُونَ في تَجْريده[2]

نالَ الصِّبا بعد المشيب وقد جَرَى ... ماءُ الشبيبة في مَنَابت عُوده

والوردُ في أعلى الغصون كأنه ... مَلِكٌ تَحُفُّ به سَراةُ جنوده

واليا سمينُ كعاشقٍ قدْ شَفَّهُ ... جوْرُ الحبيب بهَجْره وصدوده[3]

وانظر لنرجسه الشَّهيِّ كأنه ... طَرْفٌ تَنَبَّه بعد طول هُجُوده

والسُّحْب تَعْقدُ في السماء مآتمًا ... والأرضُ في عُرْس الزمان وعيده

نَدَبَتْ فَشَقَّ لها الشَّقيقُ جُيُوبَه ... وازرَقَّ سَوْسَنُها للطْم خُدُوده[4]

والغَيمُ يَحكي الماءَ في جَرَيانه ... والماء يَحْكي الغيمَ في تَجْعيده

(٤) وقال عمر بن الوردي في الحِكَمْ:

اعْتَزِلْ ذِكْرَ الأغاني والغَزَلْ ... وقُل الفَصْلَ وجانبْ من هَزَلْ

ودَع الذكرى لأيام الصِّبا ... فلأيام الصبا نجمٌ أفَلْ[5]

واهجر الخَمْرَةَ إن كنت فتىً ... كيف يسعى في جُنُونٍ من عَقَلْ؟

واتق الله، فتقوى الله ما ... جاورتْ قلبَ امرىء إلا وَصَل

ليس من يَقْطَعُ طُرْقًا بطلا ... إنما من يتقي اللهَ البَطَلْ

اطلب العلمَ ولا تَكْسَلْ، فما ... أبعدَ الخيراتِ عن أهل الكسل

(١) الناجم من النبات : مانبت على غير ساق. والحصيد : المحصود المقطوع بالمنجل ونحوه.

(٢) الغلائل: جمع غلالة ، مايلبس تحت الثياب. وكانون من أشهر الشتاء . تجريده: إسقاط أوراقه.

(٣) شفه: آله وأمضَّه.

(٤) السوسن، كجوهر: زهر برِّي لطيف.

(٥) ذكرى أيام الصبا : تذكرها. أفل: غاب.

لاتقل: قد ذهبت أربابُه ... كلّ من سار على الدرب وصل

في ازدياد العلم إرْغامُ العِدَا ... وجمالُ العلم إصلاحُ العمل

أنا لاأختار تَقْبيلَ يَد ... قَطْعُها أجملُ من تلك القُبَل

مُلْكُ كِسْرى عنه تُغْني كِسْرَةٌ ... وعن البحر اجْتِزَاءٌ بالوشل[1]

لاتقل: أصْلي وفَصْلي أبدًا ... إنما أصلُ الفتى ماقد حصل

قد يسودُ المرءُ من غير أب ... وبحُسْن السَّبْك قد يُنْفَى الزَّغَل[2]

وكذا الوردُ من الشوك، وما ... يَنْبُتُ النرجسُ إلا من بَصَل

قيمة الإنسان مايُحْسنُه ... أكثرَ الإنسانُ منه أم أقَل

بين تبذير وبخل رُتْبَةٌ ... وكلا هذين إنْ زاد قَتَل

ليس يخلو المرء من ضِدٍّ وإنْ ... حاول العُزْلَةَ في رأس جبل

جانبِ السلطانَ واحذر بَطْشَه ... لاتُعَاندْ من إذا قال فَعَل

---

(١) الوشل: الماء القليل.

(٢) من غير أب: أي من غير أب مشهور، والزغل: الغش والعناصر الغريبة في المعادن.

ثانيًا - نماذج من النثـــــر.

(١) لابن نباتة مناظرة مشهورة بين السيف والقلم[١].

ومنها على لسان السيف:

(بسم الله الرحمن الرحيم: « وأنزلنا الحَديدَ فيه بأسٌ شديدٌ ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز» الحمد لله الذي جعل الجنَة تحت ظلال السيوف، وشَرَعَ حَدَّهَا بيد أهل الطاعة على أهل العصيان فَأغَصَّتْهُم بماء الحُتُوف ، وشَيَّدَ بها مراتب « الذين يقاتلون في سبيله صفًا كأنهم بنيان مرصوص» وعقْدٌ مَرْصُوف . . .).

وقال على لسان القلم يرد على السيف:

«أتُفَـاخرَني وأنا للوَصْـل وأنـت للقَطْـع، وأنا للعَطَـاء وأنـت للمَنْـع، وأنا للصُّلْح وأنت للضِّراب، وأنا للعَمَارة وأنت للخرَاب؟ أعلى مثْلي يُشَقُّ القَوْل، ويُرْفَعُ الصوتُ والصَّوْلُ، وأنا ذو اللفظ المكين؟ . . . هيهات! أنا القائمُ بمصالح الدول وأنت في الغمد طَريح، والمُتْعَبُ في تَمْهيدها وأنت غَافلٌ مُسْتَريح، والساعي في تدبير حال القوم، والمُغْني لنَفْعهم العُمُرَ إذا كان نَفْعُك يومًا أو بعض يوم، فاقطع عنك أسبابَ المُفَاخرَة، واسْتُرْ أنيابَك عن المُكَاثَرَة، فما يَحْسُنُ بالصامت مُحَاوَرَةَ المُفْصِح، والله يعلم المُفْسدَ من المُصْلِح».

(٢) من المقامة الساسانية لشهاب الدين الخفاجي[٢]:

حدثنا مالكُ بنُ دينار عن مُسَافر بن يَسَار قال: كنت والشبابُ غُرَابُهُ لايُطارُ، وثمراتُه الجَنيَّةُ تُجْنَى من رياض الأخبار، أهوى السياحَةَ والناسُ نَاسٌ والديارُ ديَارُ، والدهرُ غِرٌّ لم يَفْطَنْ لتَلوُّن اللَيل والنهار.

ولـم أر يـومًـــا في ظلام مَـــفَـــارِقِي ... شِـهَـابَ مَـشِـيبٍ لاحَ في الإثْر مُنْقَـضًّـا

---

(١) خزانة الأدب لابن حجة الحموي ص ١٠٤.

(٢) الشهاب الخـفاجي(٩٧٧-١٠٦٩هـ). أحمد بن مـحمد بن عمر الخـفاجي، ولد بمصر ، درس بمصر ومكة والقـسطنطينية، ويعد من نوابغ عصره في الشعر والكتابة والتأليف. وله مؤلفات كثيرة ، منها: ريحانة الألبا في التراجم ، وطراز المجالس ، وخبـايا الزوايا، وشفاء العليل بما في كـلام العرب من الدخيل، وله ديوان شـعر ، ومجمـوعة مقامـات ، وتوفي عام ١٠٦٩هـ.
والمقامة موجودة في ريحانة الألبا.

فَسرْتُ في الأرض لأنظر آثارَ رحمته، وأرى مآثرَ الطِّراز الأول في أعلام حُلّته، فإن من جَدّ وَجَدَ ، ومن توانى فَقَدْ فَقَدَ، رافعًا عَصا التَّسْيَار على كاهل الاعتبار، رافضًا الاستراحة في مَهْد الدَّعَة، مُشَيِّعًا قَلْبًا فارَقَ حبيبا وَدَّعَه . . . أتَذرعُ ببَرْد الليل لأنه أخْفَى للوَيْل، وأشُقُّ أديمَ النهار للسير، ولم أقل: ليس للعصا سير، كهشيم تَرْفَعُهُ أعاصيرُ ريح تَدُور، وَوَرَق جَفَّ فألوَتْ[1] به الصَّبَا والدَّبُور.

حتى أتيتُ كُورَةَ[2] خراسان، فإذا بها قَيْلٌ[3] نَصَبَ عرْضَهُ لسهَام الهوان، مُقَلِّدًا في ترجيح البخل مذهبَ سهل بن هارون[4]، كأنه لم يسمع قوله تعالى: «ومن يُوق شُحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون» فطويت حديثهُ على عُرَّة[5] وأتيت لأقف على جَلِيَّة أمْره، فلما جُسْتُ خِلالَ إيوانه، قرأت عُنْوانَ حَاله على وجوه غِلْمَانه. . . .

(١) ألوت به : أي طارت به . والصبا والدبور: مختلفتان في الاتجاه.

(٢) كورة: الناحية ، وتطلق على المدينة والمقاطعة .

(٣) القيل: الأمير والحاكم.

(٤) سهل بن هارون: من مشهوري بخلاء البصرة الذي تحدث عنهم الجاحظ في كتاب البخلاء كما مر عند الحديث عن الجاحظ.

(٥) العرة : العيب والشر.

مناقشة

١ ـ متى يبدأ عضر الدول المتتابعة . ومتى ينتهي؟ وما المقصود بالدول المتتابعة؟

٢ ـ يسمي بعض مؤرخي الأدب هذا العصر عصر الانحطاط . ما سبب هذه التسمية؟ وما مدى صحتها؟

٣ ـ اذكر أهم الشعراء في عصر الدول المتتابعة مستشهداً بما تحفظ من بعض أشعارهم .

٤ ـ اذكر أهم خصائص الشعر في هذا العصر .

٥ ـ ازدهرت حركة التأليف في هذا العصر؟ فكثرت المؤلفات والموسوعات، فما أسباب ذلك؟

٦ ـ تحدث عن اثنتين من الموسوعات الأدبية في هذا العصر .

(٤)

الأدب الأندلسي

لمحة عن الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية

الحياة السياسية

موقع الأندلس.

تقع بلاد الأندلس في الجنوب الغربي من قارة أوروبا، وتُعرف في عصرنا بأسبانيا والبرتغال،

وقد حكم المسلمون الأندلس أكثر من ثمانية قرون، حيث تم فتحها عام ٩٢هـ/ ٧١٠م، وخرجوا منها عام ٨٩٨هـ/ ١٤٩٢م.

فتح الأندلس.

كانت بلاد الأندلس قبل الفتح الإسلامي تحت سيطرة «القوط»، وكان الوضع فيهامضطرباً، وقد شجع ذلك موسى بن نصير والي إفريقيا من قبل الدولة الأموية على التفكير في فتحها، وقد ندب لذلك قائداً شجاعاً هو طارق بن زياد الذي نزل بجيشه في شعبان عام ٩٢هـ في المكان الذى سمي فيما بعد باسمه «جبل طارق»، ثم انطلق من هناك يفتح الأندلس، وينتصر على حاكمها «لذريق»، ثم توالت الجيوش الإسلامية على الأندلس وقدم موسى بن نصير وأتم فتحها، وبذلك دخلت في دين الإسلام، وأصبح لها شأن عظيم في التاريخ الإسلامي، وأنجبت من العلماء والأدباء العدد الكبير.

وفيما يلي الدولة الإسلامية التي تعاقبت على حكم بلاد الأندلس:

١ عهد الولاة: ٩٢هـ - ٢٣٨هـ

وقد بلغ عدد الولاة في هذا العهد ثمانية عشر واليًا، أولهم عبدالعزيز بن موسى بن نصير. ومن أشهرهم القائد الفذ: عبدالوحمن الغافقي، وكان آخرهم: يوسف بن عبدالرحمن القهري الذي تغلب عليه عبدالرحمن الداخل.

٢ الدولة الأموية في الأندلس: ١٣٨هـ - ٤٢٢هـ

أسسها عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك المعروف بعبدالرحمن الداخل.

٣ عصر ملوك الطائف : ٤٢٢هـ - ٥٣٦هـ

وفي هذا العصر تعددت الدول والإمارات في بلد الأندلس، حيث أصبح في كل إقليم أو بلدة أو إمارة.

٤ دولة المرابطين : ٤٧٩هـ - ٥٥٥هـ

نشأت دولة المرابطين في المغرب العربي ، وقد بدأ استيلاؤهم على بلاد الأندلس عام ٤٧٩هـ بعد معركة «الزلاقة» المشهورة التي انتصر فيها المرابطون بقيادة أميرهم : يوسف بن تاشفين على النصارى في الأندلس .

٥ دولة الموحدين : ٥٥٦هـ - ٦٣٩هـ

قامت دولة الموحدين في المغرب والأندلس على أنقاض دولة المرابطين وقد استمروا في حكم الأندلس إلى أن سقطت دولتهم في أشبيلية سنة ٦٣٩هـ.

٦ دولة بني الأحمر : ٦٣٦هـ - ٨٩٨هـ

أقام بنو الأحمر دولتهم في غرناطة عام ٦٣٦هـ، وكانوا آخر حكام الأندلس وبسقوط دولتهم سنة ٨٩٨هـ سقطت دولة المسلمين في الأندلس بعد خكم دام أكثر من ثمانية قرون. . .

الحياة الثقافية

اشتهر الأندلسيون بحب الثقافة والاطلاع، وتقدير العلماء وإعلاء مقامهم، ولذلك كثر العلماء في الأندلس، وكثرت مؤلفاتهم، وقدمت الأندلس للثقافة الإسلامية العربية أعلاماً بارزين في مختلف العلوم والفنون.

وقد انتشرت المكتبات في الأندلس، وأقبل الناس على اقتناء الكتب، حتى قيل : إن كل بيت في الأندلس لابد أن يكون به مكتبة حتى ولو كان صاحبه عامياً.

وقد أنشأ الحكم بن عبدالرحمن الناصر مكتبة كبرى في قرطبة تعتبر من مفاخر الأندلس، ومن أشهر المكتبات في العالم الإسلامي.

وكذلك عملوا على جلب الكتب واستنساخها من المشرق.

وقد رحلت مجموعة من طلبة العلم في الأندلس إلى المشرق لتلقي العلم والأدب، ولنقل الثقافة المشرقية إلى المغرب والأندلس،

كما أن الأمويين في الأندلس قد عملوا على جلب العلماء من المشرق إلى الأندلس وذلك لنشر العلم، فكان أن هاجر إلى الأندلس نخبة من علماء المشرق في الفقه واللغة والأدب وغير ذلك، مثل: أبي علي القالي صاحب كتاب الأمالي، كما أن لأهل الأندلس عناية كبيرة باللغة العربية؛ فقد تعربت الأندلس بعد الفتح بفترة قصيرة، ثم جاء الأمويون ووقد عرفوا باهتمامهم باللغة العربية وآدابها فعملوا على نشرها وخدمتها، وكان أكثرهم من الشعراء والخطباء، فازدهرت اللغة والأدب في الأندلس، وكان من نتاج ذلك هذا التراث الأدبي واللغوي العظيم الذي خلفه لنا الأندلسيون، وساهموا به في خدمة اللغة العربية.

الحياة الاجتماعية

كان المجتمع الأندلسي خليطاً من أجناس مختلفة؛ فهناك العرب الذين دخلوا الأندلس فاتحين أو هاجروا إليها بعد الفتح، وهناك البربر الذين شاركوا في الفتح الإسلامي أو نزحوا من الشمال الإفريقي، وهناك سكان الأندلس الأصليون من الأسبان الذين اعتنقوا الإسلام، وكذلك أصناف أخرى من جنسيات متعددة كالصقالبة وغيرهم.

وقد اندمجت فئات المجتمع الأندلسي، ووحد الإسلام بينها، وأصبحت اللغة العربية لغة الجميع، وساهموا جميعاً في الحضارة الإسلامية في الأندلس.

وقد كانت الأندلس درة الحضارة الإسلامية في أوربا، وكانت مضرب المثل في الجمال والنظافة ومظاهر المدنية، فقد كان الأندلسيون بطبعهم ميالين إلى النظافة والعناية بالمظهر الحسن والأناقة في اللباس والمسكن، وكانت طبيعة الأندلس تخلب الألباب بمروجها الخضر وأشجارها الجميلة وأزهارها الفواحة وأنهارها الرقراقة المتدفقة.

ثم أضافوا إلى ذلك ما أحدثوه من قصور جميلة ومدارس كثيرة ومساجد عظيمة، تدل على تقدم الفن الهندسي في البناء وعلى الذوق الجميل، وقد بقيت آثارهم إلى عصرنا هذا شاهدة على عظمتهم وذوقهم الرفيع.

ولم يخل المجتمع الأندلسي من عوامل الضعف ومكونات الفساد، فقد كان كثير منهم يميل إلى حياة الترف والدعة والإسراف واللهو والغناء بسبب ضعف الإيمان.

ثم إن وجود عدد من الأسبان الذين لم يسلموا وعدد آخر من اليهود في وسط المجتمع الأندلسي كان من عوامل الانهيار والضعف، إضافة إلى استعانة بعض الحكام- وخصوصا في عصر الطوائف وما

بعده- بالنصارى من ملوك الأسبان الحاقدين على الإسلام والإصهار إليهم، كل ذلك قد أدى إلى انهيار الدولة الإسلامية في الأندلس وخروج المسلمين منها في آخر الأمر.

وقد كان لتلك الحضارة العظيمة التي أنشأها المسلمون في الأندلس الأثر العظيم الواضح على أوروبا جميعها؛ فقد كانت أوروبا تعيش عصر الظلام والانحطاط والجهل في الوقت الذي كانت الأندلس تعيش في قمة الحضارة، فتلقت أوربا العلم عن الأندلس، ورحل الأوروبيون إليها لدراسة الطب والعلوم الأخرى.

أما من الناحية الأدبية فسوف نتناول الشعر والنثر الأندلسي في الفصول التالية بالدراسة والتحليل، وسنترجم لأشهر الأدباء الأندلسيين، وسنتعرف على مظاهر التقليد والتجديد في أدبهم إن شاء الله.

أغراض الشعر الأندلسي ونماذج لها

تناول شعراء الأندلس الأغراض الشعرية المعروفة في المشرق العربي من مدح ورثاء وفخر وهجاء وغزل . . . كما أنهم توسعوا في بعض الأغراض، وتفوقوا فيها على شعراء المشرق، كوصف الطبيعة، ورثاء المدن والممالك الزائلة.

وسوف نتحدث باختصار عن أغراض الشعر الأندلسي مع إيراد نماذج مختارة لكل غرض.

١ ـ المديح.

قصائد المديح في الشعر الاندلسي لاتخرج - في مجملها - عن الطريقة التقليدية للمدح وإن امتاز مديح الأندلسيين بشيء من الرقة التي هي الطابع ا لعام للشعر الأندلسي.

وأشهر شعراء المدح في الأندلس ابن هانيء الأندلسي، وابن دراج القسطلي، وابن حمديس الصقلي، وابن عمار.

نماذج للمديح

قال أحمد بن عبد ربه[1] يمدح الخليفة عبد الرحمن الناصر:

قد أوضح الله للإسلام منْهَاجَا ... والناس قد دخلوا في الدين أفواجا

وقد تَزَيَّنَت الدنيا لساكنها ... كأنما لبسَتْ وَشْيًا وديباجَا

مات النفاقُ وأعطى الكفرُ ذمَّتَهُ ... وذلَّت الخيلُ إلجَامًا وإسراجا

أدخلْتَ في قبَّة الإسلام مارقة ... أخْرَجْتَهم من ديار الشرك إخراجا

في نصف شهر تركْتَ الأرضَ ساكنةً ... من بعد ماكان فيها الجَوْرُ قد مَاجَا

إن الخلافة لن تَرْضى ولا رَضِيَتْ ... حتى عَقَدْتَ لها في رأسك التاجا

---

(١) أحمد بن عبد ربه: أبو عمر، أحمد بن محمد بن عبد ربه، ولد في قرطبة عام ٢٤٦هـ، ونشأ بها، وتلقى العلم على شيوخ عصره. وقد مدح الخليفة عبد الرحمن الناصر بقصائد كثيرة حتى عد من كبار شعراء الأندلس، كما أنه قد اشتهر بكتابه «العقد الفريد»، وتوفي عام ٣٢٨هـ والقصيدة في العقد الفريد ج ٤، ص٤٩٩ .ـ.

وقال ابن دراج القسطلي[1] يمدح المنصور بن أبي عامر:

ولما تراموا للسلام ورُفِّعَتْ ... عن الشمس في أفْق الشروق سُتور
وقد قام من زُرْق الأسنّة دُونَه ... صُفُوفٌ ومن بيض السيوف سُطُور
رأوا طاعة الرحمن كيف اعتزازُها ... وآياتُ صُنْعِ الله كيف تُنير
وكيف استوى بالبَدْر والبَحْر مَجْلسُ ... وقام بعبْءِ الراسيات سَرير

وقال ابن عمار[2] يمدح المعتضد عباد وولي عهده المعتمد بن عباد:

مَلِكٌ إذا ازدحم الملوكُ بمَوْرِد ... ونَحَاه لايردون حتى يَصْدُرا[3]
أنْدَى على الأكباد من قَطْر الندى ... وألذُّ في الأجفان من سنَة الكَرى[4]
قَدَّاحُ زَنْد المَجْد لايَنْفَكُّ من ... نار الوغى إلا إلى نَار القِرَى[5]
قاد المواكب كالكواكب فَوْقَهم ... منْ لامهم مثْلُ السحاب كَنَهْورا[6]
من كل أبيض قد تقلَّد أبيضًا ... عَضْبًا وأسمر قد تقلد أسمرا[7]
عَبَّادٌ المخْضَرُّ نائلُ كَفّه ... والجوُّ قد لبس الرِّدَاءَ الأغبرا[8]
ملك يَرُوقُكَ خَلْقُهُ أو خُلْقُهَ ... كالروض يَحْسُنُ مَنْظرًا أو مَخْبَرا
فَاحَ الثرى مُتَعَطِّرًا بثنائه ... حتى حسبنا كلَ تُرْبٍ عَنْبَرا

---

(١) ابن دراج: أبو عمر، أحمد بن دراج الأندلسي القسطلي، ولد عام ٣٤٧هـ، وكان كاتب المنصور بن أبي عامر وشاعره، وقد توفي عام ٤٢١هـ.

(٢) ابن عمار: أبو بكر، محمد بن عمار القضاعي، ولد عام ٤٢٢هـ في قرية شنتبوس قرب مدينة شلب، وهو أحد شعراء الأندلس الأعلام، ومن كبار وزراء المعتمد بن عباد حاكم إشبيلية، وإن كان قد انقلب عليه، وبعد أحداث طويلة قبض عليه المعتمد، وقتله عام ٤٧٧هـ. وله ديوان شعر، جمعه الدكتور صلاح الخالص، ونشره في بغداد عام ١٩٥٧م.

(٣) نحاه: ينحوه وينحاه: قصده. ويصدر: يرجع عن الماء ضد يرد.

(٤) أندى: أكثر خيرًا. السِّنة: ابتداء النعاس في الرأس

(٥) نار الوغى: الحرب. نار القرى: الضيافة.

(٦) لامهم: اللامة: لباس الحرب. كنهورا: السحاب الثقال.

(٧) الأبيض: السيف. والأسمر: الرمح

(٨) المخضر نائل كفه: كثير العطاء حتى في وقت الشدة والحرب.

٢ ـ الفخـــر .

لم يبرز في الشعر الأندلسي شعراء اشتهروا بالفخر والحماسة كالمتنبي وأبي فراس في المشرق، ولذلك عُدَّ هذا الغرض من الأغراض التي ضعفت في الأندلس.

ومع ذلك نجد نماذج للفخر في شعر بعض حكام الأندلس وفي شعر الوزراء والحجاب وفي ثنايا المديح.

نماذج للفخـــر

قال المنصور بن أبي عامر[١]:

رَمَـــيْتُ بنفـــسي هولَ كُلِّ كـــريهـــة ... وخـــاطرتُ والحـــرُّ الكريمُ يخـــاطرُ

ومـــا صـــاحـــبي إلاّ جَنَانٌ مُـــشَـــيَّعٌ ... وأســـمـــرُ خَطِّيٌّ وأبـيضُ بَاترُ[٢]

وإني لَزَجَّـــاءُ الجـــيـــوش إلى الوغى ... أُسُـــودٌ تُلاقـــيـــهـــا أســـود خَـــوَادرُ[٣]

رفـــعتُ المعـــالي بالعـــوالي حـــديثـــةً ... وأوْرَثَنَاها في القـــديم مَـــعَـــافـــرُ[٤]

وقال عبد الجليل بن وهبون[٥]:

أتخْـــفَى على الأيام غُـــرٌّ مناقـــبي ... وقـــد بَذَّ شَـــأوي شَـــأوَ كل نقَـــاب

ويركـــبني رَسْمُ الخُـــمُـــول وقـــد غـــدت ... خِـــصَـــالُ العُلى والمجـــد طَوْعَ رِكَـــابي

سَـــأرقَى بهـــمَّـــاتي قُـــصَـــارى مـــراتبي ... وإن كـــــان أدنـاها يُـطيـل طـلابـي[٦]

---

(١) المنصور بن أبي عامـر: محمد بن عبد الله بن أبي عـامر المعافري، حاجب هشام المؤيد، ومـؤسس الدولة العامرية، وهو أعظم وزراء الأندلس وحجابها شأنا، وكان أديباً يقرب الأدباء ويـعلي من شأنهم، ودامت إمارته ٢٦ عاماً. حارب خلالها النصارى في الأندلس. وانتصر عليهم، وتوفي عام ٣٩٢هـ

(٢) مشيع: شجاع ولا يخاف.

(٣) الخوادر: جمع خادر، وهو الأسد المقيم في عرينه.

(٤) معافر: جد المنصور بن أبي عامر المعافري.

(٥) عبد الجليل بن وهبون: من شعراء المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية، وله ترجمة مطولة في كتاب الذخيرة ج١ص٤٧٣.

(٦) قصارى مراتبي: أي غايتها وأقصاها، علمًا بأن أدناها وأسهلها صعب المرام لمن يريدها لعزتها، فكيف بأقصاها؟.

لتعلم أطرافُ الأسنة أنني ... كَفيلٌ بها عند الصدى[1] بشراب

وتشهد أطرافُ اليَراعات أنني ... بهن مصيبٌ فَصْلَ كلِ خطاب

وليس نديمي غيرَ أبيضَ صارمٍ ... وليس سميري غيرَ شخص كتاب

٣ ـ الرثاء.

ونعني به رثاء الأشخاص، أما رثاء المدن والممالك الزائلة فسنفرده بحديث مستقل، نظرًا لأهميته وما للأندلسيين فيه من تفوق وإبداع.

وليس للأندلسيين في رثاء الأشخاص ما للمشارقة من روائع، ولكنهم شاركوا في هذا الفن، وبدت عاطفتهم الرقيقة وإحساسهم المرهف في قصائدهم الرثائية، خصوصًا عندما يكون الرثاء للآباء أو الأبناء أو الزوجات.

ومن أشهر شعراء الرثاء في ا لأندلس: ابن عبد ربه، وابن هانىء، وابن زيدون، والمعتمد بن عباد، وابن حمديس.

نموذج للرثاء

قال المعتمد بن عباد[2] يرثي ولدين له قتلا غيلة:

يقولون. صبرًا لاسبيل إلى الصبر ... سأبكي وأبكي ماتَطاوَلَ من عُمْري

هوى الكوكبان. الفتحُ ثم شقيقهُ ... يزيدُ، فهل بعد الكواكب من صبرِ

أفتحٌ. لقد فتَّحت لي بابَ رحمة ... كما بيزيدَ اللهُ زاد في أجري

هوى بكما المقدارُ عني ولم أمُتْ ... وأُدعى وفيًّا قد نكصتُ إلى الغدر

توليتما والسِّنُّ بعدُ صغيرةٌ ... ولم تلبث الأيام أن صغَّرت قدري

فلو عُدتما لاخترتما العَوْدَ في الثرى ... إذا أنتما أبصرتمانيَ في الأسْر

يُعيد على سمعي الحديدُ نشيجَه ... ثقيلاً، فتبكي العينُ بالحسِّ والنقر

(١) الصدى: العطش أي سأروي الرماح دمًا عندما تعطش.

(٢) المعتمد بن عباد: محمد بن عباد المعتمد على الله حاكم إشبيلية، ولد عام ٤٣١هـ، وولي حكم إشبيلية عام ٤٦١هـ، وكان شجاعًا شاعرًا. وعند اضطراب الأحوال في إشبيلية استعان بيوسف بن تاشفين إمام المرابطين فأعانه، ولكنه اضطر أخيرًا إلى إخراج المعتمد من الأندلس ونفيه إلى أغمات بالمغرب، فقال في منفاه قصائد عظيمة مؤثرة، وتوفي عام ٤٨٨هـ. وله ديوان شعر.

مـــعي الأخـــواتُ الهـــالكاتُ عليكمـــا ... وأمكمـــا الثكلى المضَـــرّمـــةُ الصـــدر
أبا خـــــالد. أورثتني البَثَّ خـــــالدًا ... أبا النصـــر: مـــذ وَدَّعْتَ ودَّعني نصـــري
وقـــبلكمـــا مـــا أُودعَ القلبُ حـــســـرةً ... تجـــدِّد طول الدهر ثُكْلَ أبي عـــمـــرو

٤ ـ الهجـــاء.

لم يكثر الشعراء الأندلسيون من الهجاء، ولم يشتهر منهم شاعر به، وإذا هجوا فإنهم لايطيلون، وما ذلك إلا لسماحة نفوسهم، وميلهم إلى التسامح والعفو والبعد عن الإفحاش في الهجاء، وإنما يكثر عندهم العتاب أو التعريض الذي لايصل إلى حد الشتم، وكذلك نجد في هجائهم نقدًا اجتماعيًا لأوضاع الأندلس، ومحاولة لإصلاح تلك الأوضاع.

ومن أشهر شعراء الهجاء: ابن هانىء، وابن خفاجة، وأبو بكر المخزومي، وأبو القاسم خلف بن فرج السميسر.

نماذج للهجـــاء

قال خلف بن فرج السميسر [1] يهجو حكام الأندلس الذين تعاونوا مع النصارى:

نَـــاد الملـــوكَ وقـــل لـــهـــمْ: ... مـــــاذا الـذي أحْـــــدَثْتُـمُ؟
أسلمَـــــتم الإســـــلام في ... أيـدي الـعـــــدا وَقَـــعَـــدْتُـمُ
وَجَبَ القـــيـــامُ عـليكم ... إذْ بالنصـــارى قُـــمْـــتُـمُ
لاتـنكـروا شَقَّ الـعَـــصَـــا ... فـــعـــصـــا النبيّ شَـــقَـــقْـــتُـمُ

ومن الهجاء الساخر الذي يعتمد فيه الشاعر على المبالغة والسخرية والفكاهة قول ابن هانىء [2]:

ياليت شـــعـــريَ، إذْ أوْمَى إلى فـــمـــه ... أحَلْقُـــه لَهَـــواتٌ أم مـــيـــادينُ؟
كـأنهـا - وخـبـيثُ الزاد يُضْـرمُـهـا ... جـهـنمٌ قُـذفَتْ فـيـهـا الشـيـاطين

(١) خلف بن فرج السميسر: خلف بن فرج الإلبيري أبوالقاسم المعروف بالسميسر، شاعر اشتهر بالهجاء، توفي عام ٤٨٠هـ.

(٢) ابن هانىء، أبو القاسم، محمد بن هانىء بن محمد الأندلسي، ولد في إشبيلية عام ٣٢٠هـ، ثم رحل من الأندلس واعتنق المذهب الإسماعيلي، وأصبح شاعر المعز لدين الله الفاطمي، ولقب ابن هانىء بمتنبي المغرب تشبيهاً له بأب الطيب المتنبي في شعره، وقد اغرق ابن هانىء في مبالغات غير مقبولة في مدح المعز، وقد قتل ببرقة في ليبيا عام ٣٦٢هـ.

تبـــارك اللهُ مـــا أمـــضى أسنّتَـــهُ ... كـــأنما كلّ فَكٍّ منه طاحـــونُ

كـــأنما الحَـــمَلُ المَشْـــويُّ في يده ... ذُو النون في الماء لما عَـــضَّـــهُ النون[1]

لَفَّ الجـــداءَ بأيديهـــا وأرجُلِهـــا ... كأنما افـــتـــرســـتـــهنَّ الســـراحينُ[2]

وغـــادر البَطَّ من مـــثنى وواحـــدة ... كـــأنما اخْـــتَطَفَـــتْـــهُن الشـــواهينُ[3]

يُخَـــفِّضُ الوزَّ من قَـــرْنٍ إلى قـــدمٍ ... وللبـــلاعـــيم[4] تطريبٌ وتلحينُ

كـــأنما كلُّ ركن من طبـــائعـــه ... نار وفي كل عـــضـــو منه كـــانونُ[5]

قـــومـــوا بنا فلقـــد ريعتْ خـــواطرنا ... وجـــاذبتْنا الأعنَّات البـــراذينُ

نصـــحـــتكمْ فـــخـــذوا من شِـــدْقـــه وَزَرًا ... أوْلا فـــأنتمْ سَـــوِيقٌ[6] فـــيـــه مطحـــونُ

٥ ـ الحكمـــة.

نجد الحكمة في الشعر الأندلسي مبثوثة في قصائد الرثاء والتوبة والندم، وفي القصائد التي يتحدثون فيها عن محنة الأندلس، وما حل بها من دمار، وما آلت إليه مدنها وإماراتها من انهيار وسقوط في يد الإفرنج.

ومن أشهر شعراء الحكمة: ابن عبد ربه، ويحيى بن الحكم الغزال (في آخر أيامه)، وأبو عامر بن شهيد، كذلك أبو الصلت أمية بن عبد العزيز، وابن مرج الكحل.

(١) النون: الحوت، وذو النون: هو نبي الله يونس.

(٢) الجداء: جمع جدي، وهو الذكر من أولاد المعز. والسراحين: جمع سرحان، وهو الذئب.

(٣) الشواهين: جمع شاهين، من كوابر الطير.

(٤) البلاعيم: جمع بلعوم، وهو المري، أو مجرى الطعام في الحلق.

(٥) الكانون: الموقد.

(٦) السويق: دقيق الحنطة والشعير.

نماذج للحكمة

قال يحيى بن الحكم الغزال[1]:

أرى أهلَ اليسار إذا تُوفُّوا ... بَنَوْا تلك المقابرَ بالصخورِ
أبوا إلاّ مُباهاةً وفخراً ... على الفقراء حتى في القبورِ
فإن يكن التفاضلُ في ذُراها ... فإن العدلَ فيها في القعورِ
ألَا يُبصروا ماخَرَّبَتْه الدُّ ... هورُ من المدائن والقصور؟
لعمر أبيهمُ لو أبصروهمْ ... لما عُرِفَ الغنيُّ من الفقيرِ
ولا عَرَفوا العبيدَ من الموالي ... ولا عرفوا الإناثَ من الذكورِ
ولا من كان يلبس ثوبَ صوفٍ ... من البَدَن المباشر للحرير
إذا أكلَ الثرى هذا وهذا ... فما فَضْلُ الكبير على الحقيرِ؟

وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز[2]:

رَمَتْني صُرُوفُ الدهرِ بين معاشرٍ ... أصحهمُ وُدّاً عدوٌّ مقاتلُ
وما غُرْبَةُ الإنسان في غير داره ... ولكنها في قُرْب من لايُشَاكِلُ

وقال أيضًا:

تُفَكِّرُ في نُقْصان مالك دائمًا ... وتَغْفُلُ عن نُقْصان جِسْمكَ والعُمْر
ويُثْنيكَ خوفُ الفقرِ عن كلِّ بُغْيةٍ ... وخيفةُ حالِ الفقرِ شرٌّ من الفقرِ

---

(١) يحيى بن الحكم الجياني الملقب بالغزال لجماله ولد عام ١٥٦هـ. من أكابر شعراء الأمويين في الأندلس، ومن رجال السياسة والحكمة، توفي عام ٢٥٠هـ.

(٢) أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الدائي، ولد عام ٤٦٠هـ، وهو من حكماء الأندلس وشعرائها المشهورين، توفي في المهدية عام ٥٢٩هـ.

٦ ـ الغـــــزل.

شعرالغزل كثير رائج في الأندلس، بل لعله أكثر أنماط الشعر شيوعًا وانتشارًا، لما اشتهر به أكثر أهل الأندلس من الرقة والميل إلى الدعة والعبث.

ومـن أشهـر شعـراء الغـزل في الأندلـس: يحيى بن الحكم الغزال، وابن زيدون، وأبو عامر بن شهيد، والأعمى التطيلي.

نموذج للغـزل

قال أحمد بن عبد ربه:

يا لؤلؤًا يَسْـبي العـقـولَ أنيـقـا ... ورَشَـاً بتَـقْطيعِ القلوب رَفـيـقـا

مـا إن رأيتُ ولا سَـمِـعْتُ بمثله ... دُرًّا يعـود من الحَـيَـاء عَـقـيـقـا

وإذا نظرتَ إلى مـحـاسن وجـهـه ... أبصـرتَ وجـهَكَ في سناه غـريقَـا

يـا من تَـقَطَّعَ خَـصْـرُهُ من رقـةٍ ... مـابالُ قلبِكَ لايكون رقـيـقـا؟

٧ ـ شعر الطبيعة والوصف.

تفوق الأندلسيون في ميدان الوصف وتصوير الطبيعة على شعراء المشرق، وأتوا في ذلك بالروائع الخالدة، ولذا يُعد هذا الغرض- بالإضافة إلى رثاء الممالك - أروع مافي الشعر الأندلسي، والمجال الخصب للإبداع والتفوق.

والمراد بشعر الطبيعة ذلك النوع من الشعر الذي يتناول فيه الشاعر الطبيعة ومظاهرها بالوصف والتصوير.

وقد ساعد الأندلسيين على إجادة هذا الغرض جمالُ الطبيعة في بلادهم، ثم جاءت الحضارة الإسلامية فأضافت إلى ذلك الجمال الفطري مظاهر رائعة للجمال المصنوع؛ فهناك القصور التي قلَّ أن يوجد لها مثيل في الدنيا كقصور الحمراء والزهراء والزاهرة... وهناك المساجد والمدارس والجسور والقناطر والمتنزهات، وكلها آيات على إبداع الحضارة الإسلامية في ميدان الهندسة والمعمار.

وأشهـر شعـراء الطبيعـة في الأندلـس: ابن خفاجة، وابن حمديس، وابن زيدون.

نماذج لشعر الطبيعة والوصف

قال ابن سفر المريني:

في أرضِ أندلسٍ تلْتَذُّ نَعْمَاءُ ... ولا يُفَارِقُ فيها القلبَ سَرَّاءُ

أنهارُها فضةٌ والمسكُ تُرْبَتُها ... والخَزُّ روضتُها والدرُّ حَصْباءُ

وللهواء بها لُطْفٌ يَرِقُّ به ... من لا يرقُّ وتبدو منه أهواءُ

ليس النسيمُ الذي يهفو بها سَحَراً ... ولا انتشارُ لآلى الطَّلِّ أنْدَاءُ

وإنما أرَجُ النَّدِّ استثار بها ... في ماء ورد فطابتْ منه أرجاءُ

وأين يبلغ منها ما أصَنِّفُه ... وكيف يحوي الذي حازَتْهُ إحصاء؟

قد مُيِّزَتْ من جهات الأرض حين بَدَتْ ... فريدةً وتولى مَيْزَها الماء

دارت عليها نطَاقًا أبحرٌ خَفَقَتْ ... وَجْدًا بها إذ تَبَدَّتْ وهي حَسْنَاءُ

لذاك يَبْسِمُ فيها الزهرُ من طَرَبٍ ... والطيرُ يشدو وللأغصان إصْغَاءُ

فيها خَلَعْتُ عِذَارى مابها عَوَضٌ ... فهي الرياض وكل الأرض صحراء

قال ابن حمديس الصقلي[1] يصف قصراً وبركة:

قَصْرٌ لو انك قد كَحَلْتَ بنوره ... أعمى لعاد إلى المقام بَصيرا

واشْتُقَّ من معنى الحياة نَسِيْمُهُ ... فيكادُ يُحْدِثُ للعظام نُشُورا

أعييتْ مصانعُه على الفرس الألى ... رفعوا البناء وأحكموا التدبيرا

وَمَضَتْ على الروم الدهورُ وما بنوا ... لملوكهم شَبَهًا له ونَظِيْرا

وضراغمٍ سكنت عرين رياسة ... تركت خَرِيرَ الماء فيه زَئِيرا

فكأنما غَشَّى النُّضَارُ جسومها ... وأذابَ في أفواهها البلورا[2]

---

(١) ابن حمديس: أبو محمد، عبد الجبار بن حمديس، ولد في جزيرة صقلية، ثم انتقل إلى الأندلس وأصبح من شعراء المعتمد بن عباد في إشبيلية، وتوفي عام ٥٢٧هـ في جزيرة ميورقة. والقصيدة في ديوانه ص ٤٧٧.

(٢) النضار: الذهب. والبلور: نوع صافٍ من الزجاج.

أسْـدٌ كـأن سكونَهـا مُـتَـحَـرِّكٌ ... في النفس، لو وجـدت هناك مُـثـيـرا

وتـذكـرتْ فـتـكاتِهَـا فكأنما ... أقْـعَتْ على أدبارها لتَـثُـورا

وبديعـة الثـمـرات تعـبـر نحـوها ... عـيناي بحـرَ عـجـائبٍ مَسْجُورا[1]

شـجـريةٌ ذهبـيـة نزعتْ إلى ... سـحـرٍ يؤثر في النُّهى تأثيـرا

قـد صُـولجت أغـصـانُهـا[2] فكأنما ... قَنَصَتْ لهنَّ من الفـضـاء طيـورا

وكـأنما تأبى لِـوُقَّعِ طَيْـرها ... أن تسـتـقل بنهـضـهـا وتطيـرا

من كل واقـعـة ترى منقـارَها ... مـاءً كـسلسـال اللُّجين نَميـرا

خـرسٌ تُعَـدُّ من الفـصـاح فـإن شـدتْ ... جَـعَلَتْ تُغَـرِّدُ بالميـاه صَـفـيـرا

وتريك في الصِّـهْـريجِ مَـوْقعَ قَطْرها ... فـوق الزَّبَرْجَـد لؤلؤًا منثـورا

ضـحكت مـحـاسنُه إليك كـأنما ... جُـعِلَتْ لهـا زُهْرُ النجـومِ ثغـورا

٨ ـ رثاء المدن والممالك الزائلة.

والمراد بذلك: الشعر الذي يذكر الشاعر فيه ماانتهت إليه مدن المسلمين في الأندلس ودولهم وحضاراتهم من دمار شامل وسقوط مريع في يد الأعداء،

وخلاصة القول في هذا الشعر: إنه جدير بالدراسة الواعية في عصرنا الحاضر، وفيه من الموعظة والعبرة مانحن في أمس الحاجة إليه، فإذا أضفنا إليه دراسة شعر الجهاد ووصف المعارك، فإننا نكون قد أبرزنا كيف شارك الشعر العربي في الأحداث، وكيف انفعل بها وصورها، وقدمنا لشبابنا نماذج من الشعر الملتزم بالعقيدة الإسلامية، والمثير للنخوة والحماسة.

(١) البحر المسجور: الممتلىء.

(٢) أي أعوادها معوجة معقوفة كالصولجان.

نماذج لرثاء المدن والممالك الزائلة

قال أبو بكر بن اللبانة[1] يرثي دولة بني عباد:

تَبكي السـمـاء بمُزْنٍ رائحٍ غـادي ... على البـهـاليل من أبناء عَبَّـاد[2]

على الجـبـال التي هُدَّت قـواعـدُها ... وكـانـت الأرضُ منـهـم ذاتَ أوتـاد

ياضـيفُ أقْـفَـر بيتُ المكرمـات فَـخُـذْ ... في ضَمِّ رحلك واجـمع فَـضْلَةَ الزاد

ويـامُـؤمـلَ واديـهـم لـيـسْكُنَه ... خَـفَّ الـقَـطـيْـن وجَـفَّ الـزرع بـالـوادي[3]

وأنت يافـارسَ الخـيل التي جَـعَلَتْ ... تخـتـالُ في عُـدَد منهم وأعـداد

ألْقِ الـسـلاحَ وخلِّ المشـرفيَّ فـقـدْ ... أصبحتَ في لَهَوات الضَيْغَم العادي[4]

إن يُخْلَعُـوا فـبنوا العـبـاس قـد خُلِعَـوا ... وقـد خَلَتْ قـبلَ حـمْصٍ أرضُ بغـداد[5]

وقال ابن عبدون[6] يرثي بني الأفطس ملوك بطليوس:

الـدهرُ يَفْـجَعُ بعـد العين بالأثَر ... فـمـا البكاء على الأشـبـاح والصـور

أنهـاكَ أنهـاكَ لاآلوك مَـوْعِظَةً ... عن نَوْمَـةٍ بين نـاب الليث والظُّفُـر

فـالدهر حَـرْبٌ وإن أبدى مُـسَـالَمَـةً ... والبيضُ والسود مثلُ البيض والسُمُر[7]

(١) ابن اللبانة: محمد بن عيسى بن محمد اللخمي، أبو بكر، المعروف بابن اللبانة، أديب أندلسي شاعر، توفي بميورقة عام ٥٠٧، وقد قال تلك القصيدة في رثاء بني عباد حكام إشبيلية. والقصيدة في كتاب المعجب لعبد الواحد المراكشي ص ١٠٣ وله ديوان شعر جمعه وحققه د. محمد مجيد السعيد

(٢) البهاليل: السادة، جمع بهلول: السيد العظيم الجامع لكل خير.

(٣) خف القطين: القطين الأهل. وخفوا: رحلوا.

(٤) لهوات: جمع لهاة، لحمة في أعلى الفم.

(٥) حمص: المراد هنا إشبيلية، وكانت تسمى بحمص، وكذلك الشأن في كثير من المدن الأندلسية فإن لها أسماء مشرقية وشامية على وجه الخصوص.

(٦) ابن عبدون: عبد المجيد بن عبد الله بن عبدون، وزير بني الأفطس في بطليوس وشاعرهم، توفي عام ٥٢٩هـ.

(٧) البيض والسود: الأيام والليالي. والبيض والسمر: السيوف والرماح.

ولا هَوَادَةَ بين الرأس تَأخُذُهُ ... يَدُ الضَّراب وبين الصارم الذكر[1]

فلا تَغُرنْك من دنياك نَوْمَتُها ... فما صناعة عَيْنَيْهَا سوى السهر

تَسُرُّ بالشيء لكن كي تَغُرّ به ... كالأيْم ثار إلى الجاني من الزهر[2]

قال ابن الأبار القضاعي[3]:

أدْرِكْ بِخَيْلِكَ خيلِ الله أندلسا ... إن السبيل إلى مَنْجاتها دَرَسَا

وَهَبْ لها من عزيز النصر ماالتَمَسَتْ ... فلم يزل منك عِزُّ النصر مُلْتَمَسا

يالَلْجَزِيْرة أضحى أهلها جَزَرًا ... للحادثات، وأمسى جِدُّها تَعِسا

في كل شارقة إلمامُ بائقة ... يعودُ مَأتَمُهَا عند العدا عُرْسا

وفي بلَنْسِيَة منها وقُرْطُبة ... مايَنْسفُ النفسَ أو مايَنْزِفُ النَّفَسَا

مدائنٌ حَلَّها الإشراكُ مُبْتَسِمًا ... جَذْلانَ وارتحلَ الإيمانُ مُبْتَئِسا

وصيَّرتها العوادي العابثاتُ بها ... يستوحشُ الطرفُ منها ضِعْفَ مَاأنِسَا

يالَلمساجد عادتْ للعدا بِيَعًا ... وللنداء غدا أثناءها جَرَسا

لَهفي عليها إلى استرجاع فائتها ... مدارسًا للمثاني أصبحت دُرُسا

وأرْبُعًا نمنمت أيدي الربيع لها ... ماشئت من خِلَعٍ مَوْشِيَّة وكُسا

فأين عيشٌ جنيناه بها خَضِرا ... وأين غُصْنٌ حنيناه بها سَلِسا؟

محا محاسِنَها طاغٍ أتيح لها ... مانام عن هضمها حينًا وما تعسا

صِلْ حبلها أيها المولى الرحيمُ فما ... أبقى المَراسُ بها حبلا ولا مَرَسا

وأحْيِ ماطَمَسَتْ منها العداةُ كما ... أحْيَيْتَ من دعوة المهديِّ ماطُمِسا

---

(١) الصارم: السيف القاطع، الذكر: القوي البتار.

(٢) الأيم: الثعبان، والمعنى لاتغتر بشيء بدا لك حسنه، فإن الثعبان يختفي بين الأزهار.

(٣) ابن الأبار: أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن أبي بكر الأبار القضاعي البلنسي، ولد عام ٥٩٥هـ في بلنسية، وقتل في تونس عام ٦٥٨هـ، وقد اشتهر بهذه القصيدة الرائعة في رثاء الأندلس. له مؤلفات، منها: التكملة لكتاب الصلة، والحلة السيراء، وأعتاب الكتاب، ومعجم شيوخ الصدفي. والقصيدة في نفح الطيب ج٦ص٢٠٠.

أيام سِـرْتَ لنصـر الحق مـسـتـبـقـا ... وبَتّ من نور ذاك الهَـدْي مـقـتـبـسـا

وقـد تـواتـرت الأنـبـاءُ أنـك مَـنْ ... يُحْـيي بقـتل ملوك الصُّـفْـر أندلسـا

طَـهِّـرْ بـلادَك مـنـهـم إنـهـم نَـجَـسٌ ... ولا طهَـارةَ مـالـم تَغـسِل النَّجـسـا

وأوطِىء الفَـيْلَق الجـرَّارَ أرضَـهـم ... حـتى يُطأطِىءَ رأسًـا كلُّ من رأسـا

واضـرب لهم مـوعـداً بالفـتح ترقـبُـهُ ... لعلَّ يوم الأعـادي قـد أتى وعـسـا

قال أبو البقاء الرندي[1] يرثي الأندلس:

لكلِّ شيءٍ إذا مـاتَمَّ نُقْـصَـانُ ... فـلا يُغَـرُّ بطيب العـيش إنسـانُ

هي الأمـورُ كـمـا شـاهدتُهـادُول[2] ... من سَـرَّه زمن سـاءته أزمـانُ

وهـذه الدارُ لاتُبْـقي على أحـد ... ولا يدُومُ على حـال لهـا شـانُ

يُمَـزِّق الدهرُ حـتـمًـا كلَّ سـابغَـةٍ ... إذا نَبَتْ مَـشْـرَفـيَّـاتٌ وخُـرْصَـانُ[3]

وينتـضي كل سـيف للفناء ولـو ... كـان ابن ذي يَزَن والغـمْـدَ غُـمْـدَانُ[4]

أين الملوكُ ذوو التـيـجـان من يَمَنٍ ... وأين منهم أكـالـيلٌ وتيـجـانُ؟

وأين مـاشـاده شَـدَّادُ في إرَمٍ؟ ... وأين مـاسـاسـه في الفـرس سـاسـان؟[5]

وأين مـاحـازه قـارونُ من ذهب؟ ... وأين عـادٌ وشـدَّادُ وقـحطان؟

أتى على الكل أمـرٌ لامَـرَدَّ له ... حـتى قـضـوا فكأن القـوم مـاكـانوا

---

(١) الرندي: أبو البقاء، صالح بن يزيد بن صالح بن شريف الرندي، وقيل كنيته «أبو الطيب»، عاش في القرن السابع الهجري، وهو من شعراء بني الأحمر في غرناطة، وقد شاهد سقوط المدن الأندلسية في يد الإفرنج، فقال هذه القصيدة التي تعد من عيون الشعر الأندلسي في رثاء المدن.

(٢) دول: دال الزمان: انقلب من حال إلى حال.

(٣) سابغة: الدرع الكاملة. والمشرفيات: السيوف. والخرصان: الرماح.

(٤) ابن ذي يزن: من ملوك اليمن. وغمدان: قصر كان لسيف بن ذي يزن

(٥) شداد: هو شداد بن عاد الذي بنى مدينة إرم أو(إرم ذات العماد) كما في القرآن الكريم. وساسان: أحد ملوك الفرس الحكماء.

دهى الجزيرة أمرٌ لاعزاء له ... هوى لهُ أحدٌ وانهدّ ثَهْلاَن[1]

فاسأل بلنسيةً ماشأن مرسيةٍ ... وأين شاطبَةٌ أم أين جَيَّان؟[2]

وأين قرطبةٌ دارُ العلوم فكم ... من عالم قد سما فيها لها شَانُ؟

وأين حمص وما تحويه من نُزَهٍ ... ونهرها العذب فياضٌ ومَلآنُ؟

قواعد كن أركان البلاد فما ... عسى البقاء إذا لم تبق أركانُ

تبكي الحنيفية البيضاء من أسف ... كما بكى لفراق الإلف هَيْمَان[3]

على ديارٍ من الإسلام خَالية ... قد أسْلمَتْ ولها بالكفر عُمْرَانُ

حيث المساجدُ قد صارت كنائسَ ما ... فيهن إلاّ نواقيسٌ وصُلْبَانُ

حتى المحاريبُ تبكي وهي جامدةٌ ... حتى المنابرُ تَرْثي وهي عيدانُ

ياغافلاً وله في الدهر مَوْعظَةٌ ... إن كنت في سِنَةٍ[4] فالدهر يَقْظانُ

وماشيًا مَرِحًا يُلْهيه مَوْطِنُهُ ... أبَعْدَ حمصٍ تَغُرُّ المرءَ أوطانُ

تلك المصيبةُ أنْسَتْ ماتقدَّمَها ... وما لها من طويل الدهر نسيانُ

ياأيها المَلِكُ البيضاءُ رايَتُهُ ... أدْرِكْ بسيفك أهل الكفر لاكانوا

ياراكبين عِتَاقَ الخيل ضَامرةً ... كأنها في مجال السَّبْق عُقْبَان[5]

وحاملين سيوف الهند مُرْهَفَةً ... كأنها في ظلام النَّقْع نيرانُ

وراتعين وراء البحر في دَعَةٍ ... لهم بأوطانهم عِزٌّ وسلطانُ

---

(١) الجزيرة: الأندلس، وهي في الحقيقة شبه جزيرة. وأحد: الجبل المعروف في المدينة المنورة. وثهلان: جبل بنجد قرب الشعرى. والمعنى أن مصاب الأندلس قد هز الجزيرة العربية وجبالها الراسيات.

(٢) يعدد هنا أسماء المدن الأندلسية التي سقطت في يد النصارى.

(٣) الحنيفية: الشريعة السمحة. والإلف: الأليف المحبوب. وهيمان: عطشان، والمراد شدة الشوق.

(٤) سِنة: نعاس.

(٥) العتاق: جمع عتيق، وهو الفرس الكريم، والضامرة: الهزيلة.
والعقبان: جمع عقاب، وهو طير جارح.

أعندكم نَبَأٌ من أهل أندلسٍ ... فقد سرى بحديث القوم رُكْبَانُ؟

كم يستغيث بها المستضعفون وهم ... أسرى وقتلى، فما يَهْتَزُّ إنسانُ

ماذا التقاطعُ في الإسلام بينكمُ ... وأنتُم ياعبادَ الله إخوانُ

ألا نُفُوسٌ أبيَّاتٌ لها هِمَمٌ؟ ... أما على الخير أنصار وأعوانُ؟!

يامن لِذلَّة قوم بعد عِزِّهمُ ... أحال حالَهم كفرٌ وطغيانُ

بالأمس كانوا ملوكًا في منازلهم ... واليوم هم في بلاد الكفر عُبْدانُ

فلو تراهم حَيَارى لادليلَ لهم ... عليهمُ من ثياب الذُّل ألْوَانُ

ولو رأيت بُكاهم عند بَيْعِهمُ ... لَهَالَكَ الأمرُ واستهوتْك أحْزَانُ

يارُبَّ أمٍّ وطفلٍ حِيْلَ بينهما ... كما تُفَرَّقُ أرواحٌ وأبدانُ

وَطَفْلةٍ[1] مارأتها الشمس إذْ برزتْ ... كأنما هي ياقُوتٌ ومرجانُ

يقودها العِلْجُ[2] للمكروه مُكْرَهَةً ... والعينُ باكيةٌ والقلبُ حيرانُ

لمثل هذا يذُوب القلبُ من كَمَدٍ ... إن كان في القلب إسلام وإيمان

٩ - الحنين.

إذا كان المشارقة لهم فضل السبق إلى شعر الحنين فإن الأندلسيين قد لحقوا بهم، وتقدموا عليهم في هذا الفن.

والمراد به ما يذكر فيه الشاعر: الشوق إلى الأوطان، والتجارب الذاتية في ديار الغربة، وتصوير ملاعب الصبا، وذكر أيامهم والعهود السعيدة في البلاد.

والجيد من شعرهم في الحنين كثير.

---

(١) الطفلة: المرأة الناعمة.

(٢) العلج: الكافر والرجل الضخم.

أيهـــــا الراكبُ المُيَـــــمِّمُ أرضي ... أقْـــرِ من بعـــضيَ الســـلامَ لبـــعـــضي

إنَّ جـــســـمي كـــمـــا تراهُ بأرضٍ ... وفـــؤادي ومـــالكِيـــه بأرض

قُـــدِّرَ البَـــيْنُ بيننا فـــافـــترقنا ... وطوى البين عن جـــفـــوني غـــمـــضي

قـــد قـــضى الله بالفـــراق علينا ... فـــعـــسى باجـــتـــمـــاعنا ســـوف يقـــضي

١٠ ـ الشعر التعليمي.

هذا النمط من الشعر إنما هو نظم خال من العاطفة والخيال، فعلاقته بالشعر تنحصر في الوزن والقافية، وإنما دعانا إلى الحديث عنه أنه يشكل ظاهرة بارزة لدى الأندلسيين، وأن شعراء الأندلس ساهموا في نظم العلوم، وخصوصًا مايتعلق بأحداث التاريخ.

فهذا يحيى بن الحكم الغزال ينظم قصيدة تاريخية في فتح الأندلس وتاريخها، وكذلك ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد الذي نظم تاريخ عبدالرحمن الناصر في أرجوزة مطلعها[1]

أقـــولُ في أيام خَـــيْـــر الناسِ ... ومـن تحلَّـى بـالـنـدى والـبـــاسِ

ومـن أبادَ الـكـفـــر والـنـفـــاقـــا ... وشـــرَّد الـفـــتـنة والـشـــقـــاقـــا

ونـحـن فـي حَـنَـادِسٍ كـــالـلـيـلِ ... وفـــتـنةٍ مـــثل غُـــثَـــاءِ الـســـيلِ

حـــتى تولى عـــابدُ الرحـــمنِ ... ذاك الأعـــزُّ من بـني مـــروانِ

(١) العقد الفريد ج ٤ص١٥٠.

أسلوب الشعر الأندلسي ومعانيه وأخيلته

الشعر في الأندلس امتداد للشعر العربي في المشرق؛ فقد كان الأندلسيون متعلقين بالمشرق، ومتأثرين بكل جديد فيه عن طريق الكتب التي تصل إليهم منه، أو العلماء الذين يرحلون من الشرق أو الأندلسيين الذين يفدون إلى الشرق للحج أو لطلب العمل، فكانت حبال الود ووشائج القربى قوية بين مشرق العالم الإسلامي ومغربه.

وكان الأندلسيون ينظرون إلى الشرق وما يأتي منه نظرة إعجاب وتقدير؛ فكانوا في غالب أمرهم مقلدين للمشارقة، ويبدو ذلك واضحًا في ألقاب الشعراء وفي معارضاتهم لشعراء المشرق.

ولكن هذا التقليد لم يمنعهم من الإبداع والابتكار، والتميز بميزات تخصهم نتيجة لعوامل كثيرة، أهمها البيئة الأندلسية الجديدة الجميلة التي طبعت الأدب الأندلسي بطابع خاص.

ويمتاز الشعر الأندلسي في ألفاظه ومعانيه وأخيلته بسمات تبدو واضحة في مجمله، ومنها:

١ ـ وضوح المعنى، والبعد عن التعقيد الفلسفي أو الغوص على المعاني وتشقيقها.

٢ ـ سهولة الألفاظ وسلاستها، والبعد عن التعقيد والغموض، وذلك ناتج عن بساطة الأندلسيين وبعدهم عن التعقيد في كل شيء. ويستثنى من ذلك شعر ابن هاني، وابن دراج، فهما يقربان من شعر المشارقة من حيث الجزالة والقوة.

٣ ـ قلة الدخيل من الألفاظ الأعجمية؛ فقد لاحظ الدارسون أن الأندلسيين أكثر تمسكًا بالعربية الفصحى من غيرهم.

٤ ـ التجديد في بعض أغراض الشعر والتفوق فيها، ويبدو ذلك واضحًا في رثاء الممالك الزائلة، وفي وصف الطبيعة.

٥ ـ الخيال المجنح، وبراعة التصوير، والاندماج في الطبيعة، ووصف مناظرها الخلابة، وذلك أثر من آثار جمال الطبيعة الأندلسية، وتعلق الأندلسيين بطبيعة بلادهم، وانعكاس ذلك على شعرهم سواء من ناحية الألفاظ المنتقاة أو الخيال أو التصوير والتشخيص.

٦ ـ التجديد في الأوزان، وذلك باختراع الموشحات، وسوف نتحدث عن الموشحات حديثًا مفصلاً.

٧ ـ البعد عن المحسنات اللفظية المتكلفة والمبالغة، وبروز التشبيهات الجميلة والاستعارات الدقيقة وحسن التعليل.

والخلاصة أن الأندلسيين قد قلدوا المشارقة، ولكن هذا لم يمنعهم من الابتكار والتفوق في مجالات عديدة ورد ذكرها فيما سبق.

الموشحـــــات

امتاز الأندلسيون على المشارقة باختراع الموشحات، وإن كانت قد انتشرت بعد ذلك في المشرق أيضًا.

والموشح مأخوذ من الوشاح، وهو عقد من لؤلؤ وجوهر منظومين، مخالف بينهما، معطوف أحدهما على الآخر، تتوشح المرأة به. وثوب موشح: أي مطرز مزين.

والموشح في الاصطلاح الأدبي: كلام منظوم على وزن مخصوص بقواف مختلفة، وهو يتألف من ستة أقفال أوخمسة.

ومن أشهر من صنع الموشحات: عبادة بن ماء السماء المتوفي عام ٤٢٤هـ، وهو إمام الوشاحين، ثم جاء بعده عدد ممن أجادوا في هذا الفن من أشهرهم: الأعمى التطيلي، وأبوبكر بن زهر، وابن سهل، ولسان الدين بن الخطيب.

أهم أجـزاء الموشـح ومصطلحـاته.

الموشح يتكون من أجزاء معينة، اصطلح عليها الوشاحون، والتزموها في صنع الموشحات. وأهم هذه الأجزاء هي:

المطلع: وهو مايفتتح به الموشح وهو يتألف من شطرين، أو أربعة.

الدور: هو مايأتي بعد المطلع وقبل القفل، ثم يتكرر بعد كل قفل.
ويشترط في الدور أن يكون على وزن مخالف للمطلع أو القفل وقافيته كذلك، أما الأدوار فيجب أن تتحد فيما بينها في الوزن وعدد الأجزاء.

القفل: وهو يماثل المطلع، ويأتي بعد الدور، ثم يتكرر بعد كل دور. وينبغي أن يتوافق مع المطلع في الوزن والقافية وعدد الأجزاء.

الخرجة: آخر قفل في الموشح، وهي تماثل المطلع والأقفال في الوزن والقافية وعدد الأجزاء.
وعلى هذا فالقفل الذي يأتي في مطلع الموشحة(إن وجد) يسمى المطلع، والقفل الذي يأتي في نهايتها (لابد من وجوده) يسمى الخرجة.

النموذج الأول : **من موشحة لأبي الحسن علي بن مهلل الجلياني :**

يصف فيها الطبيعة .

«المطلع»

النهـرُ سلَّ حُسـامًـا على قُـدودِ الغُـصـونِ

«الدور»

وللنسـيمِ مـجـالُ

والروضُ فـيـه اختـيـالُ

مُـدَّتْ عـليـه ظِـلالُ

«القفل»

والزهرُ شَقَّ كِـمَـامـا وَجْـدًا بتلك اللحـونِ

«الدور»

أمـا ترى الطيـرَ صـاحـا

والصـبـحَ في الأُفْق لاحـا

والزهـرَ في الروضِ فـاحـا

«القفل»

والبـرقَ ساقَ الغَـماما تبـكي بـدمعٍ هَتُـونِ

النموذج الثاني: موشحة لسان الدين بن الخطيب[1]:

«المطلع»

جَـادكَ الغَـيْثُ إذا الغـيثُ هَمَى ... يـازمـانَ الـوصـل بـالأنـدلـس

لـم يـكـن وَصْـلُـكَ إلا حُـلُـمـا ... في الكرى أو خِلْسَـةَ المُخْـتَلِس

«الدور»

إذ يَقُـودُ الدهرُ أشـتـاتَ المُنَى ... تَـنْـقُـلُ الخـطـوَ عـلـى مـا تَـرْسُـمُ

زُمَـرًا بـين فُـرَادى وثُـنَـا[2] ... مـثـلمـا يَدْعُـو الحـجـيجَ المَوْسِمُ

والحَـيَـا قـد جَـلَّلَ الروضَ سَنَا[3] ... فـثـغـورُ الزهر فـيـه تَبْـسِـمُ

«القفل»

وروى النعـمـانُ عن مَـاء السـمـا ... كـيـفَ يـروي مـالـك عـن أنـس[4]

فكسـاه الحُـسْنُ ثَوْبًا مُـعْلَمَـا[5] ... يَـزْدَهـي[6] مـنـه بـأبـهـى مَـلْـبَـسِ

«الدور»

أيُّ شيءٍ لامـرئ قـد خَلُصـا ... فـيـكـونُ الروضُ قـد مَكَّنَ فـيـه

---

(١) نفح الطيب ج٩ ص٢٢٥.
وقد نظم هذا الموشح معارضًا به موشح إبراهيم بن سهل، ومطلعه:
هل درى ظبي الحمى أن قد حمى ... قـلـبَ صَـبٍّ حـلـه عـن مـكـنـس

(٢) زمر: جماعات، فرادى: واحدًا واحدًا. ثنا: اثنين اثنين.

(٣) الحيا: المطر. جلل: غطى.

(٤) في النعمان تورية، إذ المعنى القريب النعمان بن المنذر ملك الحيرة، والمعنى البعيد المراد شقائق النعمان، وهو نوع من الأزهار.
وفي ماء السماء تورية أيضًا، إذ المعنى القريب ماء السماء جدة النعمان بن المنذر، وكان ينسب إليها، فيقال: النعمان بن ماء السماء. والمعنى البعيد المراد المطر.
ومالك هو الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه، ومعنى البيت أن أثر المطر على شقائق النعمان واضح جلي ظاهر كظهور وصدق رواية الإمام مالك عن أنس.

(٥) معلم: أي مطرز منقوش.

(٦) يزدهي: يحسن منظره.

تنهبُ الأزهارُ فيه الفُرَصا ... أمِنَتْ من مَكْره ما تَتَّقيه
فإذا الماءُ تناجى والحصا ... وخلا كلٌّ خليلٍ بأخيه

«القفل»

تبصر الوردَ غيوراً بَرِما ... يكتسي من غيْظه ما يكتسي
وترى الآسَ لبيباً[1] فَهِمَا ... يَسْرِقُ السمعَ بأذني فَرَسِ

«الدور»

ما القلبي كلما هَبَّ صَبَا ... عاده عيدٌ من الشوق جديدْ
جلب الهمَّ له والوَصَبا ... فهو للأشجان في جَهْد جَهيدْ
كان في اللوح له مكتتبا ... قوله: «إنّ عذابي لشديد»

«القفل»

لاَعِجُ في أضلعي قد أُضْرِما ... فهي نار في هشيم اليَبَسِ
لم يدع في مهجتي إلا ذَمَا[2] ... كبقاء الصُبْحِ بعد الغَلَسِ

«الدور»

سلِّمي يانفسُ في حكم القضا ... واعْمُري الوقت برُجْعى ومتاب[3]
ودعي ذكرَ زمان قد مضى ... بين عُتْبَى قد تقضَّت وعتابْ
واصْرِفي القول إلى مولى الرِّضى ... ملهم التوفيق في أم الكتاب

«القفل»

الكريم المُنتَهَى والمُنْتَمَى ... أسد السرج وبدر المجلسِ
ينزل النصر عليه مثلما ... ينزل الوحي بروح القُدُسِ

(١) الآس: الريحان، شبه شجر الآس بالرجل الحذر العاقل الذي لايغفل عن استراق الأمور وفهمها، أو شبهه بالرقيب المتنبه ليستمع الأخبار

(٢) الذما: مقصور الذماء، وهو بقية الروح في البدن. والغلس: الظلام.

(٣) الرجعى: الرجوع إلى الله. والمتاب: التوبة إليه.

«الـدور»

مـــصطفى الله[1] سَـــميُّ المصطفى ... الـغـنـي بـالـلـه عـن كـل أحـــــــــدْ
مَنْ إذا مـــاعَـــقَـــدَ العـــهـــدَ وَفَى ... وإذا مَـــاقَـــبُحَ الخَطْبُ عَـــقَـــدْ
مِنْ بني قـــيس بن ســـعـــد وكـــفى ... حـيث بيتُ النصـر[2] مـرفـوعُ العُـمَـدْ

«القفـل»

حـيث بيت النصـر مـحـميُّ الحـمى ... وجنى الـفـــضـلَ زكيُّ المَغْـــرَس
والهـــوى ظِلٌّ ظليل خَـــيِّـــمـــا ... والـنـدى هـبَّ إلى المغـــتـــرسِ

«الـدور»

هَاكَـــهـــا ياســبْط أنصـــار العُـــلا ... والـذي إن عَـــثَـــرَ الدهرُ أقـــالْ
غـــادة ألْبَـــسَـــهـــا الغـــصنُ مُـــلا[3] ... تبْـــهَـــرُ العينَ جـــلاَءً وصـــقَـــالْ
عـــارضتْ لفظًا ومـــعنىً وحُلى ... قـــول من أنطقـــه الحبُّ فـــقـــالْ

«الخرجـة»

هل درى ظَبْيُ الحـمى أن قـد حَـمى ... قـلـبَ صَـبٍّ حـلـه عـن مـكـنـس
فـــهـــو في حَـــرٍّ وخَـــفْقٍ مـــثلمـــا ... لعـــبتْ ريحُ الصـــبـــا بالقَـــبَس[4]

---

(١) مصطفى الله: الرجل الذي اصطفاه الله للحكم، وهو محمد بن الأحمر حاكم غرناطة. والممدوح بذلك الموشح. وسميّ المصطفى: أي اسمه محمد، فهو سميٌّ للمصطفى ﷺ

(٢) بيت النصر: الأمير محمد بن الأحمر من أسرة تسمى بني نصر، وتسمى دولتهم بالدولة النصرية، أو بني الأحمر حكام غرناطة.

(٣) غادة: يشبه الموشحة بالغادة الحسناء في جمالها. الملا: جمع ملاءة، وهي القطعة الرقيقة الناعمة من القماش.

(٤) خرجة موشحة ابن الخطيب هي مطلع موشحة ابن سهل.

مناقشة

١ ـ تحدث عن الحياة الثقافية والاجتماعية في العصر الأندلسي، وما تأثيرها على الأدب؟

٢ ـ ما أغراض الشعر التي تميز وأبدع فيها شعراء الأندلس وتفوقوا فيها على أهل المشرق، مع إيراد نماذج لذلك.

٣ ـ لماذا يعد غرض رثاء المدن والممالك الزائلة في الشعر الأندلسي من أقوى الأغراض، ويعد شعر الفخر من أضعفها؟ استشهد لذلك.

٤ ـ تميز الشعر الأندلسي بسمات في ألفاظه ومعانيه وأخيلته، اذكر أربعاً منها.

٥ ـ ما هو الموشح في الصطلاح الأدباء، ومن أ ول من اخترعه؟ ومن أشهر من أجاده من الشعراء؟ ثم اذكر أجزاء الموشح إجمالاً.

دراسة مفصلة لشاعرين من العصر الأندلسي.

١ - ابن زيـــدون

(٣٩٤هـ-٤٦٣هـ)

أبو الوليد، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي. ولد بقرطبة عام ٣٩٤هـ. وكان والده قاضيًا في قرطبة، ومن أهل اليسار والمكانة، فعنى بتربية ابنه وتعليمه، فحفظ القرآن الكريم، وروى الحديث الشريف، وطلب الفقه، وتعمق في الأدب، فكان يحفظ الشعر الكثير في صغره، ويُعنى بأمثال العرب وحكمهم وتاريخهم، مما كان له أكبر الأثر في شعره ونثره.

وفي أشبيلية استقبله حاكمها المعتضد بن عباد أحسن استقبال، وعينه وزيرًا له، ولقبه بذي الوزارتين أيضًا.

ثم توفي المعتضد وتولى الحكم بعده في إشبيلية ابنه الشاعر المشهور المعتمد بن عباد، فقرب ابن زيدون، وعرف له مكانته العلمية والأدبية. كيف لا وهو شاعر مثله؟ ومع ذلك فقد حاول الحساد الإيقاع بينهما، وتولى كبر ذلك الشاعر الأندلسي ابن عمار، ولكن المعتمد بن عباد ظل محافظًا على صديقه ابن زيدون حتى توفي في إشبيلية في ١٥ رجب ٤٦٣هـ.

شعـــره:

ابن زيدون أعظم شعراء الأندلس شأنًا وأجلهم مقامًا، وقد قال الشعر في أغراض كثيرة كالغزل والمدح والرثاء والاستعطاف ووصف الطبيعة، وقد كان في مدحه لحكام الأندلس يركز على معاني الشجاعة والقوة، وكان يضع نفسه في مصاف ممدوحيه على طريقة المتنبي، لما كان يمتاز به من عزة النفس ورفعة الشأن.

وكذلك الأمر في قصائد الاستعطاف التي كتبها أثناء سجنه أو فراره من قرطبة، فقد كانت تعبر عن نفس أبية، لم تستطع القيود والسجون والتشرد أن تهزم كبرياءها، أو تلين قناتها، أو تذل صاحبها.

ويشغل فن الغزل حَيِّزًا كبيرًا من ديوان الشاعر.

أما شعر الطبيعة فقد رسم ابن زيدون لطبيعة الأندلس الجميلة أحلى الصور وأكثرها تعبيرًا وروعة.

نثر ابن زيدون:

لم يكن نبوغ ابن زيدون مقصورًا على الشعر، بل كان له في النثر باع طويل، حتى عده النقاد من كبار الكتاب في الأندلس.

وقد تأثر نثر ابن زيدون بشاعريته، فكان نثراً كالشعر، فيه الألفاظ المنتقاة والخيال المجنح والعاطفة المشبوبة.

ولابن زيدون رسائل إخوانية ورسائل سلطانية كتبها لابن جهور وغيره عندما كان وزيراً في قرطبة.

وأشهر نثر ابن زيدون رسالتاه: الجدية والهزلية.

والرسالة الجدية كتبها من سجنه في قرطبة، ووجهها إلى حاكمها أبي الحزم ابن جهور، يعتذر فيها إليه، ويبين له أنه قد دخل السجن ظلماً، وأنه ضحية الوشاة والحاقدين.

وقد كشفت لنا تلك الرسالة عن نفسية ابن زيدون، وأنه لم يضعف في السجن، بل ظل معتزاً بمكانته وأدبه.

أما الرسالة الهزلية فقد كتبها في التهكم بالوزير ابن عبدوس وبيان معايبه وجهله، وهي شبيهة برسالة التربيع والتدوير للجاحظ.

وتمتاز هاتان الرسالتان الأدبيتان بالطول وكثرة الاستشهاد بالشعر والحكم والأمثال والإشارات التاريخية والاقتباس من القرآن الكريم.

مختارات من شعر ابن زيدون

١ قال في الغزل:

إنّي ذَكَرْتُكِ بالزهراء مُشْتَاقا ... والأفْقُ طَلْقٌ ووجهُ الأرض قد راقا[1]

وللنَّسيم اعْتلالٌ في أصائله ... كأنه رَقَّ لي فاعتلَّ إشْفاقَا

والروض عن مائه الفضي مُبْتَسِمٌ ... كما شَقَقْتَ عن اللَّبَّات أطْواقَا[2]

نَلْهو بما يَسْتَميلُ العينَ من زهرٍ ... جَال الندى فيه حتى مالَ أعْناقا[3]

كأن أعْيُنَه إذ عَايَنَتْ أرَقِي ... بَكَتْ لما بي فَجَال الدَّمْعُ رَقْرَاقا

(١) الزهراء: ضاحية من ضواحي قرطبة الجميلة.

(٢) اللبات: جمع لبة: موضع القلادة من الصدر.

(٣) أعناقا منصوب على التمييز.

٢ وقال في الشكوى والاستعطاف:

مـــــــــاعـلـى ظَـنِّـي بـــــاسُ ... يـجـــــرح الـدهـرُ ويـاسُـــــو[١]

رُبَّـمـــــــا أشـــــرف بـالمـر ... ء عـــلـى الآمـــــــــال يَـاسُ

ولـقـــــد يُـنْجـيـكَ إغْـــفَـــا ... لٌ ويُـرْديـكَ احـــــتـــــراس

والمحـــــاذيرُ ســـــهَـــامٌ ... والمقـــــاديرُ قـــيَـــاسُ[٢]

وَلَـكَـم أجْـــــدى قُـــعُـــودٌ ... ولـكـم أكْـــدى التـــمَـــاسُ[٣]

وكـــــذا الـدهـرُ إذا مـــــا ... عَـــــــــزَّ نَـاسٌ ذَلَّ نَـاسُ

وبـنـو الأيـام أخْـــيَـــا ... فٌ: سَـــراةٌ وخـــسَـــاسُ[٤]

نَـلْـبَـسُ الـدنـيـــــا ولـكـن ... مُـــتْـــعَـــةٌ ذاك اللِّبـــاسُ

يـا أبـا حـــفـص ومـــا سـا ... كَ فـي فَـــــهْـمٍ إيـاسُ[٥]

مـن سـنـا رأيـك لـي فـي ... غَـسَـقِ الخَطْبِ اقـتـبـاسُ[٦]

وَوِدَادي لـــك نَـــصٌّ ... لـم يُـخـالـفَـه قـيَـاسُ

أنـا حَـيـــران ولـلأمـ ... ـر وُضُـوحٌ والْـتِـبَـاسُ

إن قَـسَـا الـدهـرُ فَـلـلْـمَـا ... ءِ من الصَّـخْـرِ انبـجَـاسُ[٧]

ولـئـن أمـسـيتُ مَـحْـبُـو ... سًـا فـللغَـيْـثِ احـتِـبَـاسُ

(١) ياسو: أي يأسو، يداوي الجرح.

(٢) المحاذير: جمع محذور، أي مايحذره الإنسان. قياس: جمع قوس.

(٣) أجدى: نفع. أكدى: أتعب.

(٤) أخياف: أي مختلفون، مأخوذ من قولهم: إخوة أخياف، أي أمهم واحدة وآباؤهم متعددون. والسراة: الأمجاد. والخساس: الساقطون.

(٥) أبو حفص: الشخص الذي وجه ابن زيدون القصيدة له طالبًا مساعدته في الخلاص من السجن. وهو أبو حفص بن برد الوزير الكاتب وكان صديقًا لابن زيدون. وإياس: القاضي إياس يضرب به المثل في الذكاء.

(٦) السنا: الضياء. الغسق: الظلمة.

(٧) انبجاس: انبجس الماء: تفجر.

٣ وقال في قصيدة بعث بها من السجن إلى الوزير أبي الحزم ابن جهور :

مَنْ يَسْأَلِ النّاسَ عَنْ حالي فَشاهِدُها ... مَحْضُ العِيانِ الذي يُغْني عَنِ الخَبَرِ

لَمْ تَطْوِ بُرْدَ شبابي كَبْرَةٌ، وأرى ... بَرْقَ المشيبِ اعتلى في عارض الشَعَرِ[١]

قبل الثلاثين، إذْ عَهْدُ الصِّبا كَثَبٌ ... وللشبيبةِ غُصنٌ غَيْرُ مُهْتَصَرِ[٢]

ها إنّها لوعةٌ، في الصدرِ، قادحةٌ ... نارَ الأسى، ومشيبي طائرُ الشررِ

لايُهْنِىءِ الشامتَ المرتاحَ خاطِرُهُ ... أنّي مُعَنَّى الأماني ضائعُ الخَطَرِ[٣]

هَلِ الرِّياحُ بنجمِ الأرْضِ عاصِفَةٌ ... أم الكسوف لغير الشَّمْسِ والقمرِ[٤]

إنْ طَالَ في السِّجْنِ إيداعي فلا عجبٌ ... قَدْ يُودَعُ الجَفْنَ حَدُّ الصارم الذكرِ[٥]

وإنْ يُثَبِّطْ أبا الحزم الرضى، قَدَرٌ ... عَنْ كَشْفِ ضُرّي فلا عَتْبٌ على القدرِ[٦]

قَدْ كنتُ أحسبُني والنَّجْمُ في قَرَنٍ ... فَفيمَ أصبحتُ مُنْحَطًا إلى العَفَرِ؟[٧]

هَبْني جَهِلْتُ فكان العِلْقُ سَيِّئَةً ... لاعُذْرَ منها سوى أني من البَشَرِ[٨]

---

(١) برد : ثوب. العارض : صفحة الخد أو جانب الوجه.

(٢) كثب: قريب. مهتصر: مكسور من غير انفصال.

(٣) المعنَّى: المتعب. الخطر: المقام والمنزلة.

(٤) نجم الأرض: كل ما نبت على وجه الأرض على غير ساق، وتسطَّح فلم ينهض.

(٥) الجفن: غمد السيف. الذكر: السيف الصلب القوي.

(٦) يثبط: يوقف ويشغل ويرد.

(٧) القرن: الحبل. العَفَر: طاهر التراب.

(٨) العِلْق: الشيء النفيس.

٢ ـ ابن خفاجة

٤٥٠هـ-٥٣٣هـ

أبو إسحاق، إبراهيم بن خفاجة الأندلسي، ولد عام ٤٥٠هـ في جزيرة (شقر) التابعة لبلنسية، وعاش في عصر ملوك الطوائف، وقد انقطع لحياة الترف والشعر، لذلك لم يشارك في الأحداث المضطربة التي مرت بها الأندلس في عصره إلا بقليل من المديح أو الرثاء لبعض الشخصيات.

وقد كانت جزيرة (شقر) التي عاش فيها الشاعر من أجمل بقاع الدنيا، وقد هام الشاعر بحبها، وصرف شعره لوصف طبيعتها الساحرة، حتى إن من يقرأ ديوانه يجد الوصف هو السمة الغالبة عليه حتى قصائد المدح مثلاً أو الرثاء لابد أن تجد فيها وصفًا للطبيعة.

ويقال: إن ابن خفاجة قد خرج من بلده لأمر من أموره، لكنه لم يقدر على الفراق بل حن إليها وقال:

ألا هلْ إلى أهل الجزيرة أوبْةٌ ... فأسكن أنفاسًا وأهدأ مضجعا؟

وتقدمت به السن، وتاب عن حياة اللهو والعبث:

أي عيش أو غذاء أو سِنَه ... لابن إحدى وثمانين سنه؟

وتوفي عام ٥٣٣هـ.

شعره:

اشتهر ابن خفاجه بالوصف، وقد تناول في وصفه كل مظاهر الطبيعة الجميلة في الأندلس؛ فوصف الأنهار والجبال والسهول، ووصف المطر والبرق والرعد، وأكثر من وصف الأزهار والأنهار.

ولم يكن الوصف مجردًا عن الإحساس أو الاندماج في الطبيعة، بل كان يصف الشيء ويصف أحاسيسه وعواطفه نحوه. وليس معنى هذا أنه أقدر شعراء الأندلس على الوصف أو أعظمهم إبداعًا. لكنه بدون شك أكثر شعرًا في هذا المجال.

وله قصائدومقطوعات في المدح والرثاء والغزل.

ويلاحظ على شعره الإكثار من المحسنات البديعية كالجناس والطباق والتورية، وله نثر أيضًا لكنه نثر متكلف.

نماذج من شعره

١ قال في الموت:

ألا صَمَّتِ الأجداث عني فلم تُجب ... ولم يُغْنِني أني رفعتُ لها صوتي

فياعجبًا لي كيف آنسُ بالمُنى ... وغاية ما أدركتُ منها إلى الفَوْتِ؟!

وهل من سرورٍ أو أمانٍ لعاقلٍ ... ومفضى عبور العابرين إلى الموت؟!

٢ وقال يتشوق إلى الأندلس:

أجبتُ وقد نادى الغمامُ فأسمعا ... عشيةَ غنّاني الحَمَامُ فَرَجّعَا

فقلتُ ولي دمعٌ ترقرقَ فَانْهَمَى ... يسيلُ وصَبْرٌ قد وَهَى فتضعضعا:

ألا هلْ إلى أرض الجزيرة أوْبةٌ ... فأسكن أنفاسًا وأهدأ مضجعا؟

وأغدو بواديها وقد نَضَحَ الندى ... مَعَاطفَ هاتيك الرُّبَا ثم أقْشَعَا

أغازل فيها للغَزَالَة سنة ... تحط الصبا عنها من الغيم بُرْقُعَا

وقد فَضَّ عِقْدَ القَطْرِ في كل تَلعةٍ ... نَسيمٌ تَمَشَّى بينها فَتَضَوَّعَا

وبات سَقِيْطُ الطَلِّ يضرب سرحة ... ترف بواديها وينضحُ أجْرَعَا

وأين فِنَا دارٍ إليَّ حبيبةٌ ... وحسبك مُصْطَافًا هناك ومَرْبَعَا

لقد تركتني بين جفنٍ جَفَا الكرى ... وَجَنْبٍ تَقَلَّى لايلائم مَضْجَعَا

أقلبُ طَرْفِي في السماء لعلني ... أشِيمُ سنا بَرْقٍ هناك تَطَلَّعَا

٣ قال يصف نهرا:

لله نَهْرٌ، سَالَ في بَطْحَاء ... أشهى وُرودًا من لَمى الحسناء[1]

مُتَعَطِّفٌ مثلُ السِّوار كأنه ... والزهرُ يَكْنُفُهُ مَجَرُّ سَمَاءِ[2]

---

(١) لمى: اللمى: سمرة مستحبة في الشفاه.

(٢) يكنفه: يحيط به، شبه النهر والأزهار حوله بالمجرة تحف بها النجوم.

قد رَقّ حتى ظُنّ قُرصًا مُفْرَغًا ... من فضّة، في بُرْدَة خَضْراء[1]

وغدت تَحُفُّ به الغصونُ كأنها ... هُدْبٌ[2] يَحُفُّ بمُقْلَة زرقاء

والريحُ تَعْبَثُ بالغصون، وقد جَرَى ... ذَهَبُ الأصيل على لُجَيْنِ الماء[3]

٤ وقال يصف الجبل:

وأرْعَنَ طَمّاحِ الذُّؤابة باذخٍ ... يُطَاولُ أعنانَ السماء بغَارب[4]

يَسُدُّ مهبَّ الريح عن كل وجْهَة ... ويَزْحَمُ ليلاً شهبَهُ بالمناكب

وقُورٌ على ظَهْرِ الفَلاة كأنه ... طَوالَ الليالي مُطْرِقٌ في العواقب

يَلُوثُ عليه الغيمُ سودَ عمائم ... لها من وَمِيْض البرق حُمْرُ ذوائب[5]

أصخْتُ[6] إليه وهو أخرسُ صامتٌ ... فَحَدَّثَني ليل السُّرى بالعجائب

وقال ألا كم كنتُ ملجأ فاتكٍ ... ومَوْطنَ أوّاه تَبَتَّلَ تائب[7]

وكم مرَّ بي من مُدْلجٍ ومُؤوِّب ... وقَالَ بظلّي من مَطِّي وراكب[8]

ولاطَمَ من نُكْبِ الرياح مَعَاطِفي ... وزاحم مِنْ خُضْرِ البحار جوانبي

فما كان إلاّ أن طوتْهم يَدُ الردى ... وطارت بهم ريحُ النَّوَى والنوائب

(١) شبه مياه النهر بقرص الفضة، وشبه ما يحيط به من نبات بثوب أخضر.

(٢) الهدب : شعر الأجفان.

(٣) ذهب الأصيل: أي أصيل كالذهب. والاصيل: الوقت بين العصر والمغرب. لجين الماء: أي ماء كاللجين، أي كالفضة في البياض والصفاء.

(٤) الأرعن: الجبل المرتفع. والطماح: المرتفع.، والباذخ: العالي. والغارب: الكاهل.

(٥) يلوث: يلف. الذوائب: جمع ذؤابة وهي الناصية.

(٦) أصاخ له: استمع وأصغى.

(٧) فاتك : شجاع جريء. الأواه: التائب من الذنوب. تبتل: تاب وانقطع للعبادة

(٨) المدلج : السائر بالليل. المؤوب: السائر بالنهار. قال: قال يقيل قيلولة: نام وقت القائلة، وهي منتصف النهار.

فـمـا خَـفْقُ أيكي غـيـرُ رَجْـفَـة أضلع ... ولا نَوْحُ وُرْقي[1] غـيـرُ صَـرْخَـة نادب

ومـا غَـيَّضَ السُلوانُ دمـعي وإنما ... نزفتُ دمـوعي في فـراق الأصـاحب

فـحـتى مـتى أبْقَى ويَظْعَنُ صـاحبٌ ... أوَدِّعُ منه راحـلاً غـيـر آيب

وحـتى مـتى أرْعَى الكواكبَ سـاهرًا ... فَـمِنْ طالعٍ أخـرى الليـالي وغـارب

فـرُحْـمَـاكَ يامـولاي دَعْـوَةَ ضـارع ... يَمُـدُّ إلى نعْـمَـاك راحـةَ راغب

(١)الورق: جمع ورقاء، وهي الحمامة التي يضرب لونها إلى الخضرة.

النثر الأندلسي ونماذج له

أغراضه وفنونه وسماته.

تأثر النثر في الأندلس بالنثر في المشرق العربي، ولذلك يلاحظ الباحث أن أي تطور في النثر المشرقي أو تجديد فيه لابد أن تنعكس آثاره على أهل الأندلس، فإذا كنا قد تعرفنا عند دراستنا للنثر العباسي على طريقة الجاحظ وابن العميد وبديع الزمان، فإننا سنجد أصداء ذلك في الأندلس.

وقد امتاز كثير من كتاب الأندلس بجمعهم بين الشعر والنثر كابن زيدون وابن شهيد وابن برد ولسان الدين بن الخطيب، فكان لهذا الجمع بين الفنَّيْنِ أثره في صبغ النثر بالصبغة الشعرية، مما أعطاه جمالاً ورقة وحسن اختيار للألفاظ والأساليب.

الخطـــابة.

عندما دخل العرب الأندلس فاتحين كانوا بطبيعتهم ميالين إلى الخطابة، ثم إن عصر الولاة كان عصر اضطراب وحروب وصراع بين العصبيات العربية، فكان ذلك داعيًا إلى ازدهار الخطابة في الأندلس في ذلك العصر، فكانت الوسيلة الفعالة في إشعال الحروب وتأييد العصبية القبلية عندما تكون الحروب والنزاعات بين العرب العدنانيين والقحطانيين، وكانت الوسيلة فعالة في الحث على الجهاد وقتال الكفار عندما تكون الحروب ضد نصارى الأندلس.

وكانت الخطابة في تلك الفترة تتميز بالسهولة والوضوح والإيجاز والبعد عن التكلف؛ لأن الخطباء من الولاة والأمراء والقادة كانوا عربًامطبوعين على الخطابة والارتجال.

ولكن عندما استقرت الأمور ومال الناس إلى الدعة ضعفت الخطابة وتفوق الشعر والنثر الفني عليها، وإن كانت الخطابة الدينية قد ازدهرت بفضل بعض العلماء الذين كانوا يجيدونها كالقاضي منذر بن سعيد البلوطي.

وعندما عادت الأندلس إلى عصر الاضطراب والحروب في عهد ملوك الطوائف والمرابطين والموحدين كانت المَلَكَةُ والسليقة العربية قد ضعفت، فلم تزدهر الخطابة من جديد مع وجود دواعي الازدهار، بل دخلها كثير من الصنعة اللفظية وامتلأت بالسجع المتكلف فضعفت، ولم يعد لها تأثير يذكر.

وأشهر خطباء الأندلس: طارق بن زياد فاتح الأندلس، والأمير عبد الرحمن الداخل مؤسس الحكم الأموي في الأندلس، ومنذر بن سعيد البلوطي، والقاضي عياض، ولسان الدين بن الخطيب.

نماذج للخطابة

(١) خطبة طارق بن زياد فاتح الأندلس[١]:

« أيها الناس، أين المفر، البحر من ورائكم، والعدو أمامكم، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر. واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه، وأقواته موفورة وأنتم لاوزر[٢] لكم إلا سيوفكم، ولا أقوات لكم إلا ماتستخلصونه من أيدي أعدائكم.

وإن امتدت لكم الأيام على افتقاركم، ولم تنجزوا لكم أمرًا، ذهبت[٣] ريحكم، وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة[٤] هذا الطاغية، فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة.

وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت، وإني لم أحذركم أمرًا أنا عنه بنجوة[٥]، ولا حملتكم على خطة أرخص فيها متاع النفوس إلا وأنا أبدأ بنفسي، واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلاً استمتعتم بالأرْفه الألذّ طويلاً، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي، فما حظكم فيه بأوفى من حظي.

---

(١) نفح الطيب للمقري ج١ ص٢٢٥.

(٢) الوزر: الملجأ والمكان الذي تحتمون به، والمراد هنا السلاح.

(٣) ذهبت ريحكم: ذهبت قوتكم.

(٤) المناجزة: سرعة المقاتلة والاشتباك.

(٥) نجوة: منجاة. أي إنني معكم في هذا الأمر الخطير.

وقد بلغكم ماأنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان الرافلات في الدر والمرجان، والحلل المنسوجة بالعقيان[1] والمقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان. وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عزبانا[2]، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهاراوأختانا[3] . . . ليكون حظه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته، وإظهار دينه بهذه الجزيرة، وليكون مغنمها خالصًا لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم، والله تعالى ولي إنجادكم على مايكون لكم ذكرًا في الدارين.

واعلموا أني أول مجيب إلى مادعوتكم إليه، وأني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم (لذريق) فقاتله إن شاء الله تعالى، فاحملوا معي، فإن هلكت بعده فقد كفيتكم أمره، ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم إليه، وإن هلكت قبل وصولي إليه فاخلفوني في عزيمتي هذه، واحملوا بأنفسكم عليه، واكتفوا الهمَّ من فتح هذه الجزيرة بقتله، فإنهم بعده يُخْذلون».

(٢) خطبة الأمير عبد الرحمن بن الحكم بعد وفاة والده ومبايعة الناس له[4]:

«الحمد لله الذي جعل الموت حتمًا من قضائه، وعزمًا من أمره، وأجرى الأمور على مشيئته، فاستأثر بالملكوت والبقاء، وأذل خلقه فما لهم من نجاة من الفناء، تبارك اسمه وتعالى جده، وصلى الله على محمد نبيه ورسوله وسلم تسليمًا، وكان مصابنا بالإمام - رحمه الله - مما جلت به المصيبة وعظمت به الرزية، فعند الله نحتسبه، وإياه نسأل إلهام الصبر، وإليه نرغب في كمال الأجر والذخر. وعهد إلينا فيكم بما فيه صلاح أحوالكم، ولسنا ممن يخالف عهده، بل لكم لدينا المزيد إن شاء الله».

(٣) ومن خطبة منذر بن سعيد البلوطي[5] عندما حضر إلى قصر عبد الرحمن الناصر رسل ملك الروم:

أما بعد حمد الله والثناء عليه، والتعداد لآلائه، والشكر لنعمائه، والصلاة والسلام على محمد صفيه وخاتم أنبيائه، فإن لكل حادثة مقامًا، ولكل مقام مقالا، وليس بعد الحق إلا الضلال، وإني قد

---

(١) العقيان: الذهب.

(٢) عزبان: جمع أعزب وعازب أي الذي لم يتزوج. .

(٣) أصهار: جمع صهر، القريب وزوج بنت الرجل أو أخته أختان: جمع ختن، وهو أبو امرأتك أو أخوها. فالأحماء من قبل الزوج، والأختان من قبل الزوجة، والأصهار تجمعهما.

(٤) البيان المغرب للمراكشي ج٢ ص١٣٥.

(٥) منذر بن سعيد البلوطي قاضي قرطبة وإمام جامعها في عهد عبد الرحمن الناصر، ومن أشهر خطباء الأندلس وقضاتها، توفي عام ٣٥٥هـ. والخطبة في نفح الطيب للمقري ج١ ص٣٤٥.

قمت في مقام كريم، بين يدي ملك عظيم، فأصغوا إليّ معشر الملأ بأسماعكم، وافقهوا عني بأفئدتكم.

إن من الحق أن يقال للمحق صدقت، وللمبطل كذبت، وإن الجليل تعالى في سمائه وتقدس بصفاته وأسمائه، أمر كليمه موسى صلى الله على نبينا وعليه وعلى جميع أنبيائه أن يُذكِّر قومه بأيام الله جل وعز عندهم، وفيه وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة.

وإني أذكركم بأيام الله عندكم، وتلافيه لكم بخلافة أمير المؤمنين التي لمت شعثكم[1] وأمنت سربكم[2]، ورفعت قوتكم، بعد أن كنتم قليلاً فكثركم، ومستضعفين فقواكم، ومستذلين فنصركم، ولاه الله رعايتكم، وأسند إليه إمامتكم، أيام ضربت الفتنة سرادقها على الآفاق، وأحاطت بكم شعل النفاق، حتى صرتم في مثل حدقة البعير[3]، من ضيق الحال ونكد العيش والتغيير، فاستبدلتم بخلافته من الشدة بالرخاء، وانتقلتم بيمن سياسته إلى تمهيد كنف العافية بعد استيطان البلاء.

أنشدكم بالله معاشر الملأ: ألم تكن الدماء مسفوكة فحقنها، والسبل مخوفة فأمنها، والأموال منتهبة فأحرزها وحصنها؟ ألم تكن البلاد خرابًا فعمرها، وثغور المسلمين مهتضمة فحماها ونصرها؟ فاذكروا آلاء الله عليكم بخلافته، وتلافيه جمع كلمتكم بعد افتراقها بإمامته، حتى أذهب الله عنكم غيظكم وشفى صدوركم، وصرتم يدًا على عدوكم، بعد أن كان بأسكم بينكم.

فاستعينوا على صلاح أحوالكم بالمناصحة لإمامكم، والتزام الطاعة لخليفتكم وابن عم نبيكم، صلى الله عليه وسلم، فإن من نزع يدًا من الطاعة، وسعى في تفريق الجماعة، ومرق من الدين، فقد خسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين وقد علمتم ماأحاط بكم في جزيرتكم هذه من ضروب المشركين، وصنوف الملحدين، الساعين في شق عصاكم، وتفريق مَلاكُم[4]، الآخذين في مخاذلة دينكم، وهتك حريمكم، وتوهين دعوة نبيكم، صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع النبيين والمرسلين. أقول قولي هذا، وأختم بالحمد لله رب العالمين، مستغفرًا الله الغفور الرحيم، فهو خير الغافرين».

---

(١) الشعث: انتشار الأمر. ولم الله شعثكم: أي جمع أمركم ووحدكم.

(٢) السرب: يطلق على النفس، ويطلق على قطيع القطا والظباء والوحش والنساء. والمعنى أن خلافة الناصر قد أمنت نفوسكم، وحمت جماعتكم، وأمنت طرقكم ومسالككم.

(٣) حدقة البعير: مثل يضرب في حقارة الشيء وقلته وصغره.

(٤) ملاكم: ملئكم بالهمز وهم الجماعة.

الكتابة الأدبية .

كانت الكتابة الأدبية في عصر الولاة وبداية الحكم الأموي محددة الأغراض، لاتتعدى القدر الذي تدعو إليه ضرورات الحياة كالمكاتبات الرسمية والعهود والرسائل الإخوانية .

وكان أسلوبها يتسم بالوضوح والبعد عن التكلف والصناعة اللفظية .

ثم هبت رياح الصناعة اللفظية والتكلف من الشرق على الأندلس، فوجد من كتاب الأندلس من قلد ابن العميد والصاحب بن عباد والقاضي الفاضل وغيرهم .

ويمكننا أن نقسم الكتابة الأدبية إلى أربعة أنواع :

١ ـ الرسائل الديوانية .

وهي الرسائل الرسمية التي تصدر من ديوان الخليفة أو الوالي إلى ولاة الأقاليم أو قادة الجيوش أو إلى الأعداء الخارجين على السلطة، وتشمل أيضا كتابة العهود والمواثيق وما إلى ذلك . ويقال لها أيضًا : الرسائل السلطانية، وكان الخلفاء يختارون لها كبار الأدباء . ولأن هذا النوع من الكتابة يتعلق بالأمور الرسمية؛ فإن الخيال والإبداع الأدبي فيها محدود .

ومن كتاب الرسائل السلطانية : ابن زيدون، وابن برد الأصغر، ولسان الدين بن الخطيب .

٢ ـ الرسائل الإخوانية .

وهي الرسائل التي تدور بين الإخوان والأصدقاء للتهنئة أو التعزية أو الشوق أو الشكر أو العتاب . . . وهي ميدان فسيح للإبداع والتأنق، خصوصًا إذا كانت بين أديبين يريد كل واحد منهما أن يظهر براعته للآخر، وأن يرتفع بمستوى رسالته إلى آفاق سامية من الجمال والإبداع .

ولأدباء الأندلس رسائل إخوانية كثيرة أجادوا فيها وأبدعوا، منها القصير وهو الغالب، ومنها الطويل الذي يستوعب عدة صفحات .

ومن أشهر كتاب هذا النوع من الرسائل : ابن زيدون، وابن برد الأصغر، والفتح ابن خاقان، ولسان الدين بن الخطيب .

٣ ـ المناظـــرات .

أجاد الأندلسيون في المناظرات الأدبية والمفاضلة بين الأشياء الواقعية، كالمفاضلة بين المشرق والأندلس، أو بين مدن الأندلس كقرطبة وطليطلة مثلاً، والخيالية كالمناظرة بين السيف والقلم، وبين أنواع الورود أو الفواكه.

والمناظرات الأدبية ميدان فسيح للإبداع، وقد أكثر الأندلسيون من عقد المناظرات والمقارنات بين الأندلس وبلدان المشرق دفاعًا عن بلدهم ضد من اتهم الأندلس بالتقليد والتبعية للمشرق في كل شيء، كما فعل الإمام ابن حزم في كتابه: « فضائل الأندلس»، وكما فعل أبو الوليد إسماعيل الشقندي أيضًا.

ومن المناظرات ماكان يقوم بين مدن الأندلس نفسها، كما في رسالة الأديب أبي بحر بن إدريس إلى الأمير عبد الرحمن بن يوسف الموحدي، والتي بناها على مناظرة بين مدن الأندلس، حيث يحكي مفاخر كل مدينة أندلسية، وما تمتاز به على المدن الأخرى، وأنها أولى بإقامة الأمير فيها من غيرها.

ومن المناظرات الخيالية المناظرة التي عقدها ابن برد الأصغر بين السيف والقلم (انظر النماذج).

نماذج للكتابة الأدبية.

(١) من الرسائل الديوانية رسالة كتبها لسان الدين بن الخطيب[١] على لسان السلطان محمد الغني بالله بن الأحمر حاكم غرناطة:

«أيها الناس، ضاعف الله بمزيد النعم سروركم، وتكفل بلطفه الخفي في مثل هذا القطر الغريب أموركم.

أبشركم بما كتب به سلطانكم السعيد إليكم، المترادفة بيمنه وسعادته نعم الله عليكم، أمتع الله الإسلام ببقائه، وأيده على أعدائه، ونصره في أرضه بملائكة سمائه.

---

(١) لسان الدين بن الخطيب: محمد بن عبد الله الغرناطي الأندلسي الشهير بلسان الدين، ولد عام ٧١٣هـ، كاتب أديب مؤلف، وكان وزيرًا للسلطان أبي الحجاج يوسف بن الأحمر ثم لابنه الغني بالله. وكان ابن الخطيب يلقب بذي الوزارتين، وتوفي في فاس عام٧٧٦. وله مؤلفات كثيرة/، منها: الإحاطة في أخبار غرناطة، واللمحة البدرية في أخبار الدولة النصرية.

وانظر في ترجمته: نفح الطيب للمقري، وقد ألف المقري هذا الكتاب الكبير ليترجم فيه لابن الخطيب ثم توسع فيه، واسم كتاب نفح الطيب كاملاً: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب.

وأن الله تعالى فتح له الفتح المبين، وأعز بحركة جهاده الدين، وبيض وجوه المؤمنين، وأظفره بطرير[1] البلد الذي فجع المسلمين بأسرهم فجيعة تثير الحمية، وتحرك النفس الأبية، فانتقم الله تعالى منهم على يده، وبلغه من استئصالهم غاية مقصده، فصدق أمن الله تعالى لأوليائه، وعلى أعدائه الوعد والوعيد، وحكم بإبادتهم المبدئ والمعيد، « وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد».

وتحصل من سبيه بعد مارويت السيوف من دمائهم آلاف عديدة، لم يسمع بمثلها في المدد المديدة، والعهود البعيدة، ولم يصب من إخوانكم المسلمين عدد يذكر، ولا رجل يعتبر.

فتح هنيٌّ وصنع سني، ولطف خفي، ووعد وفي، فاستبشروابفضل الله تعالى ونعمته، وقفوا عند الافتقار والانقطاع لرحمته، وقابلوانعمه بالشكر يزدكم، واستبصروا في الدفاع عن دينكم ينصركم ويؤيدكم، واغتبطوا بهذه الدولة المباركة التي لم تعدموا من الله تعالى معها عيشًا خصيبًا، ولا رأيًا مصيبًا، ولا نصرًا عزيزًا، ولا فتحًا قريبًا، وتضرعوا في بقائها ونصر لوائهاإلى من لم يزل سميعًا للدعاء مجيبًا. والله عز وجل يجعل البشائر الفاشية فيكم عادة، ولايعدمكم ولاأولي الأمر منكم توفيقًا وسعادة، والسلام الكريم يخصكم، ورحمة الله تعالى وبركاته من مبلغكم ذلك فلان».

(٢) قال ابن زيدون في رسالته الجدية.

« وإني لأتجلَّد[2] وأُري الشامتين[3] أني لرَيْب الدهر لاأتضعضع[4] فأقول: هل أنا إلا يَدٌ أدْمَاها سوارُها، وجبينٌ عَضَّ به إكليله[5]، ومشرفيٌّ ألصقه في الأرض صاقله[6]، وسمهري عرضه على

(١) البطرير : الطاغية.

(٢) التجلد: الثبات والصبر وعدم المبالاة بالأمر الذي ينزل بالرجل.

(٣) الشامتين: جمع شامت، وهو اسم فاعل من الشماتة، وهي الفرح بنزول المصائب على الآخرين والتشفي. والمعنى من قول أبي ذؤيب الهذلي:
وتجلدي للشامتين أريهم أني لريب الدهر لا أتضعضع

(٤) لاأتضعضع: أي لاأهتز من المصائب.

(٥) الإكليل: التاج. وما يوضع على الرأس للزينة.

(٦) مشرفي : السيف منسوباً إلى المشارف، وهي قرى على مشارف الجزيرة تُصنع فيها السيوف. ألصقه بالأرض: وضعه عليها. صاقله : القين الذي يجلو السيوف من الصدأ.

النار مُثَقَّفُه[1]، وعبد ذهب به سيده مذهب الذي يقول:

فَـقَـسـا لِيَـزْدَجِـرُوا ومن يَكُ حـازمًـا فَلْيَـقْسُ أحـيـانًا على مَنْ يَرحم[2]

هذا العتب محمودٌ عواقبُه وهذه النَّبْوَةُ غمرَة ثم تنجلي[3]، وهذه النكبة سحابة صيف عن قليل تنقشع، ولن يريبني من سيدي أنْ أبطأ سَحابُهُ أو تأخر- غير ضنين- غَناؤه[4] فأبْطَأ الدِّلاء فَيْضًا أملؤها، وأثقل السحاب مشيًا أحفَلُهَا[5]، وأنفع الحيا[6] ماوافق جَدْبًا، ، وألذُّ الشراب ماأصاب غليلا، ومع اليوم غد[7] ولكل أجل كتاب، له الحمد على اهتباله[8]، ولا عَتْبَ عليه في إغفاله.

فـإن يكن الفـعل الذي سـاء واحـدًا فـأفـعـاله اللائي سـررن ألوف[9]

---

(١) السمهري : الرمح الصلب، وقيل منسوب إلى سمهر، وهو رجل كان يقوم الرماح. مثقفه: أي مقومه ، والتثقيف : التقويم. والمعنى: أنا سيف وضعه على النار من يجلوه من الصدأ وإن كان محمله على الكتف، ورمح عرضه على ا لنار مقومه ، وذلك لمصلحة تعود على السيف والرمح، فما أعد ذلك شيئًا غريبا.

(٢) البيت لأبي تمام: ليزدجروا: أي ليمتنعوا ويتعظوا . والحزم: ضبط الأمور.
والمعنى : وأعد نفسي عبدًا ذهب به سيده فيما فعل به مذهب الذي قال هذا البيت لأنه يريد بذلك إلاحه وتأديبه، فهو مع رحمته له قد قسا عليه حتى يتأدب ولم يك من شأنه القسوة.

(٣) النبوة : نبا السيف: رذا لم يصب ولم يقطع . غمرة: الغمرة: الشدة الشديدة العامة . تنجلي : تذهب وتزول.

(٤) ضنين : بخيل. الغَنَاء: بفتح الغين والمد: النفع.

(٥) أحفلها : أكثرها ماء.

(٦) الحيا: المطر(مقصور).

(٧) مع اليوم غد: أصله مثل عربي: إن مع اليوم غدًا ، يضرب مثلاً في تنقل الحالات وتقلب الأيام.

(٨) اهتباله ؛ الاهتبال: إغتنام الفرص.

(٩) هذا البيت لأبي الطيب المتنبي.

(٣) ومن المناظرات الخيالية ماكتبه ابن برد الأصغر في المناظرة بين السيف والقلم[١]:

«وإن السيف والقلم لما كانا مصباحين يهديان إلى القصد، من بات يسري إلى المجد، وسلمين يلحقان بالكواكب، من ارتقى لساميات المراتب. . . وشفيعين لايؤخر تشفيعهما، ومجمعين لايفرق تجميعهما، جررا أذيال الخيلاء تفاخرًا، وأشما بأنف الكبرياء تنافرًا، وادعى كل واحد منهما أن الفوز لقدحه، وأن الورى لقدحه. . . وحين كشف الجدال قناعه، ومد الخصام ذراعه، قاما يتباريان في المقال، ويتساجلان في الخصال، ويصف كل واحد منهما جلال نفسه، ويذكر فضل ما اجتنُي من غرسه. . .

فقال القلم: ها، الله أكبر. . . خير الأقوال الحق، وأحمد السجايا الصدق، والأفضلُ من فَضَّله الله عزوجل في تنزيله، مقسمًا به لرسوله، فقال: « ن. والقلم ومايسطرون» وقال: « اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم» فجَلَّ من مقسم، وعز من قسم، فما تراني وقد حللت بين جفن الإيمان وناظره، وجُلت بين قلب الإنسان وخاطره؟ لقد أخذت الفضل برمته، وقدت الفخر بأزمته».

فقال السيف: عدنا من ذكر الطبيعة إلى ذكر الشريعة، ومن وصف الخصلة إلى وصف الملة، لا أُسرُّ ولكن أُعلن، قيمة كل امرئ مايحسن، إن عاتقًا حمل نجادي لسعيد، وإن عضدًا بات وسادي لسديد، وإن فتى اتخذني دليله لمهدي، وإن امرأً صيرني رسيله لمقدي، يشق مني الدجى بصباح، ويقابل كل باب بمفتاح، أفصح والبطل قد خرس، وأبتسم والأجل قد عبس، أقضي فلا أنصف، وأمضي فلا أصرف. أزري بالوفاء، وأهتك اللأمة[٢] هتك الرداء».

(١) الذخيرة لابن بسام ق ١ ج ١ ص ٥٢٣.

(٢) اللأمة: الدرع.

(٤) من رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد :

قال ابن شهيد في رسالة التوابع والزوابع مخاطبا أبا بكر بن حزم[١] :

«لله أبا بكر ! ظَنٌّ رَمْيتَهُ فأصْمَيْت[٢]، وحَدْسٌ أمَّلْتهُ فما أشويت[٣] . أبديتَ بهما وجه الجلية، وكشفت عن غُرَّة الحقيقة، حين لمحت صاحبك الذي تكسبته، ورأيته قد أخذ بأطراف السماء، فألَّف بين قمريها، ونظم فَرْقَديها، فكلما رأى ثَغْرًا سدَّه بسهاها[٤]، أو لمح خَرْقًا رَمَّه بزُباناها[٥]، إلى غير ذلك. فقلتَ: كيف أُوتَى الحكم صبيًا، وهز بجذع نخلة الكلام فتساقط عليه رطبًا جنيًا ؟ أما إن به شيطانًا يهديه، وشيصَبَانًا[٦] يأتيه. وأقسمُ أن له تابعة[٧] تُنْجده، وزابعة[٨] تؤيده، ليس هذا في قُدْرة الإنس، ولاهذا النَّفَس لهذه النَّفْس. فأما وقد قلتها أبا بكر فَأَصِخْ أُسْمعْك العجب العُجَاب :

كنت أيام كُتَّاب الهجاء، أحنُّ إلى الأدباء، وأصبو إلى تأليف الكلام، فاتبعت الدواوين، وجلست إلى الأساتيذ، فنبض لي عرق الفهم، ودَرَّ لي شريان العلم، بموادَ رُوحانية، وقليل الالتماح من النظر يزيدني، ويسيرُ المطالعة من الكتب يفيدني، إذ صادف شَنُّ العلم طَبَقَهُ، ولم أكن كالثلج تقتبسُ منه نارًا، ولا كالحمار يحمل أسفارا، فطعنت ثُغْرَةَ البيان دراكا، وأعلقت رجل طيره أشراكا، فانثالت[٩] لي العجائب وانهالت عليَّ الرغائب»[١٠]

---

(١) أبو بكر بن حزم: يحيى بن حزم، من أدباء الأندلس المعاصرين لابن شهيد، وهو غير أبي محمد بن حزم الفقيه الظاهري المشهور.

(٢) أصميت: أي رميت فقتلت الصيد في مكانه.

(٣) ماأشويت: ماأخطأت المقتل، يقال: أشواه: أصاب شواه، أي أطرافه لامقتله.

(٤) السها: كوكب خفي من بنات نعش الصغرى مجاور للقطب ، وكان العرب يمتحنون به أبصارهم لخفائه.

(٥) رمه: أصلحه . والزبانى : واحد الزبانيين، وهماكوكبان نيران في قرني برج العقرب معترضان بين الشمال والغرب ، بينهما قيد رمح.

(٦) الشيصبان: اسم الشيطان وقبيله من الجن.

(٧) تابعة: جنية تحب الإنسان وتتبعه حيث ذهب.

(٨) زابعة : المعروف الزوبعة رئيس للجن، أو اسم شيطان، يجمع على زوابع.

(٩) انثالت : انثال : انصب ، وعليه القول: تتابع وكثر فلم يدر بأيه يبدأ.

(١٠) الرغائب : جمع رغيبة ، الأمر المرغوب فيه ، والعطاء الكثير.

التعريف بابن شهيد ورسالته.

١ ـ ابن شهيد:

هو أبو عامر، أحمد بن أبي مروان عبد الملك بن مروان بن أحمد بن عبدالملك بن شهيد الأشجعي الغطفاني.

ولد بقرطبة عام ٣٨٢هـ، وكان والده من أعيان قرطبة ومن المقربين للمنصور بن أبي عامر، وقد توفي والده وهو في الحادية عشرة من عمره، وقد عاش مترفًا، ونبغ في الشعر والنثر والنقد الأدبي والاجتماعي، وفي آخر حياته أصيب بالفالج، وتوفي عام ٤٢٦هـ.

٢ ـ رسالة التوابع والزوابع:

كان أبو عامر بن شهيد كثير الخصوم والحساد، وقد لقي منهم عنتًا وأذى كبيرًا، وكانوا لايعترفون بأدبه ولا بنبوغه، فكتب هذه الرسالة يناضل عن أدبه، ويبسط فيها آراءه في الشعر والنثر والنقد الأدبي، ويطعن فيها أنداده ومنافسيه، ويوضح معايبهم.

وقد بنى الرسالة على أنه قد رحل إلى وادي الجن في صحبة جني اسمه (زهير بن نمير) من بني أشجع الجن « يلاحظ أن ابن شهيد من بني أشجع»، وهناك التقى بشياطين كثير من الشعراء الجاهليين والإسلاميين والعباسيين، كما التقى بشياطين بعض الكتاب.

وقد بنى فكرة الرسالة على ماكان شائعًا عند العرب في الجاهلية من أن لكل شاعر رئيا من الجن، ينفث الشعر على لسانه، وهو اعتقاد جاهلي.

وقد وجه الرسالة إلى أبي بكر بن حزم كما هو واضح من هذا النص.

وتتكون الرسالة من مدخل وأربعة فصول.

تحدث في **المدخل** إلى ابن حزم، وأوضح له كيف تعلم وتأدب، ثم انتقل إلى خبر حبيب له مات، فأخذ في رثائه، فأرتج عليه، فإذا بجني اسمه (زهير بن نمير) يتصور له، ويلقي إليه بتتمة الشعر رغبة في اصطفائه.

أما الفصل الأول فهو عن توابع الشعراء، حيث التقى بهم في وادي الأرواح، ومنهم توابع امرئ القيس وطرفة وأبي تمام والمتنبي.

والفصل الثاني في توابع الكتاب، وهم عبد الحميد والجاحظ وبديع الزمان الهمذاني.

أماالفصل الثالث فهو عن نقاد الجن.

والفصل الرابع والأخير عن حيوان الجن.

وقد بدأ الرحلة بعد المقدمة الموجهة إلى ابن حزم بقوله: «تذاكرت يومًا مع زهير بن نمير أخبار الخطباء والشعراء، وما كان يألفهم من التوابع والزوابع، وقلت: هل حيلة في لقاء من اتفق منهم؟ فقال: حتى أستأذن شيخنا.

وطار عني ثم انصرف كلمح البصر- وقد أُذن له - فقال: حُلَّ على متن الجواد فصرنا عليه، وسار بنا كالطائر يجتاب الجو فالجو، ويقطع الدوَّ فالدو، حتى التمحتُ أرضًا لا كأرضنا، وشارفت جوًا لا كجونا، متفرع الشجر عطر الزهر. فقال زهير: حللت أرض الجن أبا عامر، فبمن تريد أن تبدأ؟ قلت: الخطباء أولى بالتقديم، لكني إلى الشعراء أشوق، قال: فمن تريد منهم؟ قلت صاحب امرئ القيس...».

وهكذا يمضي في الرسالة على ماذكرنا عن فصولها، وقد ملأها بالكثير من شعره ونثره وثناء نقاد الجن عليه، وكأنه يريد أن يلفت معاصريه إلى محاسن شعره، كماأنه قد نثر في ثناياها آراءه النقدية.

مناقشة

١ ـ ابن زيدون وابن خفاجة من أشهر شعراء الأندلس . اذكر أهم ما يتميز به شعر كل منهما .

٢ ـ يعتبر ابن زيدون من كتاب النثر المجيدين . تحدث عن أشهر الرسائل التي كتبها وأبرز ما تمتاز به .

٣ ـ تحدث عن الخطابة وأشهر الخطباء في العصر الأندلسي .

٤ ـ اذكر أقسام الكتابة الأدبية ، ثم تحدث بإيجاز عن المناظرات وأهميتها في الأدب الأندلسي .

٥ ـ ما موضوع رسالة التوابع والزوابع؟ واذكر ترجمة مختصرة لكاتبها .

المحتويـات

الموضـــــوع	الصفحة
مقـدمـــة	٣
الفصل الدراسي الاول	
توزيع المنهج للفصل الدراسي الأول	٧
(١) الأدب في العصر العباسي	٩
لمحة عن الحياة السياسية والاجتماعية	١١
العلوم الإسلامية والعربية/ التأليف	١٣
الترجمة	١٦
الشعر في العصر العباسي	١٨
شعر الدعوة الإسلامية	٢١
نماذج من الشعر العباسي:	
١ ـ المديـح	٢٢
٢ ـ الفخـر	٢٤
٣ ـ الرثـاء	٢٦
٤ ـ الهجـاء	٢٨
٥ ـ الشكـوى والعتـاب	٢٨
٦ ـ الغـزل	٣٠
٧ ـ الوصـف	٣١
٨- الزهـد والتـوبة والنـدم	٣٣
٩- الحكمـة	٣٤

الموضـــــوع	الصفحة

دراسة أدبية مفصلة عن ثلاثة من شعراء العصر العباسي

١ ـ أبو تمـــام ٣٦

٢ ـ البحتـــري ٤٤

٣ ـ أبو الطيب المتنبي ٥٠

النثر في العصر العباسي :

ـ الخطابة ٥٨

ـ الكتابة الفنية ٥٩

ـ المقامات ٦١

ـ بديع الزمان الهمذاني ٦٣

ـ الحـريري ٦٧

دراسة مفصلة لاثنين من كتاب العصر العباسي

١ ـ عبد الله بن المقفع ٧١

٢ ـ الجـاحـــظ : ٧٧

الفصل الدراسي الثاني

توزيع المنهج للفصل الدراسي الثاني ٨٥

(٢) الأدب في عصر الحروب الصليبية

الأدب في عهد الحروب الصليبية ٨٩

أغراض الشعر في عهد الحروب الصليبية ٩٠

الموضـــــوع	الصفحة

خصائص أدب الحروب الصليبية ٩٢

نماذج من أدب الحروب الصليبية .

أولا: الشعـــر ٩٣

ثانيًا: النثـــــر ٩٨

(٣) أدب الدول المتتابعة

عصر الدول المتتابعة «نبذة تاريخية» ١٠٣

رثاء بغداد ١٠٣

حالة الشعر في عصر الدول المتتابعة ١٠٧

تراجم مختصرة لبعض شعراء العصر (صفي الدين الحلي ، ابن الوردي ابن نباتة ، التلعفـري) . . . ١٠٨

النثـــــر في عصر الدول المتتابعة .

أولاً : التأليف ١٠٩

ثانياً : الموسوعات ١١٠

ثالثاً : النثـر الفنـي : ١١٢

نماذج من أدب عصر الدول المتتابعة .

أولاً: نماذج من الشعـــر ١١٣

ثانيًا: نماذج من النثـــــر ١١٧

(٤) الأدب الأندلســي

لمحة عن الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية ١٢٣

أغراض الشعر الأندلسي ونماذج لها : ١٢٧

١ ـ المديـــح ١٢٧

٢ ـ الفخـــر ١٢٩

الموضـــــوع	الصفحة
٣ـ الـرثـاء	١٣٠
٤ـ الهجـاء	١٣١
٥ـ الحكمـة	١٣٢
٦ـ الغـــزل	١٣٤
٧ـ شعـر الطبيعـة والوصـف	١٣٤
٨ـ رثاء المدن والممالك الزائلة	١٣٦
٩ـ الحنـين	١٤١
١٠ـ الشعر التعليمي	١٤٢
أسلوب الشعر الأندلسي ومعانيه وأخيلته	١٤٣
الموشحـــات	١٤٤
دراسة مفصلة لشاعرين من العصر الأندلسي.	
١ ـ ابن زيدون:	١٥٠
٢ ـ ابن خفاجة:	١٥٤
النثـــر الأندلسـي:	١٥٨
ـ الخطابة	١٥٨
ـ الكتابة الأدبية	١٦٢
المحتويـــات	١٧١